

# قبيلة شمر العربية

مكانتها وتأريخها السياسي

1800 - 1958



الشيخ عجيل الياور شيخ مشايخ شمر العربية

تأليف

JOHN FREDERICK WILLIAMSON

ترجمه وقدم له

مير بصري

دار الحكمة - لندن.



El-Mecherha Alexandria



## **قبيلة شمر العربية مكانتها وتاريخها السياسي**



**قبيلة عمر العربية**  
**مكائنتها وتأريخها السياسي**  
**1800 - 1958**

تأليف

*Jhon Frederick Williamson*

ترجمه وقرطمه له  
**مير بصري**

اطروحة قدمها المؤلف الى « شعبة التاريخ في جامعة  
انديانا للحصول على الدكتوراه في الفلسفة »

دار الحكمة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1999

DAR AL-HIKMA

Publishing and Distribution



دار الحكمة

للطباعة والنشر والتوزيع

88 Chalton Street London NW1 1HH. Tel: 0171 - 383 4037 Fax: 0171 - 383 0116

## مقدمة المترجم

هذا كتاب نادر وضعه باحث أميركي مدقق، هو جون فريديريك وليمنسن أستاذ الآداب في جامعة أنديانا بالولايات المتحدة وتناول فيه تاريخ قبيلة شمر ومكانتها وموقعها السياسي منذ نزوحها إلى منطقة الجزيرة في شمال العراق سنة 1800 حتى ثورة 14 تموز 1958.

وشمر من قبائل العراق الكبرى، وهي قبيلة قحطانية مساكنها الأصلية في جبل طيء، وبيت الرئاسة فيها لآل الجرباء، وهم آل محمد من فروع طيء. وقد قال مؤرخ العراق عباس العزاوي أن قبيلة شمر نزلت إلى العراق سنة 1791، ثم سار شيخها مطلق إلى سورية وتوجه إلى الحج مع أحمد باشا الجزائر وعاد إلى بادية العراق، وقد أصاب نفوذاً عظيماً.

أغار الإمام سعود بن عبد العزيز آل سعود سنة 1798 على بادية العراق، وكان الشيخ مطلق بن محمد الجرباء الآنث الذكر نازلاً فيها فقاتله. لكن فرس مطلق عثرت في جريها فسقط الشيخ وقتل. وكانت الحكومة العثمانية آنذاك تلج في محاربة ابن سعود ومحاولة القضاء على حكمه بعد أن استولى على الأحساء.

إن تاريخ قبيلة شمر في العراق في القرن التاسع عشر مليء بالوقائع والأحداث، وقد تتبعها المؤلف بدقة وأسهب في ذكر تفاصيلها. وحسبنا أن نرجع إلى مصادر الكتاب الكثيرة لنطلع على الجهود التي بذلها في هذا السبيل، ومنها سجلات الحكومة البريطانية وتقاريرها، وتاريخ العراق بين احتلالين وعشائر العراق لعباس العزاوي، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والبدواة والبدو والقبائل الرحالة في العراق لمكي الجميل، وعشائر الشام لوصفي أحمد زكريا، فضلاً عن المراجع المتعددة باللغة الإنكليزية ورحلات الرحالين إلى العراق.

كان شيخ مشايخ القبيلة بعد الاحتلال البريطاني في نهاية الحرب العظمى سنة 1918 الشيخ عجیل الياور الذي خلف أباه عبد العزيز في الرئاسة سنة 1921، وقد انتخب نائباً عن الموصل سنة 1924، في المجلس التأسيسي الذي قرّر قانون الدولة الأساسي.

ولد الشيخ عجيل سنة 1885 ونشأ في مضارب عشيرته، وحارب مع أبيه في صفوف الجيش التركي حتى احتلال الموصل. كان في بادئ الأمر مناوئاً للحكم البريطاني، لكنه لم يلبث أن خضع لحكم الملك فيصل الأول بعد تأسيس المملكة، وكان من أعضاء الوفد العراقي إلى مؤتمر الكويت المحقود سنة 1923 لتسوية المشاكل المعلقة بين العراق ونجد. وانتدب في السنة التالية للإسهام في حسم المنازعات بين العشائر على الحدود العراقية السورية.

عمل الشيخ عجيل في إسكان عشيرته وتحضيرها وتعليمها الزراعة، وقد اشترى أراضي واسعة وحفر الآبار وأنشأ المشاريع الزراعية في شمالي العراق. وأدركه الموت بالسكتة القلبية وهو يسوق سيارته في الطريق قرب الشرفاظ في 13 تشرين الثاني 1940.

ومن شيوخ شمر الذين اشتهروا في تلك الحقبة الحميدي بن فرحان باشا بن صفوق (1885 - 1941). درس في مدرسة العشائر التي أنشأها السلطان عبد الحميد في استانبول. وانتخب نائباً عن الموصل سنة 1934 وجدد انتخابه بعد ذلك. ذكره عباس العزاوي وقال إنه اشتهر بالصلاح وكان سلفي العقيدة ملازماً لقراءة القرآن وكتب الحديث، يتحاشى ذكر صناعات القبائل وتقاليدها اعتقاداً منه بمخالفتها للشرع الشريف، ويكره التفاخر بالأجداد.

واشتهر أيضاً الشيخ أحمد العجيل الياور (1922 - 1972) الذي تولى المشيخة على أثر وفاة أخيه صفوق سنة 1962. وانتخب نائباً عن الموصل سنة 1948 وأعيد انتخابه. وقد اشترك في حركة عبد الوهاب الشواف في الموصل في آذار 1959 وفرّ بعد خذلانها إلى دمشق وحكم عليه بالإعدام غياباً. وعاد إلى العراق بعد عدة سنوات وتوفي في بغداد.

اقتصر المؤلف على تاريخ شمر في العراق ولم يتطرق بطبيعة الحال إلى إمارة شمر في جزيرة العرب، وهي إمارة آل رشيد التي أسسها عبد الله بن علي بن رشيد المتوفى سنة 1847 ودامت إلى آب 1921 حين قضى عليها سلطان نجد عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية باستيلائه على مقلها الأخير في حائل.

**مير بصري**



## توطئة

### شرح المشكلة

خلال المائة والخمسين سنة الأخيرة شهد الشرق الأوسط عهدها من التغيير المحسوس بدا بصورة دقيقة المجتمعات التقليدية التي وجدت في المنطقة. ومع ان بعض أنحاء المنطقة خبرت مبادئ هذا التحويل قبل سواها فان الحقيقة تبقى ان كل مظاهر الحياة قد مستها فعلا عوامل الأشراف الوثيق من جانب حكومة مركزية، ومواصلات أكثر سرعة، وبضائع استهلاكية جديدة، وعلاج طبسي متحسن، وبروز الوطنية. ان هذا التغيير اثر في مجتمع الشرق الأوسط في كافة مستوياته : فقد تأثرت الحكومة المركزية والمدن والقرى والعشائر الرحالة برمتها.

أخذ المؤرخون وسائر علماء الاجتماع في السنوات الأخيرة بدراسة تحول الإمبراطورية العثمانية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ومع ان أكثر الكتاب لا يوافقون بالضرورة على المصطلحات التي تصف بما فيه الكفاية التغييرات الطارئة في داخل الإمبراطورية، كلهم يتفقون بالتأكيد على انه بحلول سنة 1841 بدا تحول في المجتمع العثماني. ومن الصعب العثور على عبارة واحدة تصف هذا الاتجاه بصورة وافية.

فالأصطلاحات مثل الانتقال الى الحضارة الغربية او الأوربية او غير المتطور او المتأخر او المحروم ثقافيا مما يظهر في المؤلفات الثقافية قد خلقت خلافا جسيما بسبب دلائلها المتمركزة حول العسرق ظاهرا. في هذا المؤلف يشار الى التغيير السريع الذي حدث في قسم كبير من العالم خلال القرن الاخير بأنه "تمدن"، ويعنى بالتمدن عملية تحول مجتمع تقليدي خاص نحو ثقافة القرن العشرين الأخيرة مع تأكيدها على القومية والمواصلات السريعة والمعالجة الطبية والاقتصاد العالمي المتوحد والنسبة العالية من التعليم.

ان التمدن (أو التحديث) في داخل الإمبراطورية العثمانية خلال القرن التاسع عشر اتخذ سبيلا متقطعا مبدلا بعض جوانب المجتمع بصورة جوهرية ومغفلا جوانب أخرى فعلا. والى هذا التاريخ نجد مؤرخي الشرق الأوسط الذين يدرسون هذه الظاهرة قد ركزوا أنظارهم على تحليل التبدلات التي جرت في عاصمة آل عثمان الأساتنة (استنبول). وهذه الدراسات المختلفة تعطي نظرة فاحصة على التغييرات في نواحي الوظائف والمنشآت والإدارة والثقافة الجارية في الإمبراطورية، لكنها غضت النظر عموما عن معالجة الأحوال في الولايات<sup>1</sup>. ومؤلفات قليلة نسبيا تصف تأثير الإصلاحات في الحكومة

<sup>1</sup> راجع الكتب التالية عن تاريخ الإمبراطورية العثمانية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين : برنارد لويس (نشوء تركيا الحديثة، لندن 1968)، نيسازي بركس (تطور العلمانية في تركيا الحديثة، مونت ربال 1964)، ستانفورد شو (بين القديم والحديث :

المركزية في الولايات عموماً، أو في ناحية معينة أكثر، كيف أثرت تلك الإصلاحات على الجماعات الفردية في المناطق المحلية<sup>1</sup> فعلى دراسة واحدة أو اثنتين عن الإصلاحات في الولايات، بقي تاريخ التحول في الولايات غير مكتوب.

إن ولاية بغداد، وهي منطقة ذات موارد رحاء كامنسة في الإمبراطورية، وهنت في انحطاطها طوال القرن التاسع عشر. ولم تظهر آثار الرقابة المركزية إلى منتصف القرن في ولاية بغداد. وحالما قررت الحكومة العثمانية أن تشدد حكمها على الولاية حل التغيير تدريجياً في هذه الناحية البعيدة. والدراسة التحليلية المفصلة لتاريخ العراق في القرن التاسع عشر لا تزال تطلب الكتابة.<sup>2</sup> ولسوء الحظ لم يحصل سوى مبادئ بسيطة جداً في دراسة هذه الناحية المحدودة في

---

الإمبراطورية العثمانية في عهد سليم الثالث، كمبريدج (1971) رودريك هـ. ديفيس (الإصلاح في الإمبراطورية العثمانية 1856-1876، برستن 1963)، شريف ماردين (منشأ الفكر العثماني الغني، برستن 1962) برو برت ديفرو (العهد العثماني الدستوري الأول، بلنيمور 1963)، أرمست رامور الصغير (الاتراك الشبان، برستن 1957).

<sup>1</sup> راجع الدراسة الممتازة لموشي معور: الإصلاح العثماني في سوريا وفلسطين 1840 - 1861 (أكسفورد 1968)، أيضاً هريوت بودمان الصغير: الفرق السياسية في حلب 1760 - 1826 (شابل هيل 1963)

## الإصلاح داخل الولايات<sup>1</sup>

وبالنظر الى فقدان المؤلفات الأساسية لتفهم مسيرة التحول الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والإنشائي في العراق فان اية دراسة يمكن ان توضح وتشرح تاريخ المنطقة. والمؤلف الحاضر يعالج التاريخ السياسي لعشيرة شمر الجرباء في الجزيرة (شمال غربي العراق) منذ نحو سنة 1800 الى 1958<sup>2</sup> واتباع سلسلة تاريخ شمر خلال القرن ونصف القرن الأخير يحقق أهدافا رئيسية متعددة. يبدأ المؤلف بتحليل اثار هجرة شمر الجرباء على النظام الجغرافي السياسي الثابت نسبيا في الجزيرة. وان توازن القوة الجديدة التي تحققت بين آل شمر والحكومة المركزية والسكان المحليين تهييء فرصة طيبة لدراسة الأحوال في جزء اوسع من الإمبراطورية العثمانية.

<sup>1</sup> منذ ظهور كتاب ستيفن لو نغريغ "اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث" (اكسفورد 1925) لأول مرة قبل نحو 50 سنة بقي يمثل أهم دراسة باللغة الانكليزية لتاريخ العراق الحديث.

<sup>2</sup> خلال السنوات عالجت مؤلفات قليلة فقط بعض نواحي تاريخ شمر الجرباء ومع الاسف لم يعالج أي من هذه المؤلفات بما فيه الكفاية تاريخ شمر الجرباء في الجزيرة. وفيما يلي بعض البحوث المهمة ولوانها محدودة لشمر الجرباء : ماكس فريهر فور اوبنهايم (البدو : في العراق وسوريا الجزء الاول، ليزيغ 1939)، عباس المرادي (عشائر العراق، الجزء الاول، بغداد 1957)، روبرت مولتاني (قصص شعبية بدوية جمعت لدى شمر الجزيرة) في مجلة الدراسات الشرقية (1935) ص 33 - 119

حين قامت حكومة الأستانة بتوثيق سيطرتها على الجزيرة، قدمت عشيرة شمر النائرة تحدياً قوياً ومستمراً للسلطة العثمانية. وقد تطلب الأمر صراعاً دام مائة سنة تقريباً من جانب الحكومة العثمانية ومن جانب الحكومة البريطانية والعراقية أيضاً بعد الحرب العظمى الأولى لإخضاع شمر نهائياً، وهكذا أن هذه الدراسة تصف أيضاً الطرق التي استعانت بها الحكومات المركزية المختلفة في النهاية للسيطرة على العشائر الرحالة مثل شمر.

إن طريق التحول المجتمعي في الشرق الأوسط يظهر على أشده في التغيرات التي لامست الحياة العشائرية خلال القرن الأخير، وأنه لو أصبح حقاً حين يتفحص المرء دور العشائر البدوية في عراق وسوريا اليوم أن تغيرات جسيمة حدثت منذ سنة 1800. وهذه الدراسة لتحديد المراحل الواسعة للتغيير العشائري فحسب، بل تحلل أيضاً أثر هذا التحول على شمر الجرباء بوجه خاص. وقد درست بتفصيل شامل الطبيعة المتغيرة للزعامة البدوية والنشاط الاقتصادي والثقافة.

لما كان هذا المؤلف يعالج العلاقات بين عشيرة شمر والعشائر المجاورة لها ومع الحكومة المركزية والمجتمع المتطور بسرعة، فمن المهم جداً أن يفهم المرء نقطتين أساسيتين: (1) جغرافية الجزيرة الطبيعية والاقتصادية والسكانية (الديموغرافية) وهي موطن شمر، (2) طبيعة الحياة البدوية التقليدية.

## جغرافية الجزيرة

### ملاحظات تاريخية

في نهاية القرن الثامن عشر هاجرت عشيرة شمر الجرباء من منطقة نجد في جزيرة العرب الشمالية واقامت في منطقة بالعراق تعرف بـ (الجزيرة). وكلمة الجزيرة في اللغة العربية تعني الارض التي يحيط بها الماء من كل جوانبها، وهي وصف ملائم للمنطقة. فمنذ القرن السابع الميلادي دلت هذه التسمية على هذه المنطقة من العراق وسوريا الحديثة الواقعة بين نهري دجلة والفرات<sup>1</sup>

والجزيرة كم منطقة جغرافية كان لها أهمية استراتيجية عظيمة لانها كانت طريق المرور الجغرافي حيث تلتقي عدة انهر وطرق تجارية وإمبراطوريات<sup>2</sup>. وقد تركزت الحضارة الآشورية القديمة في نينوى وازدهرت فيها. وفي عهد الدول العربية في القرون الوسطى نالت هذه المنطقة رخاء عظيما بسبب إنتاجها الزراعي وصناعاتها النوية المشهورة وتجارة القوافل النامية. وجهزت المنطقة خلال الحروب الصليبية مؤنًا وجنودًا للأيوبيين الذين استعادوا فتح البلاد المقدسة.

<sup>1</sup> غاي لسترايخ : اراضي الخلافة الشرقية (نيويورك 1905) ص 86 - 114.

<sup>2</sup> م كنارد : الجزيرة (المعجمة الاسلامية، الجزء الثاني، الطبعة الثانية) (لندن 1957) ص 523 - 524.

ومع الأسف ان الغزو المغولي في منتصف القرن الثالث عشر  
قد دمر معظم إنتاجها الزراعي. ومثل ذلك أعاشت المنطقة قبل الغزو  
المغولي عدداً كبيراً من السكان.  
ولكن بين القرنين الثالث عشر والثامن عشر هبط عدد السكان  
وأصبحت أنحاء كثيرة من الجزيرة صحراء حقيقية<sup>1</sup> وان هجرة العشائر  
الرحالة لعبت دوراً كبيراً في هذه العملية.

---

<sup>1</sup> البريت جوراني : نظرة الى التاريخ : مقالات عن الشرق الاندسي وغيره (بسيروت  
1961) ص 40 - 42.

## الجغرافية الطبيعية

تؤلف المنطقة برمتها جزء من سلسلة الارض العالمية العربية الواسعة التي تمتد على مسافة الف ميل الى الجنوب وهي هضبة واسعة منحدره قليلا تغطي اساسا من صخور بلورية قديمة. وتعلو هذا الاساس البلوري طبقة من حجر الكلس الطباشيري من العصر الحجري مرصع في عصور مختلفة بطبقات ملح وجبس : تبدأ المنطقة من ارتفاع نحو 1500 قدم تحت الجرف الكردي شمالا ثم تتحدر تدريجيا الى الجنوب الى ارتفاع نحو 250 قدما فوق مستوى البحر في العراق الجنوبي<sup>1</sup>

ان الحدود الجغرافية المتفق عليها عموما للجزيرة تحيط بمنطقة اوسع كثيرا من ديرة شمر الجرباء (وهي المنطقة الجغرافية التي تعيش فيها العشيرة)<sup>2</sup> لذلك منعا للالتباس، يذكر اسم " الجزيرة " في هذه الدراسة ويحدد بديرة شمر الجرباء الضيقة. ويقع خط الحدود الملائم شمالا بجبل سنجار وجبل عبد العزيز، ويتمثل الحد الجنوبي برأس الدلتا نهر دجلة والفرات الواقع على بعد اميال قليلة تحت

<sup>1</sup> ولیم برایس : اسيا الجنوبية العربية : جغرافية نظامية (لندن 1966) ص 229-230.

<sup>2</sup> كالسابق.



بغداد. اما الحد الغربي فهو نهر الفرات وفرعه الخابور ، والشرقي هو  
دجلة مثل خربة في الغرب<sup>1</sup>

حين ننظر الى مظهر الجزيرة الطبيعي لابد ان نلاحظ السهل  
الواسع الممتد عدة اميال بدور تعبير واضح. وهذه المنطقة شكلها يشبه  
المثلث وسعتها كما يلي : 300 ميل في الشمال، 400 ميل في الشرق ،  
و 500 ميل تقريبا على طول الساق الشمالية الغربية - الجنوبية الغربية.  
ويتميز القسم الشمالي من السهل بتلين عاليين على المحور الشرقي -  
والغربي<sup>2</sup>.

تغطي هذه المنطقة المنبسطة نسبيا تربة بنية مائلة الى الحمرة  
والصفرة. والى شمال هذين التلين والى جنوبهما رأسا تصل التربة  
البنية المائلة الى الحمرة الى عمق يتراوح بين 24 الى 100 انش  
(بوصة). ويظهر الى ابعد من ذلك جنوبا شريط اوطأ من التربة البنية  
المائلة الى الحمرة. وتغطي سائر السهل تربة رمادية تميل الى  
الصفرة مؤلفة من مواد جبسية مختلفة. ولما كانت هذه التربة تصل  
الى عمق نحو 10 اشات فقط ولا تتضمن سوى القليل من المادة  
العضوية فان هذه المنطقة قاحلة نسبيا. يضاف الى ذلك ان نحو من

<sup>1</sup> كالسابق.

<sup>2</sup> ولیم ب. فیشر : الشرق الاوسط : الجغرافية الطبيعية ومنطقية (الطبعة السادسة) لندن  
(1971) ص 352 - 353.

8 الى 10 انشات من الارض الرملية تظهر فوق الاساس الجبسي فسي هذه الناحية الجنوبية، خصوصا قرب وادي الثرثار<sup>1</sup>.

كما ذكر انفا ان التلين العاليين يتفرعان من السهل غربي الموصل. وسلسلة التل الغربي المعروفة باسم جبل عبد العزيز تصل الى ارتفاع 2625 قدما. وهذه السلسلة تقع بين نهري البليخ والخابور. وسلسلة جبل سجار التي تقع الى بعد 70 ميلا غربي الموصل تتضمن اعلى الجبال في الجزيرة. وقد كانت هذه الجبال لامتد طويل شبه القلاع ضد الغزاة الخارجيين، وهي تصل الى ارتفاع 4781 قدما وتكون موطن عشائر اليزيدية<sup>2</sup>.

يعتمد مستوى الانتاج الزراعي والسكنى البشرية في الجزيرة على تيسر الماء. وتعاني هذه المنطقة عموما من سقوط امطار سنوية دون الكفاية. ونماذج تساقط الامطار الدورية التي تتناوب بين المواسم الطرية والجافة تسبب صعوبات جمة للزراع واصحاب المراعي. يقع الموسم الطري بين تشرين الثاني ويار، اما موسم الجفاف فيبدأ من اوتل حزيران ويمتد الى نهاية تشرين الاول، ومتوسط سقوط الامطار سنويا بين 3 و 10 انشات لمعظم المنطقة ويصل الى 20 انشسا تقريبا في الشمال. والمتوسط حوالي الموصل وحوصي نهري السزاب

<sup>1</sup> ب بورنع : التربة واحوال التربة في العراق (بعداد 1960) ص 78 و 211.

<sup>2</sup> برانس ، اسيا الجنوبية العربية (ص 229).

يبلغ من 15 الى 30 انشا سنويا. ويتبدل المناخ سنويا حسب تبدل تساقط الامطار خلال المنطقة. ففي اشهر الصيف تكون درجة الحرارة احيانا اكثر من 100 فهرنهايت في الصحراء وتصل الى مستوى 90 درجة فهرنهايت في الموصل<sup>1</sup> علاوة على الامطار الضعيفة يحجز نهرا دجلة والفرات ماءا اضافيا لري الزراعة الذي لولاه لم يكن في الامكان ممارسة الزراعة الا في المناطق القليلة التي تروى بسالمطر السنوي الكافي. تبدا منابع مياه دجلة في جبل طوروس في الاناضول الجنوبية الشرقية بجوار ديار بكر، وتجري من بحيرة غولجك، فتتجه دجلة الى الجنوب عبر الموصل الى تكريت وبغداد. ويمر النهر الى الجنوب ابعد من ذلك من خلال عدد من المستنقعات قبل ان ينقسم الى الفرات فيولفا شط العرب الذي يصب في الخليج العربي. وفي جنوب الموصل ينضم فرعان رئيسيان هما الزاب الاكبر والزاب الاصغر الى دجلة<sup>2</sup>.

ان الفرات ايضا يخرج منعه من جبال طوروس شمال شرقي مصادر مياه دجلة. وهو يتألف من اتصال نهري : فره صو و مراد صو، ويجري خلال بادية الشام حتى يصل الى الخليج العربي. ونهرا

---

<sup>1</sup> كاساق ص 229 - 230

<sup>2</sup> جورج بركريسي : ملئى الطرق : الارض والحياة في اسيا الجنوبية العربية (شيكاغو 1960) ص 148-149.

بليخ والخابور بصبان في الفرات، ووديان النهرين شهدت خلال التاريخ زراعة مزدهرة<sup>1</sup>، تجهز المياه الوفرة لهذين النهرين الماء للزراعة على شواطئهما لكنهما لا يستطيعان الوصول الى داخل الجزيرة وبديلا عن ذلك ارغم ابناء عشائر البادية على الاعتماد على عدة وديان واسعة للحصول على الماء. والوادي هو نهر جاف، وخلال موسم المطر قد يفيض الوادي بسيل زاهر عمقه عدة اقدام. وخلاف ذلك في الصيف يجف الوادي فيصبح مجرد ارض ندية. يوجد في الجزيرة واديان رئيسيان : وادي احيج ووادي الثرثار. وهذا الاخير، وهو اوسع الاثنين، يبدأ جنوبي جبل سنجار ويسير بمحاذاة نهر دجلة عند جريانه الى الجنوب قبل ان ينتهي في مستنقع يسمى ام رحل شمالي الرمادي. وبعد من ذلك الى الغرب وقليل الى الشمال اليو كمال يبدأ وادي احيج ايضا عند اقدام جبل سنجار، ومثل وادي الثرثار ينتهي في بحيرة مالحة تسمى الرودة. وهذان الوديان يكونان مصادر الماء لشمر خلال موسم الجفاف<sup>2</sup>.

توجد في ديرة شمر منطقتان للنبات. في جنوب جبل سنجار توجد منطقة سهل جاف يفصل السهل الشمالي الرطب عن البادية. وفي هذه المنطقة تشجيرات شوكية وحشائش نهى مراعي طيبة نوعا ما. اما

<sup>1</sup> كالسابق.

<sup>2</sup> سلسلة النشرات الجغرافية: العراق والخليج الفارسي (اكسفورد 1944) ص 77-79-81.

الاقسام الباقية من الجزيرة فأكثرها أرض صحراوية. وتزهـر خلال الربيع ورود البادية البرية مثل الخشخاش والخنثار والشعير السبري فنهـيئ بساطا عصا من النباتات الملونة. ولكن عندما ينفـدم موسم الجفاف تدبـل هذه الورود وتترك وراءها مجموعة اعتيادية من ادغال البادية والقصعين والشجيرات الصغيرة. وهذه الانواع من النبات تدعم المراعي، لكن نباتات السهل الجافة تهـيئ انحاء مفضلة لرعي الاغنام<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> كالسابق ص 75-81.

## السكان

ان الماء هو العامل المهم الذي يسيطر على نمو سكان الجزيرة وتجمعاتهم. وعند الكلام على الديموغرافية من المهم تصور المنطقة كمثلث، كل بجانب منه يتضمن الماء الكافي لدعم سكان ثابتين. يضاف الى ذلك ان داخل المثلث يمثل منطقة جافة لا تتحمل سوى سكان محدودي العدد. وعند النظر في هذه الصورة يستطيع الانسان بسهولة ان يتخذ فكرة عن نماذج الجزيرة السكانية. سكنت العشائر البدوية في ناحية كبيرة من هذه المنطقة خلال القرن التاسع عشر. وكانت طريقة حياتهم الرعائية تستغل بصورة مرضية موارد البادية المحدودة. وقد اقام في الجزيرة نوعان مختلفان من الرحل : عرب رحالة شغلوا امتدادات واسعة من البادية السورية وسائر السهوب الحافة وكونوا مجموعة واحدة<sup>1</sup> واكراد رحل يسكنون عند اقدام تلال الجزيرة الشمالية ألفوا المجموعة الاخرى<sup>2</sup>

اقامت عشائر زراعية ثابتة على سواحل انهر دجلة والفرات

<sup>1</sup> فون اوينهايم : البدو (الجزء الاول) ص 22-36.

<sup>2</sup> م. روبرت مونتاني : بعض مظاهر سكان الجزيرة العليا (في مجلة الدراسات الشرقية 2) 1932 ص 55-56.

والخابور وبلخ. ولم يكن لهذه العشائر عموماً قوة عسكرية كافية لمقاومة غارات السلب والنهب من جيرانها البدو. ولأن رجال العشائر هؤلاء المقيمين على شواطئ النهر يسلبون ويشغلون بأشغال يدوية فإن العرب البدو يعاملونهم بكل احتقار. ويظهر من استقراء التاريخ أن بعض العشائر الزراعية الساكنة كانت في الأصل بدوية، لكنها لأسباب مختلفة اتخذت بعد ذلك حياة الزراعة الثابتة.

بعض العشائر ربت قطعان اغنام لزيادة وارداتها الزراعية. وكما ذكرنا آنفاً أن هذه العشائر سكنت قرب أنهر الجريرة، ومن الشمال إلى الجنوب على شواطئ دجلة كانت أهم العشائر الزراعية المقيمة الجبور والبوحمدة والبو ددران قرب الموصل. ومثلها البو عباس والبو تميم وعشائر الجعشي اقامت على الشواطئ بين سامراء أو بغداد. وإلى الغرب في وادي الفرات كانت أهم العشائر الزراعية الفراعة والجبور والجنابيون<sup>1</sup>.

بالإضافة إلى هذين النهرين الرئيسيين هما نهرا البلخ والخابور مواطن لعشائر متعددة مستوطنة تمارس الزراعة ومنطقة جبل سنجار التي تتمتع بمطار سنوية كافية شيئاً ما فهيأت ناحية أخرى للسكان المستوطنين وقد تحمل أبناء العشائر اليزيدية في الزراعة في وديان هذه

<sup>1</sup> العراق والخليج العربي ص 364، 366، 369، 373.

المنطقة الجبلية<sup>1</sup> واليزيديون مثل العشائر النهرية المستوطنة عاشوا في تاريخهم وهم يخشون غارات السلب والنهب من جانب العشائر البدوية المجاورة، ولكن قريتهم من المنافذ الجبلية الخفية حماهم من القوة النامية للتخريب البدوي.

كانت حلب وبغداد والموصل اعظم مدن الجزيرة. وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قامت الحكومة العثمانية بأول محاولاتها للسيطرة التركيفية والادارية من هذه المدن التجارية. كانت طرق القوافل توصل هذه المراكز التجارية خلال قرون طويلة<sup>2</sup>. ومدن اخرى اصغر في الجزيرة قامت بنفس الادوار ولكن على نطاق اضيق. وعلى شواطئ الفرات استخدمت بلدان صغيرة مثل هيت ودير الزور والرقعة كمحلات مرور في طريق قوافل بغداد - حلب. وكانت اكثرية سكان المدن في الجزيرة من العرب.

<sup>1</sup> د. س. مارغليوث: اليزيدية (المعلمة الاسلامية، الجزء الرابع) ص 1163-1170.

<sup>2</sup> س. ب. غرانت: البادية السورية: القوافل، السفر، التحديات انيويرك 1938، ص 153.



## العشيرة البدوية

لما كان هذا المؤلف يدرس قبيلة شمر الجرباء فإن التحليل العام للحياة البدوية والتنظيم العشائري يعطي معلومات أولية عامة ضرورية لفهم تاريخ القبيلة. والمناقشة التالية تعالج العشائر البدوية عموماً. وسوف تدخل خلال الدراسة معلومات خاصة تقترح النواحي المختلفة لحياة شمر العشائرية.

قبل كل شيء، ماذا كانت العشيرة البدوية؟ ثم لماذا اتبعت شكلها الخاص من التنظيم الاجتماعي؟ إن الاعتبار الرئيسي في الجواب على هذه الأسئلة المهمة يتركز حول حقيقة إن البدو كانوا رعاة غنم. ولأجل إن يتمكنوا من العيش في بيئة قاسية وحرها الشديد، وفقدان الماء كلياً تقريباً، وطبيعة الأرض الصعبة، طور البدو نظاماً كفواً لتحويل موارد البادية الضئيلة إلى منتجات حافظة للحياة وقد استطاع البدو بتطوير شكل حياتهم إن يحلوا مشكلة العثور على الماء حيثما يكون في الوديان أو الآبار أو الأحواض الدائمة من خلال علم ذكي بأرض الصحراء<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> جور شلوب: بدو العراق الشمالي في صحيفة الجمعية الملكية لاسييا الوسطى الجزء 22 ص 1، (1935)، 15.

وكان الطعام العنصر الحيوي الثاني في وجودهم. فإذ البدو الخالص في البوادي العربية والسورية حلوا مشكلة الطعام بالاحتفاظ بقطعان الأبل المدجنة، وقيمة البعير وأهميته للبدو مشروحة شرحاً جيداً في النبذة التاريخية : وإن البعير كمصدر الطعام والصوف والجلد وسائر المنتجات وكوسيلة للحمل والنقل الشخصي يجمع في جنس واحد كل هذه الأمور للبدوي على مقياس لا يزاحمه أي حيوان اهلي آخر أو مجموعة حيوانات في المنطقة<sup>1</sup>، وبالنظر إلى حاجة البعير المستمرة إلى مراعى جديدة يتبع البدو حياة رحالة، وفي بادية الشام والجزيرة اتبعت شمر الجرباء كغيرها من معظم العشائر البدوية، شكلاً مقررًا (ديرة) في تنقلاتها السنوية. ففي مبدأ الربيع يقيم البدو عادة في مناطق السهوب التي تجاور البادية. وحين يصبح جو الصيف أشد حرارة حافضاً للنبات الضروري، تتحرك العشائر شمالاً قاصدة القلال والوديان المختلفة حيث تكون عادة المراعي الملائمة. وحالاً أشهر الصيف الحارة يضرب البدو خيامهم قرب منابع الماء أو الأبار. وعندما تبدأ أمطار الخريف تزور العشائر مراكز مدنية مختلفة حيث تقايض المنتوجات الحيوانية بالحبوب والتمور والمنسوجات القطنية والأدوات المعدنية. وأخيراً في آخر مراحل هجرتها الدورية تعود العشائر إلى البوادي الجنوبية حين يخيم برد الشتاء على شمال الجزيرة.

<sup>1</sup> لويس سيويت، الغارات على لأباعر لندر عرب الشمال : آلية التكيف البيئي (مجلة عالم الأحياء الأميركي) 67 (1965).

ويجد البدو عادة، وقد عادوا مرة أخرى إلى الجنوب، ألفا كافيا  
لمواشيهم<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> هري فيليه: علم الإنسان (انثروبولوجية) في العراق (الجزء الأول) شيكاغو 1940 ص 14.

## نظام العشائر

ان صلة الدم (القرابة) تؤلف الاساس لكل الموحّدات القبليّة الاجتماعيّة فالأسرة الابويّة الواسعة، او العائلة، الّفت الاساس لمجتمع شمر الانوي. والعائلة المؤلفة على شكل السلالة الابويّة تتضمّن الاب واولاده، وكلهم يسكنون في الجوار القريب ويشاركون في تملك قطيع العائلة. ثم تأتي بعد ذلك في مراتب النظام الاجتماعي " الفرقة " وهذه الوحدة تتألف من 100 الى 300 عائلة تشارك في جد مشترك يعود الى 5 الى 7 اجيال. وتكون ملكية الابار والمراعي بيد الفرقة. وهذه الوحدة تنتقل وتُخيم معا. والدية ايضا تحسم لدى هذه المجموعة<sup>1</sup>.

ويؤلف " الفخذ " المستوى الاعلى التالي في التنظيم الاجتماعي لعشيرة شمر. ويتحد عدد من الافخاذ لتأليف " العشيرة "، وهي اعظم تجمع للبدو. وتوحد صلة الدم (القرابة) الواحدة هذه المجموعة الكبيرة. لكن وظيفة العشيرة كقوة سياسية هيأت ايضا طبيعة الوحدة. والعشيرة وحدها فقط تستطيع معالجة الشؤون كحماية اللاجئين والمعياسة بين العشائر. وهذه المجموعة تهيئ ايضا القوة العسكرية

<sup>1</sup> لوثر ستير : شمر جربا (باللغة الالمانية) برلين 1967 ص 142-145 وعن امثلة اخرى للتنظيم العشائري راجع جبرائيل باير : السكان والمجتمع في الشرق العربي (مترجم عن العبرية بقلم حنة سروكي) لندن 1960 ص 122-127

## لحماية الوحدات الصغيرة عند اعدائها<sup>1</sup>

كانت كل عشيرة تختار احد اعضاءها شيخا. وفي اوقات الازمات الشديدة تتحد عدة عشائر لتؤلف اتحادا أكبر يعرف باسم " قبيلة ". ويختار الشيوخ المختلفون رعيما من بينهم يسمى " شيخ المشايخ " ليراس الاتحاد في الحرب. وبالرغم من كبر حجمها فان اكثر القبائل تضع اتحادها على اساس جد اعلى عام<sup>2</sup>

كانت المنافسة بين العشائر تمثل عنصرا اخر في تفهم المجتمع البدوي. وكل عشيرة بدوية كان لها علاقات عدائية تقليدية مع عشائر اخرى. ومنذ نهوض الاسلام في القرن السابع الميلادي لعب التنافس بين العشائر دورا شديد السوء في التاريخ العربي. مثال ذلك التنافس العشائري بين العشائر الشمالية العربية والجنوبية اثر تأثيرا شديدا في سقوط الدولة الاموية في القرن الثامن. ومع ان معنى هذا التنافس الاولي قد اضمحل خلال السنوات الالف الاخيرة فان ظاهرة التنافس العشائري استمرت تؤثر على عشائر الجزيرة. خصوصا ان شمر حاربت اعدائها التقليديين عنزة طوال القرن التاسع عشر وخلال النصف الاول من القرن العشرين<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ستين : شمر حرباء ص 142-45.

<sup>2</sup> كالسابق، قور اوبنهايم : البدو، الجزء الاول ص 30.

<sup>3</sup> رفايل يتاي: النهر الذهبي الى الطريق الذهبي: المجتمع، الثقافة والتحول في الشرق الاوسط (فيلاذلية 1962 ص 207 208).

## الانقسامات الاجتماعية

ظاهرة مهمة أخرى في المجتمع البدوي هي المراتب الطبقية بين العشائر المختلفة. فبعض البدو وضعوا في طبقة العشائر النبيلة، بينما اعتبر آخرون من العشائر التابعة. وقد أنتجت هذا التمييز في أحيان كثيرة القوة العسكرية والطاقة السياسية. وحدث هذا التمييز الخاص بسبب أن المجتمع البدوي رفع قيمة الشجاعة والجسارة. والأهمية الكبرى لهاتين الميزتين في تعيين مواقع الزعامة والاحترام سوف تمثل بأمثلة من تاريخ شمر<sup>1</sup>.

علاوة على ذلك كان البدو ينظرون إلى حياتهم المتنقلة كأنها طريقة الحياة الصالحة وحدها. وكانوا عموماً يحتقرون سكان المدن ويعاملونهم بازدراء. لكن البدو كانوا يحتقرون أيضاً العشائر العربية الأخرى التي تعمل في الزراعة مستوطنة أو نصف مستوطنة. وشمر بصفتها عشيرة نبيلة كانت تمثل القيم والمزايا الأنف ذكرها.

---

<sup>1</sup> روبرت مونتالي: حصار البادية: رحالة الشرق وأفريقيا (باريس 1947 ص 50-55).

ان المراتب الاجتماعية في داخل العشيرة الرحالة الصرفة مثل  
شمر الجرباء تقع على عدة مستويات مختلفة. فالرجال الذين يتمتعون  
بشهرة كمحاربين شجعان يشغلون موقعاً سامياً. والرعاة الذين يخدمون  
الثروة الحيوانية للعشيرة يشغلون المرتبة الثانية فسي سلم العشيرة  
الاجتماعي. والمهاجرون اللاجئون من العشائر المجاورة يمثلون ايضاً  
مجموعة خاصة ضمن العشيرة. ثم هناك العبيد السود الذين يخدمون  
الشيوخ بصيغة حرس وخدم يشكلون مجموعة اجتماعية اخرى. ويحتل  
ان أدنى مجموعة في العشيرة تشمل الحدادين وسائر العمال<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> أن بسانت: عشائر الفرات البدوية (نيويورك 1879) ص 411-413. فسون  
أوبنهايم. البدو (الجزء الاول) ص 32-33.

## شيخ العشيرة

كانت مشيخة العشيرة في اكثر الأحيان تقع في عائلة خاصة امتازت بصفات الشجاعة والزعامة والبطولة والحكمة خلال السنين. ولم يكن هناك مثالا مفررا للارث العشائري كالاتقال من الأب إلى الابن، وكانت تنتقل الرئاسة أحيانا إلى ابن عم أو عم أو اخ للشيخ المتوفى أبلى بلاء حسنا ضمن العشيرة. وينتخب الشيخ الجديد الرجال المسنون في العشيرة. ونتيجة لذلك كان الشيخ لا يحمل سوى القليل من القوة القاهرة على أبناء عشيرته، وكل الولاء والسلطة التي لديه تأتي من المزية الأدبية. والشيخ ينال الاحترام عن طريق شجاعته وفطنته السياسية وكرمه وحكمته وفصاحة لغته العربية.

وهذه المزاج لم تكد تتبدل منذ عهد السادة المشهورين في الجاهلية مثل الأحنف بن قيس وعامر بن الطفيل<sup>1</sup>.

ان وظيفة شيخ العشيرة تحمل واجبات عديدة بخصوص الشؤون

---

<sup>1</sup> عن سيرة السيدين في الجاهلية راجع: شارل بيلا: الأحنف بن قيس (المعلمة الإسلامية (2) الجزء الأول ص 303-304 وكاسكيل: عامر بن الطفيل (المعلمة الإسلامية (2) الجزء الأول ص 442. أيضا عن خصائص السادة في الجاهلية راجع عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين الجزء الأول (القاهرة 1968) ص 94، الجزء الثاني ص 89، 160، الجزء الثالث ص 210، 335-336، كتساب الحبرين الجزء الثاني (مصر 1965) ص 94-96، أبو عبيد اسمعيل بن القاسم الغالي: كتاب الأمالي الجزء الثالث (بيروت 1965) ص 118، ابن قتيبة: كتاب عيون الأخبار (الجزء الأول، القاهرة 1925 ص 227 -



العشائرية. فالشيخ، بحكم منصبه يحكم في الامور التي تتناول إعلان الحرب على عشائر اخرى وتنظيم فرق الغزو واستيلاء " الحياوه " (الإتاوة) من العشائر الضعيفة. والشيخ يتولى ايضا ضيافة الصيوف الزائرين ويزاول شؤون العشيرة<sup>1</sup>.

يضاف الى ذلك ان الشيخ يتولى أيضا الامور المتعلقة بإعلان الهدنة مع جار مقاتل او عقد احواف جديدة<sup>2</sup>، في داخل عشيرته نفسها كان الشيخ يقرر شؤون الهجرة متى والى أين. وكان يختار الأرض المناسبة للتخيم في الصيف. والقرار الخاطئ يؤدي الى موت النسابين له من العطش او فقدان حيواناتهم. وكان الشيخ يعمل في احيان كثيرة قاضيا في المنازعات بين رجال عشيرته. والعلاقات بين الحكومة المركزية، خصوصا تحصيل الضرائب وتأمين الأمن في ديرة العشيرة، ينفذها الرئيس<sup>3</sup>. كما ان رفاهية العشيرة تقوم مباشرة على مقدرة الشيخ. وسوف يرى من هذه الدراسة ان مقدرات شمر كانت تتمايل صعودا وهبوطا حسب نوعية شيوخها المختلفين.

وكان الشيخ، وهو يحمل اعباء مسؤوليات متعددة يحصل بسببها على مكافأة قليلة لمسماعيه. ويحتمل ان اهم مكافأة ينالها هي الاحترام

<sup>1</sup> غيليب ك. حتي : تاريخ العرب من اقدم العصور الى الوقت الحاضر (الطبعة التاسعة، نيويورك 1967) ص 28. بلنت البدو

<sup>2</sup> بلنت البدو ص 411.

<sup>3</sup> كالسابق.

والشرف الذي تمنحه له عشيرته. وفي المجتمع البدوي لا يوجد شرف اعظم للرجل من اعتباره احكم واشجع واقدر عضو في عشيرته. وعدا احتمال تمتعه بزوجات اكثر او محطية واملاكه عبيدا قلائل لخدمته فان حياة الشيوخ لم تختلف الا القليل عن حياة ابناء عشيرته. وكانت ملابسه عادة من نوع افضل وقد يملك احيانا احسن الخيول. لكن فيما يتعلق بالثروة الشخصية او الغنى النقدي، كان معظم الشيوخ فقراء نسبيا، الشيخ يعيش في اكبر خيمة لكن ذلك يعود خصوصا لان عليه استقبال الضيوف<sup>1</sup>.

عدا منصب الشيخ لم يكن نسبيا سوى منشآت قليلة في العشيرة البدوية. كان ثمة مجلس لكبار السن يجتمع مع الشيخ ويقدم المشورة في الشؤون العشائرية، وهذا المجلس يقوم بوظيفة المداولة اكثر من كونه يتخذ القرارات والقاضي العشائري يعالج الشؤون القانونية بتفسير نظام معين من العرف العشائري الذي يتناول فعلا كل امور الحياة البدوية. وهناك موظف عشائري اخر هو الكاتب (السكرتير). ولما كان اكثر الشيوخ اميين فهذا الكاتب كان يشغل منصبا قويا لانه يتولى كل شؤون العشيرة علاوة على مسك الحسابات وتحرير المكاتيب<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> جون أوبنهايم : البدو، الجزء الاول ص 29-30.

<sup>2</sup> كالماسيك ص 30-31. بيليف: العرب والاسلام والخلافة العربية (مترجم عن الروسية بقلم ادولف غورفتش (نيويورك 1969) ص 61-62.

## العادات والقيم البدوية

بالنظر الى طبيعة المجتمع البدوي يعتمد الفرد على جماعته في الحماية والدعم والرفقة، فلا تسمح الحقائق الشديدة لحياة النادية ببديسل عن تضامن الجماعة. ان الفرد بنفسه لا يستطيع ان يحارب المنساخ او الحكومة او عشيرة معادية. وقد تطور القانون العشائري (العرف) الى نظام مسؤولية الجماعة لحسم الجرائم المعروفة بالثأر للدم (دية). فاذا اساء احد اعضاء الجماعة الى عضو من جماعة اخرى فقد كان واجبا على الجماعة التي تحملت الاذى ان تنال تعويضا. وكانت حماية شرف العائلة نقطة اساسية في الحياة البدوية<sup>1</sup>

كما ذكر سابقا اعتبر المجتمع البدوي اعظم قيمه الاجتماعية الشجاعة والبسالة في القتال والذكاء الشخصي. وبسبب الهمية الموصوعة على هذه الصفات، صنع المجتمع البدوي نظام "الغزو" فيما بين العشائر حيث يستطيع المرء ان يبرز مقدراته. وكانت العشائر تهيب بعناية للغزو على اعدائها وتحاول ان تستولي على مواشيها وخيامها. ومع ان هذه الغارات تجري حسب شروط مشددة

---

<sup>1</sup> ماكس فريهر فون اوبنهايم: من الخليج العربي الى الحواشي البادية السورية والعراق؟ (بالألمانية) الجزء الاول برلين 1899-1900 ص 90.

فإنها كانت تتم أحيانا في جو رياضي، وقد نشرت قصص مثيرة تصف  
ذكاء وبسالة عشيرة معينة أو شخص معين، لكن قليلا من الناس يقتلون  
أو يجرحون. وفي المدى الطويل كانت العشيرة في معظم الأحيان  
تخسر بقدر ما تربحه بسبب الغارات (الغزوات) المتقابلة<sup>1</sup>.

وكانت العشائر البدوية القوية أيضا تزيد من هيبتها فضلا عن  
إيرادها باستيفاء "الخاوة" (الحوة، الاتاوة) من العشائر الضعيفة.  
وكانت العشيرة القوية تعد بالامتناع عن الهجوم على إحدى القري أو  
العشيرة الضعيفة وكذلك حمايتها، من غزوات العشائر الأخرى مقابل  
مدفوعات ستوية معينة. والعشائر فرضت الخاوة أيضا على القوافل  
التجارية التي تمر بديرتها. ومن الواضح أن الخاوة لم تكن أكثر من  
ابتزاز لأن العشيرة قلما تقدم حماية فعالة<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> سويت : غزوات الجمال (محاضرة عالسم الانثروبولوجية الأميريكي، 67) 1965  
ص 1132 - 1150.

<sup>2</sup> جون بركهاردت : ملاحظات عن البدو والوهابيين (لندن 1837) ص 227.

## السياسة الجغرافية في الجزيرة

بعد استعراض نواحي الحياة المختلفة في الجزيرة يعطي تحليل القوى وتفاعلها بعضها ببعض تفهما افضل للتوازن الاجتماعي في المنطقة. في نهاية القرن الثامن عشر شمل المجتمع في الجزيرة ثلاثة اصناف من السكان : مراكز مدنية كالموصل وحلب وبغداد فضلا عن بلدان ريفية صغرى مثلت قطاعا واحدا، وهذه المدن وجدت شبه جزر معزولة بسببها فيما يمكن اعتبارها بادية واسعة وبحر سهوب وكسات العشائر البدوية تسيطر في معظم الاحيان على هذا البحر. وهذه المسدنة (او الجزر) تمثل مواقع الحكومة الادارية، وتحوي كل منها على قواتها العسكرية الخاصة وتحاول ان تؤمن الامن الدائم لمنطقتها الادارية.

والمناطق التي تقوم حول الجزر الادارية المدنية كانت منقسمة بين العشائر الرحالة الزراع. وبسبب احوال مختلفة كالحُدود التي يعرضها الري وفقدان الامن عموما من غزو البدو، كان الرراع يشعلون مواضع عسيرة على طول الانهر والقنوات. وبالنظر الى مقدرة البدو العسكرية العالية فانهم كانوا يسيطرون على مناطق واسعة من البادية والسهوب. وفي سنة 1800 قام نوازن منظم بين قطاعات المجتمع المختلفة بشرط ان أحدها لم يخل كثيرا بمزايا الاخرين.

## ولاية (باشوية) بغداد سنة 1800

بالنظر الى بعدها الجسيم عن الأستانة كانت ولاية بغداد، مثل الكثير من الولايات في الإمبراطورية، تتمتع باستقلال نسبي في بداية القرن التاسع عشر. لقد انقطعت السيطرة الإدارية العثمانية المباشرة سنة 1749 حين شغل منصب الولاية أول مملوك جركسسي سليمان باشا. وحكم بغداد عدة ولاء من المماليك من ثمانين سنة بدون تدخل غير معهود من الأستانة. وأنشأ باشوات المماليك بلاطا ونظاما حكوميا يشبه كثيرا بلاط السلطان العثماني ونظامه<sup>1</sup>.

كان يحيط عادة بالباشا الحاكم بلاط بادخ يملأه موظفون متعددون. وكان الحكام في المناطق الادارية في البصرة وكركوك وماردين تعينهم بغداد. ويخدم الباشا موظف مماثل لرئيس وزراء السلطان، يعرف بأسم "الكهية"، مساعدا رئيسيا له. وهنالك موظفون اداريون اخرون كالدفتردار (جامع الضرائب) ورئيس التشریفات والكاتب باب العرب (الموظف المسؤول عن شؤون العشائر) يؤلفون "الديوان" (المجلس) الذي يستشير الباشا<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> لونغريخ : اربعة قرون من 163-248.

<sup>2</sup> كالسابق من 250-251.

يتولى عدد من الوحدات المختلفة الشؤون العسكرية في الولاية. ويقوم مماليك من الكرج بخدمة الباشا كحرس شخصي. وكتائب المماليك كانت تقدم جيشا دائما يستخدم في الحملات المحلية ضد الامراء الصغار الثائرين والعشائر العربية. ويضاف الي كتائب المماليك جنودا مرتزقة من قبيلة عقيل فكانوا يحاربون في حملات عديدة ضد العشائر المتمردة<sup>1</sup>. وعلاوة على عقيل كانت تجند قوات مساعدة من العشائر الصديقة الرحالة ونصف المستوطنة<sup>2</sup>.

حتى داخل حدود ولاية بغداد شبه المستقلة اداريا لاس عدة امراء يسيطرون على انحاء صغيرة مستقلة من حكم المماليك. ففي الموصل كانت الاسرة الجليلية مثلا تلي منصب الولاية لاكثر من قرن واحد. ومع ان سيطرتهم لم تكن تمتد احيانا الى ابعد من اسوار المدينة فان الجليليين كانوا عموما اقوى من ان يستطيع باشا بغداد التغلب عليهم<sup>3</sup>. ومثل ذلك حوالي البصرة في العراق الجنوبي كانت قبيلة المنتفق القوية التي يحكمها آل السعدون تمثل قوة مستقلة مماثلة. وقد تجسدت القبيلة مرارا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر سيطرة

---

<sup>1</sup> خلال القرن الثامن عشر استوطن العقيل الرحالة خارج اسوار بغداد واخذوا ينظمون قوافل تجارية. ثم انتقلت القبيلة الى داخل البلدة وخدمت باشوات المماليك المتأخرين كجيوش مرتزقة.

<sup>2</sup> لونغريغ: اربعة قرون ص 251.

<sup>3</sup> سليمان الصائغ . تاريخ الموصل (القاهرة 1923) ص 302-309.

الحكومة<sup>1</sup>، و إلى شمال بغداد وشمال شرقيهما حكم زعماء عشائريون  
أكراد دولا صغيرة.

كانت أسرة آل بابان تمثل أهم الأسر الكردية في العراق. وهؤلاء  
الأمراء الصغار الذين بدأت أصولهم في القرن السابع عشر، كانوا  
يسيطرون على المناطق الجبلية التي تحيط بعاصمتهم السليمانية. وكانت  
المنطقة التابعة لحكم البابان تختلف حسب قوة الحاكم. وفي أوقات  
مختلفة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر امتد حكم آل بابان  
إلى الشرق على مشارف نهر الزاب الأصغر إلى نهر دجلة. وكان  
باشوات بغداد، وهم مستائون دائما شيئا ما من البابان، متذبذبين في  
علاقاتهم مع جيرانهم. وفي مناسبات مهمة عديدة في تاريخ العراق  
في القرن الثامن عشر أنقذت الجيوش البابانية مدينة بغداد من الدمار.  
ومع أن المماليك عاملوا آل بابان بشدة أحيانا فإنهم كانت لهم أسباب  
طيبة لمعاملة هؤلاء المقاتلين الأكراد باحترام لائق<sup>2</sup>.

و أسرة بهديان حكمت إمارة كردية أخرى قامت شرقي الموصل،  
وشمال شرقيها. وكان آل بهديان من عاصمتهم في العمادية  
يسيطرون على منطقة تمتد من نهر الزاب الأكر في الشرق إلى دهوك  
وأحيانا إلى زاخو في الغرب. وامتد نفوذهم إلى الإمارات الكردية

<sup>1</sup> لوغريغ: أربعة قرون من تاريخ العراق (راجع الفهرس في مادة المنتفق).

<sup>2</sup> ستيفن هيس. لوغريغ: بابان (في مطبعة الإسلام 2 الجزء الأول ص 845).

ف. مينورسكي (في مادة الكرد، مطبعة الإسلام الجزء الثاني، ص 1147).



المجاورة لهتان ومكاري في الشمال وصوران في الجنوب. وفي السنوات 1726-1767 امتاز آل بهديان بقوة كبيرة خلال حكم بهرام باشا. لكن في الايام التالية اخل التنافس بين ابناء الاسرة بقوة هذه الامارة التي حققت نهائيا بسنجد الموصل سنة 1838<sup>1</sup>.

وكان البدو العرب في بادية الشام والجزيرة يمثلون عنصرا اخر في توارن القوى المتحول دائما في ولاية بغداد كان البدو يعوزهم عسكريا قوة النار المركزة لجيوش المماليك المجهزة بالمدافع. ولكن رجال العشائر البدوية كانوا في الكثير من الاحيان يدحرون قوات الحكومة المسلحة تسليحا احسن بخططهم المفضلة وسرعة حركتهم وشدة تضامنهم. ففي سنة 1800 كانت اقوى العشائر العربية في داخل ولاية بغداد المنتفخ في الجنوب والخراسان في العراق الاوسط وعنزة غربي الفرات والعيبد التي سيطرت على معظم الجزيرة. وهذه العشائر واخرى دونها قوة هددت دائما السلم والامن<sup>2</sup>.

فبما عدا القتال مع القوات الحكومية اخلت العشائر العربية بالولاية بطرق عديدة اخرى. وكانت طرق المواصلات الداخلية كطرق قوافل البادية والطرق والانهر ضحايا سهلة لفرق الغزو البدوي. وبمضايقه القوافل التجارية وبهبها دائما كانت العشائر البدوية كثريرا

<sup>1</sup> شيقن لوميريج: بهديان (في معلمة الاسلام 2 الجزء الثاني ص 920).

<sup>2</sup> العراوي ' عشائر العراق (الجزء الاول ص 120-125).

مما تقطع سبل التجارة الطويلة خلال اشهر. وكان نهب القرى الزراعية والحقول المحيطة بها وحرقها خطة اخرى محببة للبندو. وخلال القرن التاسع عشر شددت الاخبار على حالة الفوضى والدمار في الارياف العراقية<sup>1</sup>.

لو كان شيء من الأمن يسود في العراق لكان على باشا بغداد ان يتوصل الى تفاهم مع البدو المتمردين. وكما سنشرحه بصورة اكثر تفصيلا في الصفحات الآتية، حاول الولاة احيانا ان يسيطروا على العشائر العربية بمنح امتيازات الى بعض العشائر وخلق الاحتكاك بين العشائر والاعتراف بزعيم منافس في داخل العشيرة. ويظهر ان جيسوش المماليك كانت ترسل فقط ضد العشائر المتمردة حين تخفق كل طرائق السيطرة الاخرى. وهذا النفور من استخدام القوات الحكومية نشأ عن حقيقة ان هذه القوات كثيرا ما اخفقت في دحر العشائر البدوية القوية.

---

<sup>1</sup> مكي الحميل : البداوة والبدو (1962) ص 40-41.

# **الفصل الأول**

**وصول شمر الجرباء الى الجزيرة**



## شكل الاحتلال البدوي

في اوقات كثيرة خلال التاريخ قذفت البادية العربية بموجات من عشائر البدو هاجرت الى الاراضي المجاورة. وهؤلاء البدو، بعد وصولهم، غيروا التوازن السياسي والاجتماعي والاقتصادي في مواطنهم الجديدة. وهذه الهجرات التي حدثت في فترات مختلفة من الزمن اثرت تأثيرا محسوسا في تاريخ العراق. اول اجتياح بدوي جاء من جزيرة العرب خلال الالف الثالث قبل الميلاد مندفعاً على الحضارة السومرية<sup>1</sup> وعند وفاة النبي محمد (ص) مؤسس الاسلام سنة 632 م حدثت هجرة اخرى مهمة اتخذت شكل الفتوحات الاسلامية في القرن السابع الميلادي<sup>2</sup>. ومنذ ذلك الحين استمرت الهجرات البدوية لكنها لم تنتج النتائج العظمى للهجرات السابقة. وبدلاً من تغيير الحضارات الكبرى او نشر دين جديد، لم تفعل سوى تغيير جماعة من الرحالة شبه المستوطنين بجماعة اخرى من الرحالة الخالص.

خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر خصوصاً استمرت

<sup>1</sup> حتى: تاريخ العرب ص 11، ديفيد أوتسي دراسات في التاريخ القديم للعراق الشمالي (لندن 1968) ص 1/18.

<sup>2</sup> فرسيسكو غبرييلي: محمد والفتح الاسلامي، مترجم عن الايطالية بقلم فيرجينيو لولسغ وروزندليل (نيويورك 1968) ص 18، 188، حتى تاريخ العرب ص 143/146.

العشائر البدوية على الهجرة من شمال جزيرة العرب الى العراق<sup>1</sup> وهذه العشائر بسبب ثقافتها البدوية بقيت عموما في مناطق العراق الصحراوية حين تحركت الى الشمال وطريق تنقلها هداها في اول الامر الى بادية الشام. وبمرور الزمن هذه العشائر اما بقيت في تلك البادية غربي نهر الفرات او عبرت النهر ومضت الى الشرق في المنطقة المعروفة بالجزيرة. وعدد كبير من العشائر المنقلة الى الشمال من خارج جزيرة العرب بقيت في بادية الشام. وتاريخ هذه العشائر الاخيرة يقع خارج نطاق هذه الدراسة. في هذا المؤلف يفضل اختصاص الدرس بتاريخ عشيرة شمر الجرباء التي عبرت نهر الفرات واتخذت الجزيرة موطنها لها<sup>2</sup>

قدم المؤرخون خلال القرن الاخير شروحا كثيرة عن سبب حدوث هذه الهجرات البدوية المختلفة. وارتأى بعض العلماء ان تضخم السكان في بعض العهود في جزيرة العرب بسبب الهجرة. وارتأى اخرون ان تغييرات المناخ، كازمنة طويلة من الجفاف او الحر الشديد جدا، قد دفعت بالبدو الى طلب مراعي اكثر خصبا خارج الجزيرة العربية. وبصدد الفتوحات الاسلامية كانت الحماسة الدينية بوجه خاص تفسر

<sup>1</sup> حوراني: نظرة في التاريخ ص 42/40.

<sup>2</sup> عن الهجرة الاخيرة راجع بقلت: العشائر البدوية ص 372/374.

تتقلات البدو<sup>1</sup> وهناك ايضا تفسير اخر لهجرة البدو في مثال الوهابيين في اواخر القرن الثامن عشر. فهذه الحركة المتحدة والقوية سياسة ودينا أرغمت العشائر الضعيفة على الانصياع لسيطرتها او طلب اللجوء الى اقاليم اخرى. وهكذا نجد ان عددا من العوامل المسببة قد اثرت في الهجرة<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> غبريلبي: الفتوحات الاسلامية ص 103/106/245/248.

<sup>2</sup> عن التاريخ العام للحركة الوهابية في القرن الثامن عشر راجع هـ سستنج، ب، فيلي، جزيرة العرب (لندن 1930) ص 8/102.

## هجرة شمر : المرحلة الاولى

1690 – 1760

بدأت احدث هجرة للبدو العرب على مقياس واسع الى بادية الشام والجزيرة في القرن السابع عشر المتأخر ويلاحظ في الحقيقة حصول مرحلتين مختلفتين للهجرة<sup>1</sup>. بدأت المرحلة الاولى في النصف الاخير من القرن السابع عشر حين مضت عشيرتا شمر وعذرة كلتاهما الى الشمال من نجد في البحث عن مراعي خصبة. وهاتان العشيرتان تحركتا بجماعات صغيرة حتى وصلتا الى الشاطئ الجنوبي من نهر الفرات حيث بقينا قسم من السنة. بالنظر الى عددهما الصغير لم تخلقا خلافا كبيرا نسبيا بين العشائر الكبيرة المتوطنة في المنطقة. ولكن لم تحل سنة 1696 حتى عبرت شمر نهر الفرات في الفلوجة وشنت عدة غارات على ولاية بغداد<sup>2</sup>.

جوابا على هذه الغارات الاولى على اراضيها ارسل باشا بغداد جيشا لمحاربة العشيرة الغازية وارغمها على اعادة عبور النهر. وخلال نصف القرن الثاني استمرت شمر على الغزو شمالي الفرات. وكانت

<sup>1</sup> غراف: عذرة (معلمة الاسلام) الجزء الاول، لندن (1960) ص 482/483.

<sup>2</sup> هون اويهايم: البدو، الجزء الاول، ص 133.



العشيرة متمردة خصوصا حين غزا نادر شاه العراق سنة 1733<sup>1</sup>.  
وحتى في عهد الحكم القوي لسليمان ابي ليلة الوالسي المملوكي  
الشهير (1749 - 1762) وصل غزاة شمر شمالا حتى بغداد<sup>2</sup>.  
وكان الرحالة الدنمركي الشهير كارستن نيبهر، في اثناء سفره  
على سواحل الفرات سنة 1765، قد رأى الكثيرين من رجال شمر  
بين هيت وكربلاء في العراق الاوسط. وفي ذلك الوقت كانت العشيرة  
تعرف باسم "شمر العراقية" وتشمل فرعي الزغاريط والاسلم. وهذه  
المرحلة الاولى لهجرة شمر لم يكن لها الا تأثير ضئيل على الحالة  
المتوطنة في جنوب العراق<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> العزاوي: تاريخ العراق (الجزء الخامس ص 224/245) عن نشاطات شمر الاخرى فسي

العراق راجع ص 169/170 (1706) 177 (1708) او 215/216 (1725).

<sup>2</sup> لوبيرغ: أربعة قرون من تاريخ العراق ص 172.

<sup>3</sup> كارستن نيبهر: رحلة جزيرة العرب (كوبنهاغ 1772) ص 392.

## خاتمة شمر : المرحلة الثانية

1790 – 1840

في نهاية القرن الثامن عشر لم تزل أكثرية اتحاد شمر القوي المؤلف من الفروع امثال عبدة والأسلم وسنجيرا وتومان - تقسيم في منطقة نجد شمال جزيرة العرب. وبدأت مرحلة ثانية لهجرة شمر حوالي سنة 1790 حين شهدت العشيرة ضغطا عسكريا متزايدا من جانب الحركة الوهابية<sup>1</sup> والبحث المفصل التالي لنشاط الوهابيين في العراق الجنوبي وشمال جزيرة العرب خلال سنوات الـ 1790 يشرح بوضوح الاحوال التي ارغمت شمر الجرباء على الهجرة الى العراق. ظهرت الحركة الوهابية في سنوات الـ 1750 حين اخذ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة الى اسلام اصلاحي ومحمد بن عبد الوهاب الذي اتبع المذهب الحنبلي كما فسرهُ ابن تيمية رأى كل اصلاح أدخل بعد القرن الهجري الثالث " بدعة"<sup>2</sup>

هاجم الوهابيون، في دعوتهم الى التوحيد المشددة، تعظيم الاولياء

<sup>1</sup> مونتاني: قصص شمرية للبدو (في مجلة الدراسات الشرقية، 5 (1935) ص41.

<sup>2</sup> بايلي ويندر: العربية السعودية في القرن التاسع عشر، (نيويورك 1965) ص8/15.

الزائد لدى الطرق الصوفية. وبالنظر الى آرائه المتطرفة ارغم ابن عبد الوهاب على الفرار من بلده، وطلب اللجوء الى بلدة الدرعية تحت حماية زعيم البلدة محمد بن سعود. وفي الدرعية مرج محمد بن عبد الوهاب نشاطه الديني بالقوة العسكرية السعودية لخلق قوة متوسعة سيطرت على اكثر انحاء جزيرة العرب<sup>1</sup>. على اثر وفاة محمد بن عبد الوهاب سنة 1792 اندفعت القوة الوهابية الى الشمال نحو العراق وتغلست على عشيرة بني خالد في الاحساء. وبلغت الجماعات الوهابية الغازية ديرة المنتفق على ساحل الفرات في العراق الجنوبي مبكرا في سنة 1790. وهذه الغارات الصغيرة في بداية الامر اصبحت شيئا فشيئا تهديد عشائر نجد والعراق الجنوبي<sup>2</sup>. وخلال سنوات الـ 1780 كثيرا ما انضمت شمر الى بني خالد والمنتفق وشريف مكة في مهاجمة عدوهم المشترك<sup>3</sup>. لكنهم في سنة 1791 ثار ابن سعود من شمر في معركتين فاصلتين قرب ابار عدوة (على بعد نحو سبعين ميلا جنوب شرقي حائل)<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> مارغليوث، الوهابية (معلمة الاسلام، الجزء الرابع) ص 1086/1087.

<sup>2</sup> صلاح الدين المحطار: تاريخ المملكة العربية السعودية (الجزء الاول، بيروت 1957) ص 52/54.

<sup>3</sup> فور اوينهايم: البدو (الجزء الاول) ص 134.

<sup>4</sup> حسين بن غنام: تاريخ نجد (مصر 1961) ص 171/179.

في معركة أولية فاجئت قوات ابن سعود شمر وهي مخيمة قسرب  
أبار عدوة.

وبالرغم من دفاع نشيط هربت شمر المندحرة، بعد أن فقدت  
قائدها حصان إبليس، تقصد البادية. ولما انتشر خبر هذا العصر  
الوهابي، خططت العشائر المجاورة للثأر لاندحار شمر المهين. وفي  
نفس السنة قامت جماعة بدوية كبيرة في ضمنها محاربون من شمر  
بمقاتلة الوهابيين مرة أخرى ودحرت مرة ثانية<sup>1</sup>. وموت مسلط بن  
مطلق الجرباء في هذه المعركة دفعت أباه الحزين مطلق بن محمد  
الجرباء إلى الهجرة مع فرع عشيرته الشمرية إلى الأنحاء الأكثر أماناً  
في جنوب العراق. وهكذا بدأ تاريخ شمر الجرباء في العراق سنة  
1791<sup>2</sup>.

أصبحت تجاوزات الوهابيين في جنوب العراق أكثر وقوعاً بعد  
سنة 1792. وفي مبدأ 1795 حثت الحكومة العثمانية باشا بغداد  
على مقاتلة المحاربين المتحمسين من جزيرة العرب. لكن الباشا  
الشيخ تجاهل هذه الطلبات السلطانية. وفي محله نظم الشيخ ثويني  
الزعيم الأكبر لعشيرة المنتفق القوة جيوشاً وتجهيزات للهجوم على

<sup>1</sup> كالسابق؛

<sup>2</sup> فور أويهايم: البدو (الجزء الأول) ص 134.

الوهابيين في ربيع سنة 1797. ومضى الشيخ ثويني يصحبه مرتزقة من العقيل وقوات من الكويت والبحرين والزابير، من مقره في السهجرة الى الاحساء. وتقدم حتى صار يهدد السيطرة الوهابية على ناحية الاحساء من دولتهم. لكن الحملة سرعان ما بلغت نهايتها في ليلة اول تموز 1797 في الشبك حين اغتال عدد اسود الشيخ ثويني، فهلج الجيش الكبير واختفى بسرعة اذ لاذت كل جماعة منه بالنجاة<sup>1</sup>.

نشب القتال مرة اخرى بين شمر الجرباء والوهابيين في ربيع 1798 حين عادت قوات ابن سعود بنسب وادي الفسرات شمالي الشيوخ. وفي اثر حملة المنتفق الخائبة قاتل ابن سعود عدة عشائر بدوية بضمنها شمر قرب السماوة. وقد مات الشيخ مطلق بن محمد الجرباء في هذه المعركة الشديدة وخلفه اخوه الاصغر فارس شيخا اعظم لشمر<sup>2</sup>.

خلال السنوات الثلاث التالية انضمت العشيرة الى عدة حملات حكومية ضد الوهابيين. وكانت اكبر هذه الحملات قد خرجت من بغداد بقيادة الكهيا علي باشا في صيف 1798، وكانت تشمل على خمسة الاف ينكشري وجماعات من عشائر العقيل والعبيد وشمر. وصل الجيش الى البصرة في كانون الاول، وفي هذه البلدة ضخم

<sup>1</sup> لوبعري: أربعة قرون من تاريخ العراق (ص 213/215).

<sup>2</sup> المعزوي: تاريخ العراق الجزء السادس ص 125/126

المحاربون من الظفير والمنفق وبني خالد عدد المساعدين العرب التي  
اكثر من عشرة آلاف مقاتل. خرج علي باشا من الزبير وذهب في حملة  
طالت سنة واحدة بدون ثمرة لم تسفر الا عن هدنة ضعيفة بين الفريقين  
المتحاربين<sup>1</sup>. وبعد اقل من سنة استؤنف القتال حين التفت قسوات  
عشائرية بقيادة محمد الشاوي وفارس الجرباء بالوهابيين فسي معركة  
غير حاسمة قرب كربلاء<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> لوغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق (ص 215/216).

<sup>2</sup> رسول الكركوكلي، دوحه الورداء (ترجمة من التركية موسى كاظم سورس، بيروت  
1963) ص 214.

## شمر الجرباء في الجزيرة

1800 - 1818

شمر الجرباء بقيادة الشيخ فارس، وقد أخرجها الوهابيون من ديارها في نجد، لجأت الى داخل ولاية بغداد حيث وجدت مأمناً مؤقتاً في جنوب العراق. ثم عبرت العشيرة بعد ذلك نهر الفرات وهاجرت الى الشمال نحو جبل سنجار الذي يحتمل انها وصلت في شتاء 1802 - 1803<sup>1</sup>. لا ريب ان شمر وجدت ولاية بغداد تختلف كثيراً عن موطنها الصحراوي السابق في شمال جزيرة العرب. وقد تركت موقعها كالفوة العظمى في نجد، وجدت شمر ولاية بغداد يشغلها عدد من العشائر الكبرى. ولأول مرة وجدت العشيرة نفسها تعيش في ظل حكومة مركزية تستطيع ان تمارس سيطرة ادارية وعسكرية جسيمة. وهكذا كان على شمر واجب مثلث بالحصول على ديرة عشائرية تعيد تثبيت مكانة شمر بين العشائر البدوية الاخرى والعيش تحت حكومة المماليك المركزية، وذلك شغل سيرة فارس الجرباء التي بلغت 18 سنة. ولما كانت شمر تفتقد القوة والنفوذ الذي للعشائر القوية كالمفتق والخزعل والعبيد فقد بقيت مقدرتها من 1800 الى 1818 تستند على

---

<sup>1</sup> كالسابق: ص 223/225

دعم باشوات المماليك، و الشيخ فارس قد أقنع سليمان باشا باطلاعه المباشر على شؤون الوهابيين ودفاع عشيرته النشيط عن العراق الجنوبي فصار يتمتع بتأثير سياسي محسوس حين خف الضغط الوهابي على العراق الجنوبي سنة 1801<sup>1</sup>. وفي هذا الوقت يظهر ان شمر قد احتفظت بعلاقات طيبة مع كل العشائر العراقية فعلا، وفي مناسبات متعددة حارب رجال العشيرة مع عشائر المنتفق والعبيد وحرعل والظفير والزبير ضمن قوات ابن سعود<sup>2</sup>.

حصل نزاع شديد على الخلافة اوقف مؤقتا شؤون الولاية سنة 1802 عند وفاة سليمان باشا الكبير بعد حكم امتد 22 سنة. وكان النجاح حليف علي باشا الكهية في عهد الباشا المتوفى علي اثر صراع واسع بين المنافسين، وبدا هذا الحكم خمس سنوات في منصب ولاية بغداد<sup>3</sup>. وفي اواخر نفس السنة سحب فارس الجرباء وعشيرة العبيد بقيادة محمد بك الشاوي الوالي الجديد في حملة ناجحة على اليزيديين في جبل سنحار<sup>4</sup>. وبينما كان الجيش المختصر معسكرا في

<sup>1</sup> فون اوينهام، البدو، الجزء الاول ص 145

<sup>2</sup> العزاوي: تاريخ العراق الجزء السادس ص 128/125.

<sup>3</sup> جون غوردن لوريمر: جغرافية الخليج العربي وعمان وجزيرة العرب الوسطى، الجزء الاول اب (لندن 1913) ص 1298/1299.

<sup>4</sup> احتل نفوذ العبید السياسي والعسكري في الجزيرة الى بعد نحو مئة سنة من قبل، ففي اوائل القرن التاسع عشر وطدت العشيرة موقع قوتها بالسيطرة على العشائر العربية



تلعفر عند عودته الى بغداد، اعتقل علي باشا زعيم رؤساء العبيد محمد بك الشاوي واخاه الاصغر الحاج عبد العزيز بك وأعدمهما فوراً<sup>1</sup>.

شرح ذلك أحد المؤلفين قائلا :

" إن محمد بك اعظم رعايا الولاية العرب قتل بسبب الحسد والخوف وذكرى الخيانة المرتاب فيها حين ترسل مع العدو في الحملة على نجد سنة 1799<sup>2</sup>.

خاف جاسم بك ابن محمد بك على حياته ففر مع رجال عشيرته العبيد نحو نهر الخابور. وانضمت شمر الى علي باشا في حملتين خاسرتين ضد ثوار العبيد سنة 1803<sup>3</sup>. وبعد سنتين في 1805 قامت

---

الاصمغ منها الجبور وطي، وخدمت الاسرة الشاوية، التي قدمت الرؤساء الكبار لعشيرة العبيد، بعد ذلك باشوات بغداد بصفة جنود ومستشارين وسياسيين. وهذا التدخل الوثيق في شؤون الولاية كثير ماترك ال الشاوي ورجال عشيرة العبيد في الجهة الخاسرة في منازعات السلطة في البلاد. وخلال النصف الاخير من القرن الثامن عشر استلهدت العشيرة مرتين اضطهادا شديدا من قبل اعدائها المعياسين، وفي سنة 1800 كان محمد بك الشاوي يشغل منصب باب العرب المهم في عهد سليمان باشا. وهذا المنصب جعل منه "الوكيل" في سلاط الباشا عن شيوخ جميع العشائر التابعة للولاية (لوريمر، الجغرافية، الجزء الاول أ ب، ص 1298). للحصول على معلومات اخرى عن قبيلة العبيد راجع فور اوينهايم؛ اليدو (الجزء الاول) ص 195/189.

<sup>1</sup> الكركوكلي: الدوحة ص 225/223.

<sup>2</sup> لوغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص 223.

<sup>3</sup> الكركوكلي: الدوحة ص 225/224.

قوة حكومية كبيرة بضمنها مساعدون من شمر بامرة فارس الجرباء  
لدحر عشيرة العبيد نهائيا في ملتقى نهري الخابور والفرات<sup>1</sup>. وهكذا  
عشيرة العبيد، التي كانت في حين ما قوية، قد ضعفت عسكريا  
وفقدت نفوذها السياسي السابق فعبرت نهر دجلة فتوطنت بين الزاب  
الاصغر ونهر دبالى<sup>2</sup>.

وفي اعقاب سقوط العبيد اصبحت شمر الجرباء العشيرة الرئيسية  
في الجزيرة فقط، بل حصلت ايضا على درجة جديدة من النفوذ  
السياسي في بغداد<sup>3</sup>. وقد ساعد الشيخ فارس مرارا علي باشا في  
الحملة المحلية حتى اغتيل هذا الاخير في آب 1807<sup>4</sup>. وفي ربيع سنة  
1808 خلف سليمان باشا المعروف بالصغير عمه المتوفي علي ولاية  
بغداد. ومع انه كان نبيها وذكيا وشجاعا شيئا ما فانه، وعمره لا يتجاوز  
الاثنين والعشرين، لم تكن لديه الخبرة العملية، وسمح بعد ذلك لفارس  
الجرباء ان يؤثر على شؤون الحكومة<sup>5</sup>.

في سنة 1809 اقنع رئيس شمر الاعلى الباشا الشاب بالقيام

---

<sup>1</sup> كالسابق: ص 230.

<sup>2</sup> فون فوينغايم: البدو الجزء الاول ص 191/181

<sup>3</sup> كالسابق: ص 191.

<sup>4</sup> لوريمر: الجغرافية، الجزء الاول أ ب، ص 1300

<sup>5</sup> لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص 225/224.

بحملة عسكرية كبيرة الكلفة تؤمن لشمر السيطرة على الجزيرة العليا من جبل سنجار الى نهر بليخ. ولما كانت شمر تحاول مد سيطرتها الى الغرب ابعد من نهر الخابور فقد لقيت تحديا شديدا من عشائر الظفير والدريع (عنزة)<sup>1</sup>. اقع فارس سليمان باشا بشن هجوم حكومي على العشائر التي ادعى بانها نهاية<sup>2</sup>. وقد غادر الباشا الشاب بغداد في اذار 1809 على راس جيش كبير. وانضمت اليه قوات من اربيل ومنذلي وتكريت فضلا عن مساعدين عرب من عشيرتي ابو حمسدان وطي، فسار سليمان باشا من تكريت نحو جبل سنجار عن طريق الحضر. وبعد التغلب على القرى اليزيدية المتمردة حول جبل سنجار، مضى الجيش ثانية الى الغرب نحو بدو الظفير المشاغبين بجوار نهر الخابور<sup>3</sup>.

لما علم الظفير بان القوات الحكومية قادمة الى جهتهم هربوا وطلبوا الامان وراء نهر بليخ بعيدا الى الغرب. وفي هذا الوقت ارسل

<sup>1</sup> ان الصعوط الوهابية ارغمت اقسام متعددة من عشيرة عيرة القوية على الهجرة من نجد نحو سورية في نهاية القرن الثامن عشر. وعند وصولها الى بادية الشام حلت عنزة محل الوالي بسرعة واصبحت اهم القبائل البدوية. ومنذ ذلك الحين اقام اقسام الفدعان والسباع والعمارات في بادية الشمر حيث استمروا على منافستهم التقليدية للشمر. عن العنزة راجع غراف: عنزة (في المعلمة الاسلامية، 2) الجزء الاول ص 482/483.

<sup>2</sup> الكركوكلي - الدوحة ص 245.

<sup>3</sup> العراوي: تاريخ العراق، الجزء السادس ص 189/190.

سليمان باشا شمر والاكراد المليون مع فرقة من القوات التركية لملاحقة البدو بينما تقدم الجيش الرئيسي نحو رأس العين. لكن قوات شمر دحرت بعد ذلك نهائيا قرب نهر بليخ، دحرتها قوة مشتركة من البدو الظفير والرولة والدريع<sup>1</sup>. وبالرغم من هذا الاندحار حافظ فارس الجرباء على تأثيره السياسي في بغداد الى سنة 1813<sup>2</sup>.

في تلك السنة وجد عبد الله باشا، الذي حل محل سليمان باشا الصغير. واليا لبغداد سنة 1810، ان منصبه يتحده سعيد باشا (ابن سليمان باشا الكبير والي بغداد من 1780 الى 1802) البالغ عمره 19 سنة. بدأ هذا التحدي حين غادر سعيد باشا بغداد وانضم الى عشيرة المنتفق التي يرأسها الشيخ حمود الثامر. وغادر عبد الله باشا بغداد يصحبه جيش كبير لاختضاع غريمه الذي تسنده المنتفق. لكن بعد فرار جماعي من جيشه الى جانب المنتفق وجد الباشا نفسه وحيد فعلا. وبعد امد قصير اغتيل عبد الله باشا وجماعته بعد ان قبلوا عرضا بالامان الشخصي من الشيخ حمود الثامر<sup>3</sup>.

في 16 اذار 1813 دخل سعيد باشا يصحبه حمود الثامر الى بغداد ليحتل منصب الولاية. وفي خلال حكمه الذي دام اربع سنوات قام

<sup>1</sup> كالمسابق: ص 190

<sup>2</sup> هون اوينغايم: البدو، الجزء الاول ص 146

<sup>3</sup> لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص 234

داود افندي الذي شغل في اول الامر منصب الكهيا والدفتردار المزدوج بارشاد الحاكم الشاب بمقدرة<sup>1</sup> وبروز عشيرة المنتفق بزعامسة الشيخ حمود الثامر كالعشيرة الرئيسية في شؤون الولاية احدث تبديلا محسوسا في سياسة الممالك العشائرية. فهذا التغيير اصبحت واضحا حين وجدت شمر الجرباء والحراغل، وكلتا هما كانتا على علاقات ودية مع علي باشا وسليمان باشا وعبد الله باشا من 1802 الى 1812، انهما بعبدان عن العطف<sup>2</sup>.

زاد التوتر بين الحكومة وشمر سنة 1813 حين رفض سعيد باشا ان يمنح فارس الاحترام والمرايا التي كان يتمتع بها عادة. وامام صدور الحكومة شنت شمر غارات على عدة مدن عراقية ففى ربيع 1814<sup>3</sup>. ولم تات السنة التالية حتى تمزقت العلاقات بين الحكومة والعشائر تمزقا شديدا الى درجة ان العشائر الكبرى فى العراق الغربى - الخزاعل وزبير وشمر الجرباء عقدت اتحادا ضد سعيد باشا<sup>4</sup>.

فى سلسلة من الغارات حاصر رجال شمر والخزاعل الحلة

---

<sup>1</sup> كالسابق.

<sup>2</sup> الكركوكلى: الدوحة ص 263.

<sup>3</sup> انعزاي: تاريخ العراق (الجزء السادس) ص 227.

<sup>4</sup> كالسابق ص 268/269.

ونهبوا بلدانا اخرى على طول الفرات. واشتد القتال فاستعان سعيد باشا بحمود الثامر واتباعه المنتفق للقضاء على التمرد المنتشر. وقد استدعى حمود الثامر عشائر الظفير والدريع والعبيد لمساعدته ضد اعدائها المكروهين شمر وخرح، يسنده جيش المماليك ورجال المنتفق المحاربين من اتباعه، لاعادة الامن الى العراق الاوسط<sup>1</sup>.

خسرت شمر الجرباء حسارة كبيرة بقتل الشيخ بنية بن قريس ابن اخي فارس الجرباء في المعركة. واكتشفت عشيرة الدريع ان شمر مخيمة في ديرة الخزاغل على الشاطيء الغربي من الفرات. ولما علمت ان بنية يكون معزولا عن الاقسام الاخرى من عشيرة شمر قامت الدريع فورا بانتهاز فرصة عزلته وطلبت من الشيوخ حمود الثامر سندا عسكريا اضافيا.

فانضمت جماعة كبيرة من مرتزقة العبيد وعقيل الى الدريع في الهجوم على اتباع الشيخ بنية المعزولين. وبالرغم من الدفاع المتحمس قاتلت شمر قتالا خاسرا ضد خصومها الكثيرين. وبعد قتل الشيخ بنية ارسل البدو المنتصرون راسه الى سعيد باشا في بغداد اثباتا لانتصارهم على شمر الجرباء<sup>2</sup>. وشمر هذه، يعد ان ضعف شأنها بفقدانها عطف الحكومة سنة 1813 ووفاة الشيخ بنية سنة 1815، اصاب نفوذها في

<sup>1</sup> كالسابق: ص 227.

<sup>2</sup> أمير بن حسن الحلاوي المدني، مطالع السعود (ابو صبي 1885) ص 122/123.

الجزيرة ضربة شديدة اخرى عند وفاة الشيخ فارس سنة 1818.  
وبالنظر الى ابتلائها بهذه المصائب الثلاث صارت عشيرة شمر النسي  
كانت من قبل قوية تلعب دورا ضئيلا في الشؤون العشائرية  
والسياسية خلال السنوات الاربع التالية<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> فون اوبنهايم: البدو (الجزء الاول) ص 146.

## تأثير نزول شمر على الجزيرة

ان المظاهر السياسية والعسكرية للاحتلال الشمرى وهى على هامش تأريخ المنطقة، وقد سبق شرحها بتفصيل واف، مثلت جانبا واحدا فقط من تأثير العشيرة على الجزيرة، والجزيرة التى كانت عهدا طويلا منطقة لجوء عرقي ثقافي للعرب والاكراد واليزيديين والأتراك وجماعات صغرى اخرى، قد شهدت تعديلا اجتماعيا اساسيا بعد احتلال شمر. فهذه الهجرة بدلت بصورة محسوسة الهيئة العشائرية فى الجزيرة. ان طرد شمر لعشيرة العبيد من الجزيرة شكل اوضح مثال لهذا التغيير.

ولان ديرتها امتدت ابعد الى الشمال من ديرة العبيد فسان شمر ارغمت عشيرتين عربيتين نصف متوطنتين على مغادرة موطنها التقليدية.

احدى هاتين العشيرتين طي عاشت من قبل بجوار الموصل غربى دجلة مئات السنين حتى ارغمها قدوم شمر الى المصبي شمالا نحو ماردين كذلك الجبور العشيرة نصف المتوطنة تركت ديرتها التقليدية حين جاءت شمر الى الجزيرة العليا. واحد اقسام الجبور انتقل الى الشرق نحو دجلة، وقسم اخر لجأ على طول نهر الخابور حيث يقيم حتى اليوم. واثرت هجرة شمر الى درجة ايضا على يزيديية



جبل سنجار والاكرااد المليين الرحالة الذين كانوا يعيشون الى مسافة الى الشمال<sup>1</sup>.

وشمر التي جاءت حديثا اختلفت أيضا في عاداتها وحياتها الاجتماعية عن عشيرتي العبيد وطى اللتين سكننا الى جوار الثقافة المتوسطة لعدة قرون.

وبنتيجة اتصالها بالمجتمع المدني تغيرت ثقافتها البدوية على وجه محسوس. وشمر التي نزلت الى جانب هذه العشائر خرجت من منطقة نجد في جزيرة العرب حيث عاشت عيشة متنقلة بسيطة. وحادثان خاصان يؤكدان الفرق بين ثقافة شمر الجربساء وثقافة بدو الجزيرة الاقدمين.

ان سكان المنطقة المستوطنة وجدوا اللباس العريب للشمر يابس القادمين حديثا ممتعا بصورة خاصة. وعند زيارة الشيخ بنيسة لوالسي الموصل ازعج مظهره الغريب الاهالي المحليين الى درجة ان الباشا اضطر ان يهيئ عدة جنود لحماية ضيفه<sup>2</sup>. واحد المؤرخين المحليين عبد السلام افندي من بلدة ماردين، يعطي صورة من الدرجة الاولى لنتائج هجرة شمر. ان غزوات شمر بدون تمييز اخلت باحوال الامن السائدة نسبيا في الجزيرة، حتى ان عبد السلام افندي وصف العشيرة

<sup>1</sup> كالسابق: ص 173/183.

<sup>2</sup> جون روس: ملاحظات عن رحلتين من بغداد الى حراثب العصر في العراق سنة 1836/37 (في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، 9 (1839) ص 453/455.

كوباء لا يقل سوءاً عن الجراد<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> فون لوينهايم: اليدو (الجزء الأول) ص 136.

# **الفصل الثاني**

**بروز شمر في الجزيرة: عهد صفوك أبين فارس**

**1818 – 1847**



بالرغم من فقدان زعيم فعال لشمر واستمرار اضطرابها نتيجة حملتي الحكومة الناجحتين سنة 1817 - 1818 فان العشيرة سرعان ما بلغت مكانة مرتفعة جديدة من القوة والنفوذ<sup>1</sup>.

وهذا المجد الجديد جاء على يد صفوق بن فارس فجل فارس الجرباء، والشجاعة المتناهية والفصاحة مقرونتان بالبسالة الحربية مكنت الشيخ الشاب من كسب طريقه الى النجاح، حين يتفحص الانسان سيرة صفوق التي دامت ثلاثين سنة وهو رئيس شمر الاعظم يجد عهدين مختلفين. العهد الاول والاقصر امتد من 1818 - 1830. في خلال هذه السنوات الاثنتي عشر تنافس صفوق مع داود باشا للسيطرة على الجزيرة. وبعد خلع داود سنة 1830 دخل صفوق المرحلة الثانية من سيرته. خلال الـ 17 سنة التالية نقادى مهاجمات الولاة العثمانيين بنجاح. كيف قام هذان النظامان، الاول مملوكي والثاني عثماني، بإدارة علاقتهما بصفوق وعشيرة شمر، ذلك ما سوف يذكر بوضوح.

---

<sup>1</sup> لوغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص 240/241.

## بروز داود باشا

1817

ارتقى داود باشا منصب والي بغداد سنة 1817 وعمره خمسون سنة<sup>1</sup>. بعد خدمة طويلة (رجل دين) وموظف في الولاية، تسلم سدة الاحكام وحكم 13 سنة قبل ان يعزله علي رضا باشا سنة 1830. كما كان متوقفا دواخت مشاكل العشائر داود باشا طول مدة حكمه<sup>2</sup>. ومشكلة تفوق قوة العشائر العسكرية، خصوصا البدو الرحالة مثل شمر الجرباء، وزيادتها على قوات الحكومة تستحق دراسة دقيقة بالنظر الى الدور المهم الذي لعبته في تاريخ العراق في القرن التاسع عشر. ووالي بغداد، بصفته الاداري المركزي للولاية، يتحمل مسؤولية تأمين الامن والنظام في الريف. ان انتشار السلام والامن في الولاية عموما يهيء ازدهار التجارة والزراعة، والاقتصاد الممتين يدر ايرادا واسعا من الضرائب على الحكومة المركزية. خلاف ذلك حين كانت الغارات العشائرية تخل بالامن في الريف العراقية وتجعل التجارة والزراعة صعبة تهبط واردات الحكومة من الضرائب والرسوم هبوطا ملحوظا،

<sup>1</sup> العزاوي، تاريخ العراق، الجزء السادس، ص 237/239.

<sup>2</sup> عبد العزيز سليمان بوار: داود باشا والي بغداد (القاهرة 1967) ص 91/98.

وهذا الهبوط في الايراد يجعل من الصعب دفع رواتب جيش الولاية.  
واجه داود باشا التمردات العشائرية بقوتين عسكريتين مختلفتين :  
جنود اترك ومجندون من العشائر. في مركز القوات التركية كان  
الحرس الكرجي لداود باشا وعدده نحو 1700 رجل في سنة 1830.  
بالاضافة الى حرسه الشخصي كان للباشا ايضا 1500 من المشاة  
و500 مدفعي و 500 بندقية. وكانت قوة اضافية تتألف من 5000  
رجل من العقيل تشترك في اكثر الاحيان في الحملات الحكومية  
الكبرى<sup>1</sup>.

والجماعات الكردية ايضا اشتركت في الحركات الشمالية<sup>2</sup>. ويقول  
المؤرخ التركي ثابت افندي سنة 1830 ان داود باشا كان يقود قوة  
مقاتلة قوامها 12500 رجل<sup>3</sup>.

يظهر ان باشوات المماليك كان لهم، في الاعداد المجردة جيش  
قوي، لكن لدى الفحص الدقيق يجد هذه الاعداد خادعة شيئا ما. فالجنود  
الأتراك النظاميون فقدوا الانضباط وكان تدريبهم سيئا وجهازهم  
رديء احيانا كثيرة. ومثال ذلك ان المجندين من العشائر العقيل لم  
يكونوا ذوي فعالية كبيرة بالنظر الى انشغالهم بالحصول على الغنائم.

<sup>1</sup> كليمان هوارت: تاريخ بغداد (باريس 1901) ص 205

<sup>2</sup> جان روسو: وصف باشوية بغداد (باريس 1809) ص 29.

<sup>3</sup> هوارت: بغداد ص 205.

وفي اكثر الاحيان كان هؤلاء المرتزقة يغيرون على نفس القرى  
والعشائر الصغيرة التي يرسلون لحمايتها<sup>1</sup>.  
والخلاصة ان القوات العسكرية للمماليك على وفرة عددها لم تكن  
لديها العزيمة لدحر منافسيها من العشائر .

---

<sup>1</sup> وزارة الخارجية. 334/195، بغداد، كمبال الى كاتلغ رقم 50، 1850/12/18.



## تفوق البدو العسكري

هيا المجتمع البدوي بودقة لصنع مقاتلين شجعان، فان البسالة في المعارك منحت البدوي الشاب غير الهياب اعترافا رفيعا في داخل عشيرته. علاوة على العادات والقيم العشائرية التي تؤكد البسالة العسكرية، كانت حياة البدو في الصحراء تهيئة للقتال. كان الصبيان البدو من طراوة عودهم يتعلمون ركوب الخيل والجمال على السواء ويتميزون في ذلك. وكان كل شاب بدوي يفخر بمقدرته في الفروسية ويحاول التغلب على رفاقه من الشباب<sup>1</sup>.

وحياة البدو هيات ايضا الفرصة الطيبة للمقاتل الشاب للحصول على المهارة القتالية في استعمال بندقيته ورمحه فضلا عن سكينه. وكان الغلمان كثيرا ما يرافقون اباؤهم في القنص والغارات ويلعبون العابا مختلفة تعزز مقدرتهم على استعمال اسلحة مختلفة<sup>2</sup>. وفي اوائل القرن التاسع عشر كان الرمح السلاح المفضل لدى المقاتل البدوي<sup>3</sup>. خلافا لجنود المماليك الذين يقيمون في بغداد في الفترات بين

<sup>1</sup> فون ويهايم: البدو، الجزء الاول ص 29/28.

<sup>2</sup> لويس موسل - العادات والاساليب لبدو الدولة (نيويورك 1928) ص 256/258.

<sup>3</sup> كالماسبق: ص 133/132 سحاء رحلة في سوريا والعراق (ليزيغ 1883) ص 306.

المعارك في الريف كان المقاتلون من البدو يقيمون بالنشاط العسكري طوال السنة على شكل غزو للعشائر المجاورة. وهذه الغارات، ولو انها تكون في احيان كثيرة مجرد ألعاب رياضية، تسهيئ الفرصة لتقوية المهارات الحربية. ففي الغزو كان للمقاتل فرصة لابتداء بسالته والحصول على الشرف الكبير لشجاعته. وكان البدو، بالاضافة الى مقدرتهم الحربية المتفوقة، يستعينون بمعرفتهم الممتازة لجغرافية البادية للتحلص من جنود الحكومة<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> هارولد ديكسن: عرب البادية (لندن، 1949) ص 363/31.

## ظرائق الممالك للسيطرة على البدو

يظهر لأول وهلة ان ولاية بغداد من الممالك قد واجهوا ما يبدو انه عدو بدوي متفوق عسكريا. لكن في نهاية الامر وجدت عوامل منعت البدو من استعمال طاقتهم العسكرية بصورة كاملة. مثلا كانت الهجرة التي تضيق الوقت تحدد الامد الذي تستطيع فيه العشيرة القيام بالغزو على مقياس واسع<sup>1</sup>. وكانت القوات الحكومية تقوم بتوقيف حملاتها بدقة لتتمكن من مهاجمة العشيرة البدوية في اوان ضعفها<sup>2</sup>.

يضاف الى ذلك ان طبيعة المجتمع البدوي استلزمت خطة قتال قوامها الضرب والهرب، فكان عسيرا على العشيرة ان تقيم حصارا طويلا حول المدن كبغداد والموصل. وكان للحكومة المركزية ميزة اخرى هي ان العشائر كان عليها شراء الحبوب لزيادة طعامها الضئيل. وقامت الحكومة باغلاق اسواق الحبوب في الموصل وبغداد وتكريست والبصرة تستطيع ان تنشر المجاعة لدى العشائر وتخضعها. واستمرت هذه الخطة لتكون انجح وسيلة تستعملها الحكومة ضد العشائر المتمردة حتى بعد حلول القرن العشرين<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> العراق والخليج العربي في سلسلة الكراريس الجغرافية، شعبة الاستخبارات البحرية (لندن 1945/1939) ص 363/361.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية: 301/195 الموصل، رسالة الى كاولي رقم 33، في 847/7/10.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية: 334/195 بغداد كميني الى كاينغ رقم 50 في 1850/12/18.

## پروژ صفوق بن فارس

1825 – 1818

حين تسلم صفوق بن فارس مشيخة شمر سنة 1818 او 1819، كانت العشيرة قد فقدت مؤقتا الكثير من وضعها المتفوق السالف في الجزيرة. لكن شمر بقيادة الشيخ الحديد سرعان ما انتهزت فرصة دقة وضع داود باشا الذي كان منشغلا باعداد العدة لمواجهة هجوم فارسي (ايراني) مهدد به ولاسترجاع قوته ونفوذه.

حلال السنين تناوبت العلاقات بين بلاد الفرس وولاية بغداد بين الصداقة المعتدلة والعداء العلني. وفي سنة 1818 سادت حالة حرب بين المنطقتين. بدأت المعارك حين قام محمد علي مرزة حاكم كرمنشاه العام بدعم الحاكم الكردي محمود بابان في نزاع له مع داود باشا. وتفاقم الامور كثيرا حين طلب محمود الباباني مساعدة الفرس وتسلم قوة قوامها 10000 رجل. شعر داود باشا بالخطر المحتمل لهذا الوضع فأرسل فورا جيشه الخاص بقيادة عمه عبد الله باشا الى كركوك. وحين وجد الفرس (العجم) مسيطرين على المنطقة حول كركوك، وافق داود باشا على طلب الشاه باعادة محمود بابان الى

## پروژ صفوق بن فارس

1818 – 1825

حين تسلم صفوق بن فارس مشيخة شمر سنة 1818 او 1819، كانت العشيرة قد فقدت مؤقتا الكثير من وضعها المتفوق السالف في الجزيرة. لكن شمر بقيادة الشيخ الحديد سرعان ما انتهزت فرصة دقة وضع داود باشا الذي كان منشغلا باعداد العدة لمواجهة هجوم فارسي (ايراني) مهدد به ولاسترجاع قوته ونفوذه.

حلال السنين تناوبت العلاقات بين بلاد الفرس وولاية بغداد بين الصداقة المعتدلة والعداء العلني. وفي سنة 1818 سادت حالة حرب بين المنطقتين. بدأت المعارك حين قام محمد علي مرزة حاكم كرمنشاه العام بدعم الحاكم الكردي محمود بابان في نزاع له مع داود باشا. وتفاقم الامور كثيرا حين طلب محمود الباباني مساعدة الفرس وتسلم قوة قوامها 10000 رجل. شعر داود باشا بالخطر المحتمل لهذا الوضع فأرسل فورا جيشه الخاص بقيادة عمه عبد الله باشا الى كركوك. وحين وجد الفرس (العجم) مسيطرين على المنطقة حول كركوك، وافق داود باشا على طلب الشاه باعادة محمود بابان الى

منصبه السابق<sup>1</sup>.

نشبت المعارك مجددا على جبهتين سنة 1821. في قتال واحد اشتدت الحرب بين محمود بابان الذي نال دعم داود باشا وعبد الله بابان التابع لمحمد علي مرزاه للسيطرة على السلطانية. ودحر الجيش الفارسي بصورة حاسمة قوات المماليك التي يقودها الكسهيامحمد اغا. وفرار محمد اغا الى العدو بعد اندحاره المهين اعتبره البعض عملا خيائيا متعمدا. ولما منى داود باشا بعمل عسكري خطير وفقد الكسهي القدير، اخذ باعداد بغداد لحصار طويل. ولحسن حظ الباشا ان الجيش الفارسي سقط ضحية وباء الهيضة قبل ان يتمكن من محاصرة بغداد. وحتى في حالتهم الضعيفة ارسل الفرس عدة جماعات غازية نحو عاصمة المماليك<sup>2</sup>.

التقت هذه الجماعات بجماعة من شمر يقودها صفوق بن فارس، فدحر المقاتلون الشمريون هذه القوة الفارسية الكبيرة في سلسلة مقابلات من الهجوم والانسحاب. وبالنظر الى انتصارات شمر والمشاكل التي خلفها وباء الهيضة، حسم محمد علي مرزاه القائد الفارسي خلافاته مع

---

<sup>1</sup> نوار: داود باشا ص 170/114.

<sup>2</sup> العسراوي: تاريخ العراق الجزء السادس، ص 280/279 محمد امين ركي: تاريخ السلطانية (بغداد/1951) ص 147، نوار داود باشا ص 180، لوغريغ: أربعة قرون من تاريخ العراق ص 245/242

داود باشا وانسحب من كردستان الغربية<sup>1</sup>.

بالرغم من التسوية التي جرت بين داود باشا ومحمد علي مرزّه حول العراق الجنوبي بقيت القوات العثمانية تواجه جيوش الامير محمد علي مرزّه ولي العهد والحاكم العام لمقاطعة انريجان.

ومنشأ هذا القتال الثاني يعود الى نزاع حول السيطرة على عشرينين فارسيتين رحالتين لجأتا الى باشا ارضروم ولما طلب السلطان مساعدة ولاية ديار بكر والموصل وبغداد ضد الفرس سنة 1822 قام داود باشا بواجبه في ارسال جيش كبير لمساعدته. وتولى الكهيا الجديد الحاج طالب اغا قيادة قوة قوامها 10000 رجل الى الشمال عوناً للسلطان. وفي نفس الوقت تولى محمد حسين مرزّه قيادة 40000 جندي فارسي عبر الحدود وطرد الجيش التركي الى قزل رباط. وقد شعر القادة الاتراك بالفاجعة القريية فخططوا للانسحاب<sup>2</sup>.

لكن القوة الفارسية المهاجمة اوقفت لامد من قبل الشيخ صفوق واتباعه المقاتلين من شمر بين شهربان والخالص. وبنتيجة الخطة السوقية المتوقعة استطاع الرعيم الشمري ان يفسم القوات الفارسية

<sup>1</sup> العزاوي: تاريخ العراق، الجزء السادس، ص 280 / 283.

<sup>2</sup> لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص 246. وحدير بالملاحظة ان محمد حسين مرزّه هو ابن محمد علي مرزّه وحطه.

ودحر قوة تفوقه كثيرا. وقامت العشيرة بعد انتصارها بنهب المعسكر الفارسي وانسحبت بغنائم وفيرة<sup>1</sup>.

استعملت عشائر بدوية اخرى ايضا نفس الخطط وتلقت الهجوم الفارسي. واصيب الجيش الفارسي بتجدد وباء الهيضة بعد ذلك وعبر الحدود<sup>2</sup>. وهكذا قرر للهجوم الفارسي الثاني ان ينتهي بعد ان دحره صزيج غير محتمل من كارثة طبيعية ومقاتلين بدو. وتتفلس العراق نفس ارتياح ومضى لاصلاح انظمته الاقتصادية والزراعية واعادة الانتاج.

بلغ نفوس شمر وزعيمهم الشاب صفوق بن فارس اوجه بعد دحر الفرس. ولولا زعامة الشيخ صفوق القديرة لاستطاع الغزاة الفرس ان يحققوا تدميرا اكثر في العراق. وقد قدر داود باشا كل التقدير مساعدا شمر في دحر الجيش الفارسي وكافا صفوق تلقبب وزيسر. ومنح الزعيم الشاب ايضا حق ادارة مقاطعة عنه على شاطئ الفرات. ولا شك ان هذه المكرمة الاخيرة اعطت ايرادا سنويا عظيما من الضرائب. والنجاح العسكري والتكريم الحكومي زاد من شهرة صفوق بين رجال عشيرته شمر<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> السابق. المدني مطالع السعود ص 149/148.

<sup>2</sup> لوتيريج: اربعة قرون ص 246.

<sup>3</sup> العراوي: عشائر العراق، الجزء الاول ص 153.



في سنة 1823 امند بقوڈ شمر من نهر الفرات في الجنوب السى ماردين وفي الشمال ومن الموصل ودجلة في الشرق السى ابعده من نهر الخابور في الغرب وديرة شمر العشائرية الواسعة سببت لهم التصادم مرارا مع عشيرة عنزة في بلاد الشام. ولم يكتف شمر بنهب غزاة عنزة سنة 1823<sup>1</sup> فعبرت الفرات في موسم الحرب التالية. وشمر، التي توقعت نصرا هينا جديدا على منافسيها من البدو، اخذت على حين غرة ودحرت بسرعة. وعلى اثر انتصارهم سنة 1824 نهب رجال عنزة العشيرة المغلوبة وقاموا فضلا عن ذلك باهانة شمر بسلب خيولهم العربية المظلمة. وارسل داود باشا قوات حكومية لمساعدة الشيخ صفوق صد عنزة. وبعد ذلك بالرغم من اندحار شمر المهين أكد الباشا المملوكي تاييده للشيخ صفوق وسمح له بالاستمرار على حكم عنه<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> العراوي. تاريخ العراق، الجزء السادس، ص 285/286.

<sup>2</sup> السابق:

## العلاقات بين الحكومة وشمر

سنة 1825 – 1830

حافظت شمر على علاقاتها الودية مع والي بغداد خلال سنة 1825 كما يدل على ذلك اشتراكها في حملة حكومية لاعادة الامر في الريف العراقي<sup>1</sup>. لكن في السنوات الاخيرة من العقد 1820 فقد الشيخ صفوق دعم داود باشا، والحقيقة ان زعيم شمر الكبير اصبح الد اعداء الوالي الداخليين. ومع الاسف ان المراجع العربية التاريخية وتقارير الرحلات الاوربية كلاهما لاتعطيان معلومات مفصلة عن نشاط شمر بين سنة 1826 و 1830.

على اساس تحليل علاقة صفوق مع الولاة العثمانيين بعد سنة 1830، يمكن الافتراض ان الزعيم الشاب وجد من الصعب جدا مواصلة علاقاته الوثيقة لداود باشا. في طبيعة الامر ان الموقف المفضل مع حكومة بغداد منعت شمر من متابعة غزواتها البدوية واعمال النهب. ومواصلة التعاون مع بغداد يحتمل انها ارغمت العشيرة على ترك غزواتها المعنادة لانها قد تكون تخصص معظم نشاطها لكبح

<sup>1</sup> لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص 247.

جماح سائر العشائر البدوية و الكردية و اليزيدية. وكما سسوف يشرح  
بتفصيل اكثر في الفصول الالية، لم تكن شمر لتستطيع اجراء هذا  
التعديل.

## سقوط داود باشا

حكم داود باشا الولاية حتى سنة 1830 حين طلب السلطان تنازله. فمتذ سنة 1826 باشر السلطان محمود الثاني (1808 - 1839) منهاحا لاعادة فرض السيطرة الملكية على الامبراطورية التي اختلت مركزيتها. بقيت ولاية بغداد نسبيا بعيدة عن تأثير هذه الاصلاحات لمدة اربع سنوات تقريبا. ولكن في سنة 1830 بآء داود باشا بغضب محمود الثاني. وسبب ذلك اعمال تمرد مختلفة مقرونة باشتراك رمزي فقط في الحرب الاخيرة مع السروس. اغتاف السلطان من نجل الباشا المملوكي فساوفد صادق افندي، الموظف الحكومي الموثوق به، للحصول على استقالة داود باشا<sup>1</sup>.

وصل المندوب السلطاني الى بغداد ورفض باازدراء عروض الضيافة المتكررة، وقدم الفرمان (المرسوم السلطاني) الداعي الى استقالة داود باشا. لكن هذا الباشا المراوغ الذي غاظه الطلب رتب اغتيال صادق افندي واخبر الشيخ السلطان محمود ان رسوله مات بالهزيمة<sup>2</sup>. وكان جواب السلطان انه نظم جيشا قويا بقيادة علي رضا

<sup>1</sup> السابق: ص 260/262

<sup>2</sup> السابق: ص 264.

باشا لتنفيذ عزل داود باشا.

غادر علي رضا باشا حلب في أوائل 1831 وتوقف مؤقتا في شمال العراق للحصول على دعم قاسم باشا العمري والسي الموصل و عدة عشائر بدوية، ومنها شمر الجرباء، قبل التحرك الى بغداد<sup>1</sup>. وحين كان الجيش العثماني لاثنا في الشمال، أصيبت بغداد بفاجعتين طبيعيتين : اولهما حدوث وباء اجتاح العاصمة، ثم عقبه فيصان ربيعي هائل. وكانت نتيجة هذين الحادثن السيئين ان داود باشا وجد نفسه في موضع ضعف<sup>2</sup>.

وفي نفس الوقت وصل الى اسوار المدينة قسم من جيش علي رضا باشا بأمره معاونه قاسم باشا العمري والي الموصل<sup>3</sup>. وشدد ازر القوات العثمانية شمر الجرباء بأمره صفوف والعقيل التابعون لسليمان غسانم. كان اعيان بغداد غير مستعدين لحصار طويل فوافقوا على تسليم داود باشا الى قاسم باشا. ولكن لما دخل مرتزقة العقيل والشمر الى بغداد بسرعة واخذوا بالتهب بدل الاعيان رايهم. صمد البغداديون وراء اسوار المدينة معترمين مقاومة تقدم علي رضا باشا. وغادر القائد العثماني الموصل سريعا حين علم ان قواته بلغت العاصمة، وحثته

<sup>1</sup> ح.ب. فريزر: رحلات في كردستان والعراق، الجزء الاول (لندن 1840) ص 261.

<sup>2</sup> لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص 264 — 267.

<sup>3</sup> فون اوبنهايم: البدو، الجزء الاول ص 147.

الاخبار عن مقاومة المملوك على تسريع مسيرته نحو بغداد<sup>1</sup>.

وجد علي رضا باشا عدوا شديدا العزيمة فامر بالقصف اليومي المتواصل الذي دام عشرة اسابيع. وفي اوائل ايلول طلب الطرفان المتقاتلان كلاهما نهاية سريعة للحصار. فبعد ثلاثة اشهر تقريبا من النار العثمانية المستمرة، كان اهالي بغداد الذين يعانون الجوع والضعف المعنوي على استعداد لقبول أي عرض معقول، وعلى مثال ذلك كان علي رضا باشا، وهو تحت وطأة عبء مزدوج من عدم تمكنه من دفع رواتب جنوده وضغط الاستانة عليه لوقف الحصار الطويل، هو ايضا مرغم على ايجاد نهاية عاجلة للحرب، ومن خلال خيانة عدة وجهاء بغداديين فتحت اسوار المدينة اخيرا امام العثمانيين المنتصرين.

ارسل علي رضا باشا داود باشا الى الاستانة حيث بقي مبعدا سنوات عديدة واحيرا هبى له ان يخدم السلطان في مناصب مختلفة الى وفاته سنة 1851. ومع ان الباشا الجديد سيطر على مدينة بغداد، فان وضعه العام بقي ضعيفا، فان عددا كبيرا من المماليك الموظفين والزعماء العسكريين المتمردين مازالوا يقيمون في بغداد والانحاء الخارجية من الولاية. وعالج الباشا هذه المشكلة بدعوة المماليك الاحياء الى اجتماع في بغداد حيث اعدموا بعد ذلك<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> فريزر: الرحلات ص262.

<sup>2</sup> لوتنبريغ: أربعة قرون من تاريخ العراق ص275.

## علي رضا باشا والعشائر العربية

وجد الوالي العثماني سريعا لانزعاجه الشديد ان السيطرة على العشائر البدوية الكبرى اصعب جدا من القضاء على المماليك المنتهين. وزادت هذه المشكلة تعقيدا ان الفرمان الصادر بتعيين علي رضا باشا لولاية بغداد امره، لا ان يحكم بغداد وحدها بل ايضا حلب وديار بكر والموصل. ولم يسبق ان عهد الى وال واحد بحكم مثل هذه المنطقة الواسعة<sup>1</sup>.

واصبح الشيخ صفوق عدوا لدودا لعللي رضا باشا خلال حكمه الذي بلغ 11 سنة لولاية بغداد. في بادئ الامر دعت ظلمة معينة شيخ مشايخ شمر الى ترك صداقته مع الوالي العثماني الاتي حديثا. لكن في نهاية الامر ترك صراعهما على محاولات الحكومة المتكررة لانشاء سيطرة مباشرة على ولاية بغداد. لكن الشيخ صفوق المتعود على الغزو متى شاء والمدير للشؤون العشائرية الداخلية دون ان يصغي الا في احياء قليلة الى اوامر الحكومة، وهو اقوى زعماء البدو في الجزيرة، استاء كثيرا من تدخل الوالي المتزايد. يظهر ان الصعوبات الاولى بين الرجلين قد بدأت في اواخر

<sup>1</sup> السابق: ص 275.

1831 او اوائل 1832. بينما كان علي رضا باشا في مسيرته من حلب الى بغداد في شباط 1831 عرض على صفوق مغريات مختلفة مقابل دعم شمر ضد داود باشا<sup>1</sup>. وقد قبل صفوق فوراً العرض بالطريقة البدوية. وخلال المدة حين كان الوالي الجديد يثبت مركزه في بغداد، كلف صفوق بضمان سلامة القوافل والمسافرين الذين يمرون خلال ديرة شمر لقاء منحه مكافآت اقليمية و " خلعة " ملابس<sup>2</sup>.

هذه الحالة من التعاون المتقابل لم تستمر سوى امد قصير لان علي رضا باشا حين ثبت مركزه في بغداد، كره تنفيذ تعهده السابق لصفوق. بالامتناع عن منح صفوق مكافآته الموعودة يجوز ان علي رضا باشا حاول تقليص نفوذ الشيخ القوي الذي كما يظهر من احد المصادر، اصبح يسيطر على احسن الامكنة على قناة الدجيل شمالي بغداد فضلاً عن اغلب انحاء الجزيرة<sup>3</sup>.

اغتازلت العشيرة من اخلاف علي رضا باشا لوعده، بدأت العشيرة بأزعاج قرى متعددة بطلب اتاوات غير قانونية. علاوة على

---

<sup>1</sup> لويمر: الجغرافية، الجزء الاول، ا ب، ص 1316.

<sup>2</sup> وزارة الهند: ل/ب الدس/ 9، رسائل سرية ومرفقاتها من ايران، الجزء 7ل، تايلر الى سكرتير الحاكم، 1832/7/10.

<sup>3</sup> لويمر: الجغرافية، الجزء الاول، ا ب ص 1316



ذلك استولت على رسوم باهظة من القوافل المارة بديرتها<sup>1</sup>. ولما طلب صفوق امتيازات اخرى من الباشا في اواخر 1832 او اوائل 1833، رفض علي رضا طلبه فغضب صفوق من جوابه السلبي وعلن تمرد<sup>2</sup>.

ولم يأت شهر تموز 1833 حتى كان رعيم شمر وحليفه يحيى باشا والي الموصل قد اخذ يهاجمان العشائر اليزيدية في جبل سنجار التي كانت تغير على القوافل في طريق التجارة الشمالي بين الموصل وماردين. وادا بمحمد باشا امير راوندوز الذي كان معروفا بلقب ميركور " (الامير الاعمى) الذي لم يرغب في فقدان الحصول على غنيمة باردة، يقوم هو ايضا بالهجوم على اليزيدية. وتحت قيادة الرؤساء الثلاثة الاقوياء المستقلين في الجزيرة حدث تمرد سنة 1832 - 1833 كان مبدء صراع طويل بين العثمانيين الذين رغبوا في توطيد سيطرة مباشرة على العراق الشمالي وبين زعماء المنطقة الاشداء، مثل الشيخ صفوق، الذين رغبوا في الاحتفاظ باستقلالهم<sup>43</sup>.

بما ان علي رضا باشا كان واليا غير محبوب نسبيا ولله دعم

<sup>1</sup> وزارة الهند: ل/ب اندس/9، رسائل سرية 1843/12/7...

<sup>2</sup> مريزر: الرحلات، الجزء الاول ص 271.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية: 113/159 بغداد، تاسير الى الدائرة السياسية رقم 56 في 1833/7/29.

<sup>4</sup> وزارة الخارجية: 113/195 بغداد، تايلر الى الدائرة السياسية رقم 56 في 1833/7/29.

عسكري غير كاف فقد عامل شمر بحذر . ولما كان العدد المحدود من القوات التي لديه منشغلة بتمرد عشائري قرب الحلة فقد طلب الوالي الجديد اضعاف شمر القوية بخلق نزاع في داخل العشيرة<sup>1</sup>. وقد نفذ خطته في اول الامر بسحب اعترافه بشيخ صفوق كزعيم تؤيده الحكومة، ثم عين الشيخ شلاش ابن اخي صفوق رئيسا منافسا له. علم شلاش انه ضعيف فعلا بدون مساعدة علي رضا باشا وتعاون تعاوننا وثيقا مع المحسن اليه<sup>2</sup>.

لما علم صفوق بمحاولة الحكومة للاخلال بمنصبه كشيخ شمر الاعظم فقد ضرب الحصار على بغداد في ايلول 1833. وبدا مقاتلوا شمر من مسافة نحو 20 او 30 ميلا بتوقيف كل القوافل والتجهيزات والمعلومات التي تقصد العاصمة. كان الحصار في بادئ الامر مزعجا قليلا فقط، ثم اشتد بعد ذلك حتى استولت شمر على كل المراكز الخارجية التركية حول المدينة<sup>3</sup>. وبنتيجة هذا الضغط المتزايد طلبت القوات التركية وسكان الارياف اللجوء الى داخل البلدة. وقد جعل الحصار بغداد في اشد الضيق، فأمر علي رضا باشا قائد العسكري

<sup>1</sup> وزارة الهند: ل/ب ايمس/9، رسائل سرية... الجزء 7، نايلز الى الدائرة السياسية رقم 83 في 1833/10/24.

<sup>2</sup> وزارة الهند: ل/ب ايمس/9 رسائل سرية... الجزء 51.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية: 113/195 بغداد، تشير الى الدائرة السياسية رقم 56، 1833/7/29.

محمد باشا بترك حملته الجنوبية.

عاد محمد باشا الى العاصمة ومعه نحو 5000 رجل، لكنه لم يستطع كسر حصار شمر. واخيرا تنفست بغداد الصعداء حين ترك صفوق الحصار بعد ذلك. ان مقاتلي شمر المعتادين على العارات البدوية السريعة لم يكن لديهم الانضباط اللازم لمواصلة هذا الحصار الطويل. يضاف الى ذلك انه في نفس الوقت تقريبا احتاج حليف صفوق يحيى باشا والي الموصل الى مساعدته فسي الشمال<sup>1</sup>. لكن صفوق قبل مغادرته هدد بغداد بحصار جديد. وما ان رفع الحصار حتى ارسل علي رضا باشا فورا جيشا لمهاجمة شمر على طريق الموصل. وحين اتصل الجيش التركي اخيرا بشمر دحرهم في معركة حاسمة<sup>2</sup>.

ان والي بغداد، الذي سبق له ان امسك في كمانشة حصار شمري، رغب ان يتحاشى تكرار كارثة سنة 1833 لقد توقع حصارا اخر من جانب شمر سنة 1834 فطلب مساعدة عشيرة عنزة. وكانت عنزة مستعدة كل الاستعداد لقبول عرض علي رضا باشا لان الاحتلال المصري لمصرية سنة 1832 قد ارغمها على الخروج من ديارتها الاعتيادية في بادية الشام والدخول الى الجزيرة وفي الاحوال الاعتيادية

<sup>1</sup> لوريمر: الجغرافية، الجزء الاول، اب، ص 131

<sup>2</sup> العزاوي: تاريخ العراق، الجزء السابع، ص 28.

كان على شمر والحكومة العثمانية ان تتعاونوا لمقاومة هجرة عنزة الى الجزيرة. لكن للأسباب التي سبق شرحها رحب علي رضا باشا بعنزة ومنحها مراعي شمر الغنية اذا ساعدته في التغلب على صفوف بسن فارس، ولما رأى صفوف مقاتلي عنزة البالغ عددهم 35000 ينتظرون ضرب أي هجوم لشمر على بغداد فقد حكم عقله واحتمل بعشيرته في الحراق الشمالي<sup>1</sup>.

عندما زال خطر هجوم شمر أخبر علي رضا باشا رؤساء عنزة ان الحاجة الى خدماتهم انتهت. لكن العشيرة رفضت العودة الى ديارها الى الجانب الغربي من الفرات، وادعت انها قامت بواجبها وهي تطلب الان المكافأة الموعود بها. ولأجل تأكيد هذا الطلب نقلت العشيرة خيامها الى مكان أقرب الى بغداد. وقد خاف علي رضا باشا مغبة وجود نحو 35000 مقاتل عنزي غضبان معسكرين على مقربة من عاصمته، فدعا تابعه الشمري الشيخ شلاش لمساعدته. وقد صمدع بهذه الاوامر الوالي العثماني وحرك محاربيه نحو بغداد. وفي الوقت نفسه اخذت صفوف العزة بعشيرته فئسي مصاعبه مع شلاش وعلي رضا باشا وارسل 2000 رجل لقتال عنزة لكن بالرغم من عزم قوات العثمانيين وشجعانهم، انتصرت عنزة بتفوق عددها وقتلت شلاش وحاصرت بغداد ونشرت الفوضى في انحاء الجزيرة.

---

<sup>1</sup> فريزر: الرحلات ص 272

وعشيرة عنرة المنتصرة اعادت عبور الفرات سنة 1835 وتركبت  
شمر مرة اخرى مسيطرة على الجزيرة<sup>1</sup>.

حلال مدة سبعة عشر عاما ارتفع صفوق بن فارس من زعيم  
صغير سنة 1818 حتى اصبحت اقوى شيوخ الجزيرة سنة 1835. وقد  
لقب " سلطان البر " أي ملك البادية وحكم اقسام من العراق وسورية  
وتركية الحديثة<sup>2</sup>. اصبحت اسمه مخيفا ونزواته نافذة وكلمته قانونا. كان  
حاميا لعشائر صغرى عديدة، وحليفا لوالي الموصل، جابيا للضرائب  
فسي مئات القرى، ومسيطر على طرق القوافل، ومحاربا مشهورا.  
وقد اسندته قبيلة متحدة رأت فيه الزعيم الصنديد. وهكذا بلغ صفوق  
اوج عظمته.

---

<sup>1</sup> كالسابق ص 271-274

<sup>2</sup> العزاوي: عشائر العراق، الجزء الاول ص 153-156

## سياسة الحكومة في الحكم المباشر

### حملة رشيد باشا سنة 1835

قبل سنة 1835 كان الشيخ البهوي من طراز صفوق متاكدا بصورة معقولة من المحافظة على قوته خلال سنوات طويلة قادمة. لكن لسوء حظ صفوق ان السنوات الاثنتي عشر التالية اصبحت ملأى بمأزق غير متوقعة ادت الى اضعاف مركزه كقوة بحسب لها حساب في الجزيرة. في سنة 1835 اخذت ولاية بغداد تشعر بثقل الاصلاح الاداري العثماني بكل ثقله.

كان عهد السلطان سليم الثالث ( 1789- 1807 ) البداية التي يمكن اعتبارها عهد الاصلاح " الحديث في الامبراطورية العثمانية. وقد تركزت جهوده على اصلاح المدارس والخدمات الطبية، والاهم من ذلك الجيش العثماني. بدأت الحركة بحماسة شديدة، لكن هذه الاصلاحات التي كثيرا ما استخدم فيها مستشارون اوربيون اصبحت بمضي الوقت محدودة الاثر. وفي سنة 1807-1808 حدث تمرد محافظ افضى الى خلع سليم الثالث وقتله بعد ذلك.<sup>1</sup> وبموت سليم الثالث فقدت

---

<sup>1</sup> ستانفورد شاو: بين القديم والحديث: الامبراطورية العثمانية، السلطان سليم الثالث 1789-1807 (كمبريدج 1971).

حركة الاصلاح العثماني نشاطها وبقيت خامدة نحواً من عشرين مسنة حتى شعر محمود الثاني ان العناصر الرجعية في داخل الامبراطورية لابد من القضاء عليها قبل الشروع بالاصلاح. وبدأ عمله باستخدام عدة جماعات مدربة تدريباً عسكرياً اوربياً للمساعدة في ازالة فرقة البينكشارية المتفسخة. وقد قتل كل البينكشارية في الاستانة ووحداتهم المختلفة في الولايات<sup>1</sup> لكن جهود محمود الثاني الاصلاحية لم تقتصر على الجيش، بل ان كل الاوقاف الدينية وضعت تحت رقابة الدولة، واستعيدت كل المنح الاقطاعية التي اعطيت خلال القرون القليلة الماضية. ولم يكف السلطان المصلح ان يحقق هدفه في تركيز سلطته في الاستانة، بل كان عليه ان يكسر شوكة الحكام المستقلين في الولايات<sup>2</sup>.

على اثر انتصار الجيش المصري على الامبراطورية العثمانية سنة 1832 شن محمود الثاني حملات عسكرية مباشرة على الحكام المستقلين في شمال العراق الذين رفضوا دعم جهوده العسكرية. فوالي الموصل كوالي بغداد قبل نحو خمس سنوات، وضع تحت السيطرة الادارية العثمانية المباشرة سنة 1835 حين حل محمد باشا

<sup>1</sup> رودريك هـ. ديفيس. الاصلاح في الامبراطورية العثمانية 1856-1876 (برنستون 1963) ص 23-26.

<sup>2</sup> برنارد لويس. بروز تركيا الحديثة (لندن 1961) ص 80-81.

اينجه بيرقدار محل الاسرة الحليلية المتغطرة سابقاً<sup>1</sup>. وحدثت تغييرات جسيمة اخرى حين خرج رشيد باشا الصدر الاعظم السابق من ديار بكر على راس قوة عظيمة سنة 1835<sup>2</sup>، وتحسرك نحو ماردين فضرب المدينة النائرة، ثم مضى جنوباً الى الجزيرة. وكجزء من حملات على الحكام المحليين المستقلين اغرى رشيد باشا الشيخ صفوق بالقدوم الى معسكره بوعد الامان واعتقله مع ولده الشاب فرحان<sup>3</sup>.

بقي صفوق وفرحان معتقلين في الأستانة نحواً من ثلاث سنوات. وهذه المدة من الغياب الاجباري سجلت عهداً خاصاً مهماً في تاريخ شمر. ففي خلال اربعين سنة تقريباً تأقلمت شمر تدريجياً للعيش في منطقة تتضمن مدناً كبيرة وحكومة مركزية متزايدة القوة. وقد مرت ثقافة شمر البدوية بتغييرات متعددة نتيجة الاتصال المتنامي بالثقافة المتوطنة.

هيا الاعتقال الاجباري لرئيسي شمر في الأستانة مثلاً معينا كيف ان الثقافة المتوطنة تنفذ خلال الثقافة البدوية. يحتمل ان اراء الشيخ صفوق البدوية وهو زعيم ناضج داهية، لم تتغير بحكم بقائه في

<sup>1</sup> سليمان صانع ، تاريخ الموصل (القاهرة 1924) ص 310-311.

<sup>2</sup> لونغريغ : اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص 285.

<sup>3</sup> روس : بغداد الى الحصر (في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية) ، ص 456 .



الاستانة، لكن قوة البلاط العثماني وثروته لاشك انهما اثرا في نفسه. وخلفا لابييه، يبدو ان فرحان تأثر بصورة محسوسة بزيارته. درس فرحان في مدرسة عثمانية حيث تعلم الكلام بالتركية وتذوق العادات والملابس التركية. وقد احب العيش في امارته، ووجد كما يبدو تائما مع الثقافة التركية<sup>1</sup>.

وفي الحقيقة ان النتيجة المهمة للسنوات التي قضاها صفوق في الاستانة هي ان شيخ شمر وافق على مساندة السلطان ضد المصريين في كل الحروب التالية. وبعد ان قدم هذا الوعد سمح الباب العالي لصفوق ان يعود الى الجزيرة<sup>2</sup>. ولولا زعامة صفوق القديرة لأضاعت شمر الجرباء معظم قوتها السالفة في سلسلة منافسات عشائرية. وكما سيظهر بوضوح في الفصول الالية كانت الزعامة القوية ضرورية حدا للعشيرة المتحدة المتنفذة<sup>3</sup>.

على اثر اعتقال زعيمها المفضل سنة 1835 عادت العشيرة الى نشر الفوضى في انحاء الجزيرة من الفرات الى دجلة. وفي اثناء غاراتها سنة 1835 دمرت شمر المزارع الخصبة حول بلدة تكريت

<sup>1</sup> بلنت: العشائر البدوية ص 231.

<sup>2</sup> ادورد مفورد: مسيرة برية من انكلترا الى سيلان قبل اربعين سنة (لندن 1884) ص 252-253.

<sup>3</sup> وزارة الهند/ب اند س/9، رسائل سرية .. حلب، ويرى الى بوسني، 12/3 1836.

على دحلة<sup>1</sup>. وعندما كان صفوق في الاستانة ايضا استأنفت المعارك التقليدية بين عنزة وشمر سنة 1836. وهذا القتال بالرغم من تدخل القوات المصرية ضد عنزة، وجعل السفر والتجارة في وادي الفرات صعبا إلى أقصى حد.

حكم محمد بن فارس على مايقدر ب 12 الف عائلته بصفتنه الرئيس الاعلى لشمر من قبل الحكومة بينما كان اخوه معتقلا في الاستانة. وفي سنة 1836 صرح رحالة اوروبي إن فرق العبدية والاسلم والعلبان وزوبا ايدت الشيخ محمد<sup>2</sup> لكن في اواخر 1837 اصبحت فرق متعددة مستاءة من الشيخ الذي تسنده الحكومة وتمردت<sup>3</sup>. وحين عاد صفوق إلى الجزيرة سنة 1838 فقدت عشيرة شمر الوحدة التي تمتعت بها سنة 1835. وفي السنوات العشر التالية بذل صفوق قصارى جهوده لاعادة وحدة شمر.

بعد سنوات الاسر الثلاث الطويلة ايد صفوق السلطان ضد المصريين حين نشبت الحرب مرة اخرى بين هذين الخصمين. وقد أعيد صفوق لقاء تاييده رئيسا اعلى من قبل الحكومة. وبعد ان اصبحت

<sup>1</sup> وزارة الهندل/ب اند م/9، رسائل سرية حلب، ويرى إلى بودسلي، 12/3 1836.

<sup>2</sup> كالسابق

<sup>3</sup> وزارة الهندل/ب و م/9 رسائل سرية حلب، ويرى إلى اللجنة السرية، 1837/11/15.

معزرا بتكريم الحكومة والدعم الرسمي فضلا عن الاعانة الضخمة التي  
يحتمل انه حظي بها، سرعان ما خضع هذا الرئيس الاعلى فرق شمر  
العاصية، وظهر دليلا اخر ا على ولائه المجدد للعثمانيين فسي اذار  
1840. فقد غادرت شمر المدينة ( جنوبي بغداد ) وسارت الى الشمال  
نحو اورفة حيث ساعدت مجهود الحرب العثماني بازعاج الحدود  
المصرية<sup>1</sup>، ومع ان شمر لم تكن سوى شوكة في الجناح المصري،  
فان مجرد اشتراكها في القتال ضد المصريين دل على ان صفوق لم  
يعد صرف النظر عن طلب السلطان للمساعدة في فعل سنة 1832.

---

<sup>1</sup> متقورد : مسيرة بحرية ص 252-257.

## عهد نردو

1845-1840

تذبذبت العلاقات بين شمر والحكومة خلال السنوات القليلة التالية بين الصداقة المتينة والعداء السافر. حاول الشيخ صفوق بين سنة 1840 و 1845 ان يستعيد مركزه السابق كقوى الزعماء العشائريين في الجزيرة. وبمضي الوقت وجد هذا الشيخ الشمري، الذي كان مسن قبل متفوقا، ان من العسير السيطرة على العشيرة وممارسة نفوذه الاعتيادي لدى الحكومة المركزية. يعود هذا التهاافت الى ثلاثة عوامل عامة ادت الى هبوط السمعة الشخصية لرئيس مشايخ شمر.

اولا : يظهر ان صفوق اخل بمبدأ مهم لرئيس بدوي قوي. لقد نذر اقساماً كبيرة من العشيرة<sup>1</sup>.

ثانيا : حدثت مجاعة شديدة خلال السنتين 1845 و 1846 اضعفت العشيرة عموماً فضلاً عن استنزافها لثروة الشيخ صفوق الشخصية. وبدون موارد الثراء الملازمة للشيخ القوي. اضاع صفوق

---

<sup>1</sup> أوستن هنري لايارد: اكتشافات في حرائب بنوى وبابل، نشره هـ. و ف ساعس (لندن 1970) ص 114.

أكثر نفوذه على العشيرة<sup>1</sup>.

ثالثاً : كنتيجة لضعف شمر وزيادة قوة الحكومة العسكرية استطاعت بغداد أن تسيطر سيطرة أقوى على شمر الجرباء. ومقدرة نجيب باشا الملحوظة في التدخل في شؤون العشائر الداخلية تعطي مثالا للهيملة العثمانية المتزايدة في الجزيرة<sup>2</sup>.

مع أن شمر قامت بعروات صعبة من 1840 - 1843 فإن صفوق بقي عموماً خارج مجرى الشؤون في الولاية وأدت الدسمائس السياسية بين والي بغداد والموصل بصورة محسوسة إلى العلاقات المتوترة بين الحكومة وشمر<sup>3</sup>.

بدأت الصعوبات بين علي رضا باشا والي بغداد ووالي الموصل عن قضية السماح أو عدم السماح للشيخ صفوق أن يستمر في حكم منطقة عنه على نهر الفرات<sup>4</sup>. وكان صفوق قد حصل على عنه في الأصل مكافأة لخدماته ضد الأيرانيين في أول العشرينات من القرن الثامن عشر.

وافق علي رضا باشا كارها على السماح لصفوق بالاحتفاظ بهذا

---

<sup>1</sup> كالسابق ص 115-116.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 204/195 الموصل، رسام إلى تاتلر، 1843/11/23.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية 228/195 الموصل، رسام إلى كاتنغ، 1844/11/29.

<sup>4</sup> وزارة الخارجية 228/195 بغداد، رسام إلى كاتنغ، رقم 1846/9/15.29.

المنصب. لكن باشا الموصل الذي اراد عنه ان تكون له، احتج بمرارة على هذا القرار. وبعد مناقشة طويلة اقنع علي رضا باشا بعزل صفوق في اواخر 1841 او اوائل 1842 واسترجاع عنه منه ورد صفوق على ذلك بشن عدة غارات قرب نهر الخابور. وحصلت صعوبات اخرى للشيخ المطوق حين حاولت عدة عشائر الخروج من سيطرة شمر. وقد امل صفوق ان يحتفظ بولاء هذه العشائر، فارسل الشيخ فرحان الى بغداد للمفاوضة لعقد تسوية مع الوالي، ثم عاد الى منطقة الموصل ليجتمع بالعشائر المنفصلة وقد قام نامق باشا والي بغداد الجديد باعادة تعيين الشيخ صفوق رئيسا اعلى لشمر في تشرين الثاني 1843<sup>1</sup>.

رغبة منه في الاحتفاظ بدعم الحكومة، قاد صفوق حملة ناجحة ضد عنزة قرب حران في ايار 1844<sup>2</sup>. لكن في خريف 1844 فقد صفوق مرة اخرى اعتراف الحكومة حين عين نامق باشا شيخا منافسا له لمنصب رئيس العشيرة الاعلى. وحاول صفوق انهاء هذا التحدي لسلطته كرئيس العشيرة باعادة توطيد علاقاته الودية مع والي بغداد.

ولم يكد يمر الوقت حتى حصلت الفرصة للرئيس الشمري الخاطيء لاسترجاع الدعم الحكومي. في خلال صيف 1844 قامت

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 204/195 بغداد، تابلر الى رسام، 1843/11/28.

<sup>2</sup> ج ب باجر : النسطوريون وطقوسهم (لندن 1852) ص 334.

عشيرة عنزة، التي طردت من ديارها بكارثة حريق، بغزو الجزيرة طلباً للمرعى بعد أن عثرت على العشب اللازم لمواشيها بسدات في الغارة بين بغداد والموصل<sup>1</sup>.

طلب نجيب باشا ومحمد شريف باشا والي الموصل كلاهما مساعدة شمر لوقف غارات عنزة. وقد قبل صفسوق بسرور طلب الحكومة هذا وخرج إلى الميدان بصحبة ألف مقاتل شمري. واتصلت شمر نهائياً بقوة عنزة التي تعد 20 ألف مقاتل بقيادة الشيخ أدهم بن جحيش شمال غربي الموصل. واستطاعت شمر بمساعدة خيالة أكراد يقودهم بدر خان بك أن تطرد قوة عنزة الكبيرة إلى الجنوب نحو تلعفر واسكي موصل<sup>2</sup>.

بعد سلسلة من المراسلات الدبلوماسية حاول بها أدهم بن جحيش تحسين علاقاته مع والي الموصل، استؤنفت المعارك بين عشيرتي عنزة وشمر في خريف 1844<sup>3</sup>.

وفي أعقاب عدد من معارك غير فاصلة عادت عنزة إلى نهر الأرياف حول الموصل في أواخر 1844 وأوائل 1845. وشعر أدهم بن جحيش بأن عشيرته تواجه أشد المصاعب التي تفوق قدرتها فوافق

---

<sup>1</sup> كالسابق.

<sup>2</sup> كالسابق.

<sup>3</sup> كالسابق.

على شروط الصلح التي ألزمت عنزة بالعودة إلى البادية السورية ودفع  
اتأوة قدرها 15000 غنمة وأكثر من 3000 بعير و 8 أفراس. لكن  
اتفاق الصلح هذا لم يمه الصراع بين شمر وعنزة. فإن صفوق،  
باوامر من محمد باشا، هاجم عنزة حين عبرت نهر الفرات واستولى  
على أكثر من 7000 غنمة. ورد ادهم بن جحيش على هذه الخديعة  
التي املاها العثمانيون بالغارة على انحاء نهر الزاب الاصغر واخسيرا  
طردت شمر عنزة الى خارج ولاية بغداد الى البادية السورية في اواخر  
سنة 1845<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 237/195 بمعدد راولس الى كاتسخ، رقم 43، في 1/10/1845.



## المعركة التي لا بد منها

1846

قام صفوق واتباعه بالعديد من الغارات الصغسيرة في أوائل 1846. وحدثت اشد هذه الحوادث في ثلول سنجار حيث قتلت شمر احد رؤساء اليزيديين وثمانية من مقاتليه<sup>1</sup>. ويظهر ان صفوق استعمل هذه الغارات للاحتفاظ برئاسته على مختلف افخاذ شمر. ومنذ عزله الاجباري من الجزيرة سنة 1835، تدهور تدريجيا وضع صفوق كالرئيس الاعلى لشمر الجرباء (وسلطان البر). ولم يحل خريف سنة 1846 حتى قام صفوق وقد هبط نفوده وتأثيره بسرعة باخر جهوده لانقاذ وضعه السابق.

لكن خلال اثني عشر شهرا سقط شيخ البادية القوي سابقا قتيلا بيد قاتل عثماني. ومع ان حوادث السنة الاخيرة من حياة الشيخ معلومة لم يحاول الا القليل من المؤلفين، بل لم يحاول أي واحد منهم، شرح هذه الاعمال او تحليل نتائج مقتله على العلاقات بين شمر والدولة العثمانية. والبحث التالي يحاول ان يملأ هذا الفراغ بنقد سم عدد من الملاحظات تشرح الأعمال التي عملها صفوق.

فقول في البدء ان شيخ شمر كان رجلا شديد الاعتداد بنفسه. فقد كان يرى نفسه شخصا قويا ومهما وحاول ان يحتفظ بالمركز الذي تمتع به في العشرينات والثلاثينات ( من القرن التاسع عشر ). كذلك يظهر انه كان يستاء من اي تجاوز على مزاياه الشخصية كزعيم بدوي وبطبيعة حاله رفض ان يخضع لرغبات عشيرته او الحكومة. ولاشك ان هذا الرفض نشأ عن حقيقة تذكره العهد الذي شهدته عشيرة شمر كسيادة الجزيرة غير المنازعة. ولذلك لم يستطع الشيخ المسن ان يعدل مسلكه ازاء تدخل الحكومة في شؤون العشيرة<sup>2</sup>.

ان حقائق الحياة في الجزيرة سنة 1846 تعطي اختلافا محسوسا لفكرة صفوق عن قوة شمر ودوره بصفته الرئيس الاعلى. لقد تغيرت الاحوال السياسية والاقتصادية في الجزيرة منذ سنوات العشرين والثلاثين ( من القرن التاسع عشر ). وفي مقدمة هذه الاتجاهات الجديدة الوجود الاداري العثماني النامي دائما مما زاد الضرائب على سكان الجزيرة من ريفيين ومدنيين ورحالة. وصاحب الضرائب المرتفعة طلبات متزايدة لرشاوى ومدفوعات ادارية وهذه النفقات المرتفعة منعت صفوق من المحافظة على طراز المعيشة المطلوب من الزعيم البسدوي

---

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 228/195، الموصل، رسام الى كاسغ، رقم 32، 10/8/1926.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 272/195 بغداد، روالنس الى كاسغ، رقم 19، 27/10/1847.

الكبير . وبالنسبة تضاعف نفوذه على افخاذ عشيرة شمر المختلفين<sup>1</sup>.  
في السنوات العشر التي تلت نفاذها الابتدائي في المنطقة سنة 1831 لم تقم القوة العسكرية العثمانية، باستثناء حملة رشيد باشا الكبرى سنة 1835، بتحدي الحكام المحليين الصغار بصورة فعالة. ولكن خلال سنوات الاربعين اثر الجيش التركي تأثيرا متزايدا في المنطقة عن طريق حملاته الفعالة ضد الدول الكردية شرقي الموصل. وهو ان صفوق لم يكن الهدف المباشر لهذه القوة الجديدة فانه ولا ريب، خشى من تعاضمها وحاول تدميرها باعماله العليفة في سنة 1846 1847<sup>2</sup>.  
ان مجاعة شديدة بدأت سنة 1844 ودمت سنتين عاقت صفوق ايضا في محاولته للاحتفاظ بالسلطة. فالجوع ارغمه على بيع حليته الشخصية ومواشيه لشراء حبوب لعشيرته، حرم الشيخ من ثروته. وحين يفقد زعيم بدوي ثروته فانه يفقد في الوقت نفسه نفوذه لدى عشيرته. وكما ذكر انفا تحدي الشيخ نجرس شيخ شمر المناقر الذي ايدته الحكومة ايضا صفوق واعمال الشيخ صفوق في السنة التي تلت ايلول 1846 سمحت له بتخصيص جهوده لتدمير مزاحمييه و احياء ماضييه<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> لا يارد : اكتشافات ص 171.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 301/195 الموصل، رسام الى كاولي رقم 38، في 1874/7/26.

<sup>3</sup> لا يارد : اكتشافات ص 114.

في خريف 1846 تحركت شمر الى الشمال من بغداد نحو منطقة الموصل الهادئة. ولكن لما ظهر صفوق في العراق الشمالي تغيرت الاحوال بسرعة. بدت شمر هورا بنهب العشائر الصغيرة جنوبية حمام علي ووقفت المرور على نهر دجلة والغارة على القوافل في طريق حلب الى الموصل. واخيرا دخل صفوق الى منطقة نفوذ بدر خان بك الزعيم الكردي الناصر قرب جزيرة عمر.

ولما وصل صفوق الى منطقة امان نسبي ارسل ابنه فرحان حاملا بعض الهدايا القليلة ووعدا بتقديم هدايا اخرى للتفاوض مع نجيب باشا في بغداد<sup>1</sup>. امل فرحان ان يقنع الوالي باعادة تنصيبه زعيما حكوميا اعلى لشمر، ووافق نجيب باشا على تلبية طلب الشيخ الشهاب. وبالخلع على فرحان اعاد نجيب باشا فعلا رئاسة شمر الى صفوق بدون الاعتراف بالشيخ المسن الذي يعلم انه محبوب حقا. بعد هذا التنصيب فقد نجس نايب الحكومة. وكذلك وعد نجيب باشا بارسال قوة عسكرية لمساعدة فرحان في المحافظة على الأمن في الجزيرة. ان عمل نجيب باشا الغريب شيئا ما تجاه عدوه المفترض الشيخ صفوق يمكن تفسيره بسهولة بحقيقة ان والي بغداد رغب ثامين السلم في الجزيرة. وقد اختار ان يتعامل مع شمر ذات النفوذ على اساس انها

---

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 301/195 الموصل، رسام الى كولي رقم 38، في 1874/7/26.

تستطيع تأمين الامن بين العشائر اذا استطاع احد ذلك<sup>1</sup>.

يظهر ان المشاكل التي كانت تواجه صفوق في خريف 1846 كانت معقدة اكثر من تلك التي تجابه نجيب باشا. او لا كان على صفوق ان يحل مشكلة وحدة العشيرة. وكما يرى بعد هذا استعمل كل طريقة تخطر على البال لتحقيق هذا الهدف. ثانياً، كان على صفوق ان يقيس على صفاء مع الموظفين العثمانيين المختلفين لانه بدون دعمهم لا يواجه عصبهم فحسب بل يفقد ايضاً سطوة الاعتراف الحكومي. وعلى كل حال ان حوادث 1846 و 1847 صورت بصورة واضحة مازق شمر الجرباء في الجزيرة.

ان هذه العشيرة، وقد فرقت بين الحياة البدوية التقليدية والتاثير الجديد المتزايد لسيطرة الحكومة المركزية، طالبت ان تجري التعديلات اللازمة لبقائها قوة عظيمة ومتمدة وقد دار جوهر المشكلة حول قضية بقاء او عدم بقاء شيخ بدوي تقليدي مثل صفوق محتفظاً بمركزه في زعامة عشيرته. والجواب على هذا السؤال كما اوضحته الحوادث التالية كان سلبياً.

مرة اخرى قرر صفوق، وهو الشيخ الذي كسدت تعترف به الحكومة والمتمتع بحماية حليغه بدرخان بك، ان يعيد وحسدة العشيرة

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 272/195 بغداد، راولنس الى كرولي رقم، 1847/19.

تحت سيطرته بصرف النظر عن العواقب<sup>1</sup>. وكانت علاقته الطائشة مع  
الثائر الكردي بدر خان بك تبرك نجيب باشا الذي وبخه الباب العالي  
رسميا لاعترافه بفرحان رئيسا رسميا لشمر<sup>2</sup> أمل صفوق ان يحصل  
على رضا الدولة العثمانية بمعاملتهم باحترام وطلب دعمها العسكري  
للقضاء على اخاذ شمر العاصية التي امتنعت عن الخضوع لسلطته بعد  
اعتراف نجيب باشا بفرحان زعيما اعلى.

في محاولة اخرى لاحتياط العداء في داخل العشيرة دعا صفوق  
الشيخ نجرس الى مخيمه للبحث في مشتركتهما الرئاسة.  
ارغم صفوق على الاعتماد على دعم الاثراك فمضى الى الشمال  
الغربي نحو ديرك المجاورة لدير بكر. وسرعان ما تجسست مساعدة  
الحكومة اذ ان مشير ماردين ارسل 600 جندي لشد ازر احد ابناء  
صفوق لاختضاع اخاذ شمر المتمردة. وقد اغتاز عودة ومقاتلوه لمساندة  
الحكومة للشيخ صفوق فاخذوا يعيرون على كل الجهات، وكانت تلغفر  
غربي الموصل ضحية لهجومهم. ومضى على هذا الفرع من العشيرة  
الى ابعد من ذلك نحو الشرق فواصل غزواته بطريقة الضرب  
والهرب على شهربان وسائر الاصقاع<sup>3</sup>. وقاموا ايضا بغلق اكثر

<sup>1</sup> محمد امين ركي : خلاصة تاريخ الكرد وكردستان (بغداد 1961) ص 236-239.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 272/195 بغداد راولنسن الى كرولي رقم، 1847/19.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية 301/195 موصل، رسام الى راولنسن رقم 13، 1847/7/18.

طرق البادية المؤدية الى الغرب. وقد نشر عودة الفوضى الشاملة فطلب صفوق مساعدة نجيب باشا ليوقفه عند حده. ووافق الوالي على ارسال مفرزة من الجنود الى صفوق<sup>1</sup>.

غادرت بغداد مفرزة عثمانية بقيادة كنج اغا في اواخر تشرين الاول 1847 وقابلت صفوق في مخيمه على بعد ساعات قليلة خارج العاصمة. وتحركت القوة المشتركة نحو الجنوب واستعدت للقضاء على عودة المزعج. وقد بدا كل شئ مرضيا حين تقدم الشخص المطلوب الى بعد مسافة ملائمة للضرب. وقد اتحد فرحان بابيه مرة اخرى وقاد مفرزة من محاربي شمر الى المعركة بينما بقي صفوق في المؤخرة بحماية حرسه الخاص. ويفترض ان كنج اغا قائد الجنود الاتراك بقي الى الوراء لمساعدة صفوق في حالة الضيق. ولما كان فرحان والقسم الاعظم من شمر في طريقهم لمقابلة عودة حصلت الفرصة لكنج اغا لتنفيذ اوامر نجيب باشا السرية. وبإشارة متفق عليها سلفا قسام جسدي عثماني باطلاق النار على صفوق في ظهره وقطع راسه. ولم تمض ساعات قليلة حتى قبض نجيب باشا على راس (سلطان البحر) ولما علم فرحان بموت ابيه هرب الى عشيرة عنزة وطلب حمايتها الانية<sup>2</sup>.

من المناسب خصوصا ملاحظة طبيعة تدخل الاتراك في شؤون

---

<sup>1</sup> كالسابق

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 301/195 الموصل، رسام الى كراولي رقم 38.

شمر. وجد والي بغداد نفسه لا يستطيع تحدي العشيرة عسكرياً سنة 1847 بعد ان اقامت في الجزيرة نحو عشرين سنة، فحاول ان يضعف قوة شمر بوسائل غير مباشرة. ولأجل تحقيق هذا الهدف اعتمد نجيب باشا على شكل من سياسة المماليك العشائرية ونفذها الى النهاية.

يجوز انه اعتقد ان اغتيال صفوق بهيئ حلاً لمشكلة شمر. لكن في نهاية الامر لم يكن ما حسمه سوى مشكلة صفوق. والحقيقة ان صفوق كان اخر شيخ شمري في القرن التاسع عشر شغل منصب سلطان البر " بلا منازع. وقد بلغت شمر بقيادته اوج قوتها العسكرية. ولسوء حظ شمر ان طمع صفوق الشخصي وعدم امكانه التكيف لاحوال متغيرة سبب سقوطه. وقد كان على صفوق للاحتفاظ بسلطته ان يحل مشكلتين اساسيتين :

(1) وحدة العشيرة و (2) التدخل المتزايد لسلطة الحكومة العثمانية المركزية. اخفق صفوق في الحفاظ على وحدة العشيرة وبدون تأييد عشيرة متحدة لم يكن شيخ شمر الممنح يستطيع ان يسدراً التحدي من جانب الوجود المتزايد الاداري والعسكري العثماني في الجزيرة. وفي احسن الاحوال، حتى مع وجود عشيرة متحدة، لم تكن جهوده ضد الاتراك سوى مجرد اجراء مؤقت لملئ الفراغ لان الفنون العصرية في نهاية الامر ومرور الوقت من شأنهما تقوية موقف الحكومة المركزية.



# **الفصل الثالث**

**عهد تعديل : تحفظ العلاقات**

**بين العثمانيين وشمر**

**1848 - 1868**



في شتاء 1847 - 1848 تمتع نجيب باشا بانتصاره الحديث على  
شمر الجرباء. وخلال مدة قصيرة بدا وكأن الحالة في الجزيرة خاصة  
وفي العراق عامة قد هدأت لصالح الوالي التركي، والحقيقة ان نجيب قد  
ابعد الشيخ الشمري المشهور في القرن التاسع عشر عن مسرح  
التاريخ. لكن المعنى الحقيقي لهذا الحادث فسي نلصق الوقت كان  
واضحاً<sup>1</sup>. وعند تحليل احداث العشرين سنة التالية من العلاقات بين  
شمر والعثمانيين يتضح كل الوضوح ان وفاة صفوق وعمل نجيب باشا  
لم يمنح العثمانيين النصر الكامل الذي ارادوه. وبدلاً من تحقيق خفوف  
البدو وتهدة عداؤهم للحكومة المركزية، جاء اغتيال الاتراك للشيخ  
صفوق لمجرد توسيع شقة الخلاف بين الطرفين.

وإذا نظرنا الى ابعث من حوادث سنة 1847 نجد ان العدين اللذين  
عقباً موت صفوق وقدم مدحت باشا والياً لبغداد سنة 1868 ربما كانا  
من انسب وأهم العهد في العلاقات بين البدو والأتراك في ولاية بغداد<sup>2</sup>  
ففي هذا العهد بدأ الاتراك بوضع الخطوط الغامضة لسياسة عشائرية  
منتظمة غابتها الحد من غزوات شمر وسائر القبائل البدوية<sup>3</sup>. وفي

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 272/195 بغداد راولنسن الى كرولي رقم، 39، 1847/10/27

<sup>2</sup> علي حيدر مدحت؛ مدحت باشا حياته وعمله (باريس 1908) ص 14-27.

<sup>3</sup> البرتين جويده؛ مدحت باشا ونظام الاراضي في العراق الاسفل (في مجلة شؤون الشرق

هذه الخطوة عامل الاتراك البدو وكانهم مجرد متوحشين يجب ان التهم من الولاية.

هذه السياسة الشديدة حلت محلها شيئاً فشيئاً طريقة أكثر تعقيداً للتعامل مع العشائر البدوية. يضاف الى ذلك ان في عقدي الخمسين والستين من القرن التاسع عشر شرعت القوانين الحديثة ( التكنولوجية ) بتأثير اثرها في العلاقات بين الاتراك والبدو. كيف استعمل الطرفان هذه التجديدات الفنية ؟ ذلك ما يقدم احدى المشاكل الرئيسية في تحليل الصلات الشمرية - الحكومية. ويجب الاشارة هنا الى انه حدثت خلال نفس المدة عدد من التغييرات في داخل عشيرة شمر.

---

الوسط، رقم 3، المحرر البرت حوراني ((وثائق مست اطوني رقم 16 (كربونديل، بلا تاريخ) ص 112-114.

## المواقف بين الاتراك وشمر

نعود الى احداث اواخر سنة 1847 لنجد نجيب باشا يتمتع بوضع قوي بعد اغتياله لصفوق بن فارس. لا ريب ان نجيب باشا قد اعتقد انه خفف من انتقاد الباب العالي حول اعترافه السابق بصفوق كرئيس اعلى لشمر وقيام صفوق بعد ذلك بالعصيان على المحسن اليه<sup>1</sup>. وفي الوقت الذي قضى نجيب باشا على احد خصومه الكبار فهو دون ان يشعر سمم علاقاته بسائر العشائر البدوية. كان الرأي العربي في اوائل عقد الاربعين يعتبر الموظفين الاتراك في ولاية بغداد رجسالا خوفا لا يوثق بهم.

كانت مواقفهم بلا ريب متأثرة بمثل هذه الاعمال كاغتيال الشيخ سليمان غنام رئيس العقيل من قبل الاتراك في اوائل الاربعينات. وقبل سنة 1847 فور ابدى الرأي العربي تحسنا ملحوظا عن الاتراك. فالمعاملة الحسنة لزعيمين كرديين ثائرين، بدرخان بك امير بهتان وحليفه محمود خان امير موك، كما يظهر، دعت الى هذا التقدير. لكن بغتل الشيخ صفوق وثر نجيب باشا مرة اخرى ولاء العرب تجاه

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 272/195 بغداد، راولنس الى كائنغ، رقم 19 في 1847/10/27

سادتهم الاثرالك<sup>1</sup>.

لا شك ان شمر رأى صفوق مذنباً بانتهاكه حرمة العرف الاساسي البدوي باغتياله ضيفه الشيخ نجرس بعد ان اعطاه صاك الامان<sup>2</sup>. وقد اثارَت خيانة صفوق رد فعل شديد بين اتباعه الشمريين فضلاً عن العشائر البدوية الاخرى. في عرفهم كان الشيخ المهان يستحق نفس النهاية الخيانية التي اوقعها بالشيخ نجرس. لكن نفس هؤلاء البدو خالفوا قيام نجيب باشا بايقاع نفس العمل. فبصفته الممثل الظاهر لسلطة الدولة جاء الاستياء من عمله كاعتصاب لا داعي له لحقوق شمر<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> كالتسابق.

<sup>2</sup> لا يارد، نبوى (2) ص.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية 272/195 بغداد، راولنس الى كاتنغ رقم 19، 27/10/1847.

## التحزب داخل العشيرة

بالإضافة الى سياسات نجيب باشا الاستغلالية حدثت أزمة رئاسة لشمر الجرباء بعد مقتل صفوق فمنعت العشيرة من أدراك قوتها الكامنة بتمامها خلال العقدين التاليين من السنين<sup>1</sup>. فطبيعة العشيرة البدوية اذا انقسمت الى عدد من الافخاذ، وكل فخذ له شيخ خاص، واقترن ذلك بالتحاسد البدوي المتواجد، تجعل من العسير جدا" الاحتفاظ بوحدة العشيرة.

ان وجود رئيس عام قدير يمتلك شخصية بارزة وبسالة حربية واحترام ابناء عشيرته يستطيع ان يسيطر على التنافسات الداخلية السي حد ما لكن حتى الرئيس المثالي، كما كان صفوق في ايام شبابه، يجسد منصبه في احيان كثيرة موضع التحدي من رؤساء افخاذ مختلفين لكن صفوق نجح في توطيد وحدة شمر الى وقت قليل قبل وفاته. ولاجل ان تبقى العشيرة قوية لا بد ان يرأسها زعيم متسلط. وهكذا اثبتت الزعامة القبلية القوية انها العامل الاساسي في الحفاظ على قوة شمر خلال القرن الذي عقب سنة 1850<sup>2</sup>. وآل محمد وهي الاسرة

<sup>1</sup> العراوي شريح.

<sup>2</sup> سكين : شمر الجرباء ص 17-20.

التي اخرجت عادة رؤساء شمر الجرباء الكبار، أصبحت منشقة بعد وفاة صفوق. لم يكن احد ابناء صفوق يمتلك صفات ابيه ولذلك لم يستطع احدهم ان يحظى بدعم رجال شمر. كان فرحان، اكبر ابناء صفوق السبعة الاحياء، يمتلك على قدر الامكان افضل الصفات التي تؤهله للرئاسة العليا. وكان يتمتع بعلاقة متينة مع الولاة العثمانيين المختلفين وخدم اياه مدة طويلة كمساعد الوثق.<sup>1</sup> لكن فرحان استنوق ايضا "بعض نواحي الثقافة التركية باعدت عنه الكثير من رجال عشيرته البدوية".<sup>2</sup>

كان لسائر اولاد صفوق ايضا القابلية لتحدي فرحان في زعامة شمر. كان هؤلاء الاولاد عبد الكريم وعبد الرزاق وفارس ومعجون وعبد الرحمن وهذا.<sup>3</sup> ومثلما احدث قدم عبد الكريم شاني ابناء صفوق اقوى تحدي لفرحان. كان عبد الكريم محاربا باسلا ومحبا للحياة البدوية في القنصر والغزو فترأس جماعة قوية في الستينات من القرن التاسع عشر. وكانت نفسيته المتهيجة تضعه دائما على خلاف مع السلطات التركية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> لوتغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص 309

<sup>2</sup> اوسطن كهري لايلارد: اكتشافات بين حراتب نينوى وبابل (نيويورك 1853) ص 332.

<sup>3</sup> هون اوبنهايم: البدو (الجزء الاول) ص 145-155.

<sup>4</sup> باليت: البدو ص 226-235.



اما ابناء صفوف الاربعة الاخرون، وهم اصغر سناً<sup>1</sup> من اخويهم  
الكبيرين، فلم يؤثروا بصورة محسوسة في شؤون شمر الا في مدة  
متأخرة من القرن. والمنافسات، كهذه التي جرت بين ابناء صفوف كثيرا  
ما كانت تخل بوحدة العشائر البدوية. وشمر الجرباء، التي تمر لحسن  
الحظ بأزمة رئاسة خلال العقود الثلاثة من حكم صفوق، جوبهت فجأة  
بالحقائق الكالحة لهذه المشكلة القديمة. وبنتيجة ذلك انغمست العشيرة في  
المنازعات المرة والصراعات الداخلية التي دامت اكثر من خمسين  
سنة<sup>1</sup>. وفقدان التماسك هذا اضعف شمر كثيرا.

لاول مرة منذ قدمت شمر الى الجزيرة توجد معلومات كافية عن  
هذه الفترة من الزمن لتشخيص الافخاذ المختلفة التي تولف العشيرة. في  
سنة 1850 بينما كان اوستن هنري لايرد عالم الآثار البريطاني الشهير  
الذي اصبح فيما بعد سفيراً لدى الباب العالي، يسافر خلال الجزيرة،  
سجل اقسام العشيرة كما يلي : (1) الخرصصة ( وتتضمن البريج،  
العداعة، العليان، العشم، الهصبه )، (2) عبدة، (3) الصايح (وتتألف من  
الصبحة والاصلم )، (4) الثابت، (5) العامود، (6) النجافسة، (7) آل  
غضا، (8) الحريرة، (9) الغفيلة، و (10) الزميل<sup>2</sup>. وكل فخذ ينقسم  
ايضا الى عدد من الوحدات الصغرى ولكل واحدة رئيس الاسرة.

<sup>1</sup> قون اوينهايم: البدو (الجزء الاول) ص 144-148.

<sup>2</sup> لايرد: بابل ص 260.

وهؤلاء الرؤساء ينتخبون واحدا منهم زعيما لمجموعتهم. وكل الافخساد هاجرت الى الجزيرة من نجد. وفي منتصف القرن التاسع عشر، حين كملت هجرة شمر الجرباء نسبيا<sup>1</sup>، صمت القبيلة نحو عشرة افخاذ. ان الفخذ الواحد كانت تعوزه القوة الكافية للسيطرة على المنطقة. ولذلك كان لا بد لشمر الجرباء من التماسك بغية اثبات قوتها ونشر سطوتها الشاملة. وهذا التماسك يرجع الى زعامة عشائرية مركزية قوية يتولاها آل محمد المعروفين عموما "باسرة الجرباء". وحصل آل محمد على قوتهم ونفوذهم من حقيقة ان الشيخ مطلق الزعيم المشهور قائد شمر الى خارج نجد الى العراق خلال حروب الوهابيين في نهاية القرن الثامن عشر. وبنتيجة صفات القيادة التي امتاز بها هو واعضاء أسرته الذين خلفوه، استمرت اسرة مطلق على ترأس مقدرات القبيلة برمتها<sup>1</sup>.

من الناحية النظرية يمكن لرئيس أي فخذ ان يتزعم القبيلة بشرط ان يحظى بالاحترام اللازم والولاء العسكري. لكن الحقيقة ان شيوخ العشيرة المهمين في القرنين التاسع عشر والعشرين خرجوا من آل محمد. بضاف الى ذلك ان كل رئيس اعلى لشمر منذ سنة 1847 الى اليوم الحاضر جاء من سلالة صفوق بن فارس. ومع ان آل محمد لم يتركوا زعامتهم على شمر فان المنازعات على الرئاسة حدثت في

<sup>1</sup> المزايوي: عشائر العراق، الجزء الاول، ص 131-132.

أحيان كثيرة. وكانت المنازعات تشمل في كل حين تقريباً الأخوة والاعمام وأولاد الأخوة وأبناء العم<sup>1</sup>.

مع مراعاة رئاسة آل محمد، كثيراً ما حولت أفخاذ شمر ولأهـا من رئيس إلى آخر. كانت ثم اعتبارات مهمة متعددة تعين الرئيس الذي يتبعه الفخذ. وكانت في مقدمة القضايا السائل عن الرئيس الذي يستطيع تهيئة أفضل الفرص للغزو المربح. والعامل الآخر المهم في هذا الصدد هو أي رئيس يستطيع منع الحكومة المركزية من التدخل في شؤون العشيرة. والاعتبارات الأخرى تدور حول شخصية الرئيس وعدد المؤيدين له وثروته<sup>2</sup>. وفي النتيجة كان شكل الولاء الذي يربط أفخاذ مختلفة برئيس شمر الأعلى تختلف حسب قوة الأفراد المختلفين من آل محمد ممن انت بهم الظروف إلى زعامة القبيلة. وفي حال السنين الطويلة برز شكل من الولاء في داخل العشيرة. وسيتحدث في هذا الشكل على الوجه الكامل في الفصول التالية.

<sup>1</sup> مكّي الجميل: البدو (بعداد 1957) ص 276

<sup>2</sup> لا يارد: نيبوى ص 124.

## شؤون شمر والعثمانيين

1851 - 1847

بعد ان اغتال ابراهيم اغا الصفوق هرب فرحان بن صفوق من بغداد قاصداً ديرة عنزة في البادية السورية<sup>1</sup>. ومع ان العشيرتين كانتا عدوين لدودين، فان أي فخذ او رجل من عنزة او شمر على خلاف مع عشيرته يستطيع ان يجد الامان لدى العشيرة الاخرى<sup>2</sup>. وهكذا فر فرحان من غضب نجيب باشا ونفس عشيرته التي حاولت قتله في الثار لاغتبال الشيخ نجرس.

في كانون الاول 1847 بعد نحو شهرين من موت الشيخ صفوق، بقيت شؤون شمر الداخلية مرتبكة. وهذا النزاع الداخلي افضى الى عارات متتابعة نشرت الفوضى في قسم من الجزيرة. ولما كان نجيب باشا لم يستطع تأمين الامن بين الفحاذ شمر المتمردة بالقوة العسكرية فقد رغب ان يسيطر عليها بوسائل اخرى. استعمل الحطة التقليدية للتفريق والتغلب واعترف بالشيخ عودة رئيساً اعلى معيناً من

<sup>1</sup> ورايه الخارجية 272/195 بغداد، راولس الى كاتع، رقم 19/27/1847.

<sup>2</sup> لا بار د: بابل ص 260.

## الحكومة<sup>1</sup>.

استمرت المنازعات داخل العشيرة طول سنة 1848. وغارة كبرى من جانب عنزة في ربيع تلك السنة أوقفت المعارك الداخلية المستمرة في شمر<sup>2</sup>. كان يقود عنزة اثنان من الزعماء المحنكين في الغارات السابقة هما ادهم بن جحيش وابن هذال، فعبرت من البادية السورية الى الجزيرة. وما ان تمكنت من الاتصال بشمر في الجانب الشرقي من الفرات حتى بدأ الغزو بسرعة. وحسب المعتاد كان الزراع المتوطنون وسكان القرى الصغيرة والقوافل المارة بالمنطقة هم الذين تحملوا اعظم الضرر في اثناء القتال<sup>3</sup>.

في امل ان يستفيد من الاحوال المضطربة في الجزيرة، قدم نجيب باشا دعمه لعنزة واعاد تعيين فرحان بن صفوق، وفرض ضرائب ثقيلة على المزارعين. ولما يصبح ضغط الضرائب اثقل مما يحتمل فان كثيرا ما كانت العشائر وحتى المناطق برمتها تثور على الحكومة<sup>4</sup>. وقد استطاع نجيب باشا بطريقة ما ان يجمع ثروة خلال اشغاله منصب الوالي بفرض الضرائب الباهضة على اهالي العراق. وخططه

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 301/195 الموصل، رسام الى كاتنغ، رقم 15، 24/5/1848.

<sup>2</sup> كالمسبق.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية 301/195 الموصل، رسام الى كاتنغ، رقم 38، 30/10/1848.

<sup>4</sup> باثر التزام (المعلمة، لاسلامية) المجلد الثالث، ص 1154-1155

الاستغلالية أثرت تأثيراً "محسوساً على منطقة الهندية جنوبسي بغداد حيث خمنت الضريبة السنوية قانونياً" بمبلغ 17800 ليرة. وفي سنة 1849 أعطى نجيب باشا تلك الناحية بالالتزام إلى الشيخ وادي رئيس قبيلة زبيد الذي رفع الضريبة اعتباراً إلى 105000 ليرة<sup>1</sup>.

أدت مضاعفة الضريبة خمسة أضعاف إلى ثورة عشائر الهندية المسلحة عادة وطرد الشيخ وادي البغيض إلى خارج المقاطعة. وخفض نجيب باشا أيضاً "فعاليته كوالي حين ألقى نسوية سلمية بين عبدي باشا قائد الجيش في ولاية بغداد والعشائر الثائرة. وفي الوقت نفسه تمردت شمر مرة أخرى تحت رئاسة الشيخ عودة ونشرت الفوضى التي اعتادت عليها على جانبي نهر دجلة<sup>2</sup>.

في أعقاب نزاعه العلني مع عبدي باشا، فقد نجيب باشا منصب الولاية. وقد قام الباب العالي في أمل تفادي الصعوبات المالية التي أخلت بالعراق على عهد الوالي السابق، بمنح عبدي باشا زيادة كبيرة في راتبه<sup>3</sup>. كلف الوالي الجديد بدون تعقل قوة عسكرية كبيرة لاحتواء العشائر المتمردة في المستنقعات الغربية، وقد أمل أن يسيطر على العشائر الثائرة بإقامة سد على رأس شط الهندية لقطع تجهيز الماء عن

<sup>1</sup> لوريمر: الجغرافية، الجزء الأول، أب، ص 1361-1362.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 301/195 الموصل برسام إلى كاننغ رقم 3، 1848/11/19.

<sup>3</sup> لوريمر، الجغرافية، الجزء الأول، أب، ص 1361-1362.

هذه المنطقة الضحلة. انتهى المشروع بالفشل حين تدفقت سيول المصاء واكتسحت سداده العديدة<sup>1</sup>. وبنتيجة تحمس عبيد باشا المفرط ضعف الهدوء ضعفا شديدا في المنطقة. وحين نشب تمرد كردي في شمال شرقي العراق في اوائل 1851، اسرع الوالي بارسال معظم قواته النظامية لمعالجة الوضع. وبينما كان الجيش التركي يطارد الاكراد الناهبين انتشر عصيان العشائر في العراق الجنوبي. وفي هذه الازمة اليائسة التفت عبيد باشا الذي لم يكن لديه سوى قوات حكومية قليلة، الى الشيخ فرحان طالبا "مساعدته"<sup>2</sup>.

طلب الوالي من الشيخ فرحان أن يأتي برجال عشيرته الى العراق الجنوبي لتأديب القبائل العاصية. وشمز التي كانت دائما على استعداد للعمل، اسرعت الى المنطقة جنوبي بغداد وبدأت تغزوها بدون تمييز. جذب اهتمامها الخسيس الصديق والعدو. وسبب هذه الغارات هو ان عبيد باشا قعد عن تجهيز الشمريين وعوائلهم بالمؤن الكافية، فقامت شمز باحثة عن الطعام بغزو العديد من مخازن الحبوب على جانبي الفرات. وتحملت الحلة خصوصا الدمار من هذه الغارات<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> كالسابق.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 334/195 بغداد، كمال الى كاتنغ، رقم 41، 1850/11/20.

<sup>3</sup> كالسابق.

شعر رجال شمر ان عبيدي باشا غير قادر على وقف نشاطاتهم فنهبوا الانحاء من بغداد على طول الخط الى اسفل الكوت. وقد تفاقمّت هذه الاعتداءات حتى حدا الامر بعبيدي باشا في النهاية ان ينكسر اتفاقه التام مع شمر. وشعر فرحان ايضا انه مني بالخيانة ففتصل من تفاهمه مع عبيدي باشا. وحتى لو اراد فرحان ان يوقف الغارات غير المسموح بها لما استطاع السيطرة على رجال عشيرته شمر<sup>1</sup>.

اثبتت نتائج اول محاولة لاستخدام شمر كجنود نظاميين على انه، لكي يكونوا فعالين، يجب ان يسيطر عليهم بصورة وثيقة. وقد تعلم عبيدي باشا لاسفه ان الاستفادة الفعالة من المساعدين البدو يجب ان يراعى فيها : (1) يجب ان لا تصحبهم عوائلهم الى المعركة، (2) يجب ان يجهزوا بالمؤن، (3) يجب منع غزواتهم منعاً صريحاً<sup>2</sup>.

خلف نامق باشا عبيدي باشا والياً لبغداد سنة 1852. مثل الكثيرين من اسلافه كان الوالي الجديد يعتقد ان القوة العسكرية تحل جميع الصعوبات العشائرية. وبعمله الشديد وسلوكه الفاسي ازاء زعماء عشائريين مختلفين، حرض نامق باشا مرة اخرى العشائر الجنوبية على الثورة. اعلن وادي بك شيخ زبيد الحرب على الباشا الجديد واتخذ مقره

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 334/195 بغداد، كمال الى كاسغ، رقم 1850/12/18.

<sup>2</sup> كالمسبق.



في المسيب على الفرات. وقد انضم اليه رجال من عشائر الدليم و عنزة، فقامت زبيد بالتهب حسب مشيئتها، وحولت انتهاكاتها العراق الجنوبي مرة اخرى الى صحراء قاحلة. جوبه نامق باشا مثل سلفه بمشكلة اعادة الامن فلم ير بدا من استدعاء الشيخ فرحان<sup>1</sup>.

علم فرحان بموقف نامق باشا الضعيف فامده تلبية لطلبه بـ 2000 محارب شمرى. وعلى عرار ذلك كان نامق باشا يعلم بسوء تصرف شمر سنة 1850 حين استخدموا من قبل كمساعدين، وقد حاول منع اعادة تلك الصعوبات. وفي هذه المرة لوعز الى شمر بترك عوائلهم في الجزيرة الشمالية<sup>2</sup>.

اعد فرحان رجال عشائره لمسيرة سريعة نحو جنوب العراق. ومع ان شيخ شمر قد رغب، ولاريب ان يساعد الوالي المطوق، فسان رجال عشيرته خططوا لاستغلال احوال الفوضى في جنوب العراق لشن غاراتهم الخاصة. وخطط فخذ الزيدان ايضا لانفاذ الشيخ سميطة. زعيمهم المسجون، الذي حبس في السجن ببغداد منذ سنة 1851. وكانت النتيجة ان نامق باشا لم يحصل الا على مساعدة ضئيلة من شمر في القضاء على التمرد في جنوب العراق<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> العروى: تاريخ العراق الجزء السابع ص 97

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 367/195 بغداد، كمبال الى كاسع، 26/4/1852.

<sup>3</sup> كالسابق

خلال السنوات المضطربة في أوائل وأواسط الخمسينات (من القرن التاسع عشر) أخبر المسافرون والقناصل الاوربيون ان ولاية بغداد بأسرها تقريبا قد قاست الامر من فقدان السيطرة الادارية الناجحة<sup>1</sup>. وكانت المشكلة المستعصية عن السيطرة على العشائر العربية المخلة بالامن مصدر ازعاج لكل الولاة. وكما شرح سابقا، نبعت تمردات العشائر في القسم الجنوبي من الولاية خصوصا تمردات المنتفق وعشائر زبيد من الضرائب المرهقة. وان القضاء على العسف الاداري كان من شأنه معالجة هذه المشكلة.

غير ان مشكلة السيطرة على العشائر البدوية كشمز كسانت اشد تعقيدا. فخلافا للعشائر الزراعية المتوطنة في جنوب العراق، كانت طبيعة البدو تتطلب من رجال العشيرة ان يثبتوا شجاعتهم في غارات الغزو المتكررة بسبب هذا الشكل الطبيعي لم يكن في استطاعة الحكومة ان تصلح أي تعسف مثل الضرائب الفادحة، وتتوقع من البدو ان يوقفوا غاراتهم.

على اثر موت الشيخ صفوق سنة 1847 حاول كل وال عثماني ان يسيطر على العشائر البدوية المتمردة بمجرد قوة السلاح لكن الجيش العثماني اخفق في دحر العشائر البدوية القوية لانه كان صغيرا ولا

---

<sup>1</sup> راجع لايرد: بابل ونيوى، و لكه لوفتس: رحلات ويحث في بلاد كلدة، وشوشسن (لندن 1857)، هرمزد رسام: آشور وبلاد نمرود (نيويورك 1897).

يملك التدريب الكافي. كانت الاعمال القاسية لهؤلاء الولاة على اختلافهم، وقد استندت بهم فكرة مقابلة القوة بالقوة، تغيط رؤساء البدو مرة بعد اخرى. بدلا من التعامل مع الرؤساء كرجال اشرفاء، كان الموظفون العثمانيون يعاملونهم بشدة واحتقار كانهم مبدونون وثوار فيهمون مشاعرهم البدوية. وقد قال احد الموظفين البريطانيين يصف سياسة نامق باشا العشائرية بانه :

(( بأعمال قسوة لامبرر لها ابدا... يثير رؤساء العشائر واحدا فواحدا، حتى ليتجمعوا في اتحاد معاد للحكومة. ومنذ ذلك الحين، باظهاره احيانا ضعفا عسكريا، وبقبوله في اوقات اخرى اساليب الخيانة ومواقف الشدة في الكلام طول الوقت مع التعالي في السلوك مما هو لبدو الصحراء الشيء الذي لايمكن تحمله فيصبح اهالي الولاية العرب في حالة من الانزعاج والسخط الشديد حتى ليستلزم الامر قوة 50000 رجل لاحماد المعارضة واعادة الهدوء ))<sup>1</sup>.

هبط مستوى الامن في الولاية من 1853 الى 1856 حين ارسلت ولاية بغداد عددا كبيرا من القوات للقتال في حرب القرم<sup>2</sup> في سنة 1856 بدأت احوال الاتراك في العراق في دركها الاسفل. في

---

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 367/195 بعدد كمال الى مالمعبري، رقم 14، في 1852/1/20.

<sup>2</sup> رسام: آشور ص 42.

السياسة العشائرية الفاسدة القائمة على جنون مزدوج من القسوة التي كانت دون الكفاية ومن الحكمة الادارية الضعيفة الزائدة عن اللزوم، قد دمرت ولاية ذات قابليات غنية. كما عبر عنها القنصل البريطاني العام: ( لا يكاد يوجد ميل واحد من هذا الفضاء الواسع خارج الحدود القريبة للمدن الكبرى يمكن ان يقال فيه انه تحت السيطرة الحقيقية للسلطات التركية).<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> كالسابق.

## نتائج رئاسة شمر العاجزة

ان سنوات السيطرة الحكومية الادارية والعسكرية الضعيفة كان يمكن ان تهئ فرصاً طيبة لشمر الجرباء لمد قوتها وفوذها لكن مشاكل شمر الداخلية منعته من الاستفادة من هذه الفرصة الذهبية. لاجل ان تستطيع العشيرة استغلال ضعف العثمانيين كان يجب ان تكون لها زعامة عشائرية قوية مكافحة فمثل هذا التوجيه كان يحتمل ان يزيد إيرادات العشيرة بفرض مدفوعات "خاوة" اعظم على العشائر والبلدان المجاورة. ولكن لسوء حظ العشيرة لم يظهر فيها زعيم قسوي ليرث تراث صفوق بن فارس.

تسم الشيخ فرحان، اكبر ابناء صفوق ومساعدته الموثوق به، منصب الزعيم الاعلى، لكنه لم تكن لديه الصفات التي جعلت من والده رئيساً ناجحاً. لم يكن فرحان يملك فصاحة والده وبراعته في اللغة العربية ولا شجاعته في المعارك. ولأنك ان حقيقة عدم قيامه فسي أي وقت بشن غارات على الاتراك او على العشائر الاخرى اضطرت جاذبيته كزعيم بدوي<sup>1</sup>.

يظهر فرحان بن صفوق من المصادر المعاصرة انه رجل

---

<sup>1</sup> لا بارد، بايل ص 322.

حصيف حاول ان يحافظ على علاقات ودية مع رجال عشيرته ومع منافسيه الحكوميين. تبع شعوره المعتدل وعدم ميله نحو الحياة البدوية المتسمة بالغزو واصطناع الشجاعة من عاملين، أولاً، جاءت أمه من بغداد، خلافا لعادات البدو. ثانياً، حينما كان صبياً رافق فرحان والسدة الى الاستانة حيث تشرب بالثقافة التركية. هذان العاملان كلاهما حسالا دون فعاليتيه كرئيس لشمر<sup>1</sup>

ان مشاركته الوثيقة مع واليهي بغداد والموصل اضعفت أكثر من ذلك مقدرة فرحان لتوحيد القبيلة. عدا عدة فترات قصيرة من عدم الحظوة، كانت الحكومة تدعم فرحان كزعيم شمر المفضل لديها بعد تنصيبه رئيساً اعلى سنة 1846، ومقابل دعم الحكومة كثير ما اعساد فرحان البضائع المنهوبة ومنح عونه لتأديب افخاذ شمر المتمردة<sup>2</sup>. وضع فرحان تعاونه الوثيق مع والي بغداد على اساس اعتبارين عمليين :

1- بصفته رئيساً اعلى كان يقبض راتبا حكوميا شهريا من شأنه المحافظة على ولاء افخاذ مختلفة من شمر.

2- استعمل منصبه الرفيع كرئيس اعلى مؤيد من الحكومة لزيادة جاذبية رئاسته المحدودة. وقد اقر فرحان بمشاكل رئاسته سنة

---

<sup>1</sup> بلنت: البدو ص 376.

<sup>2</sup> رسام: آشور ص 42.

1850 حين اعترف بعدم تمكنه من توحيد عشيرته المنقسمة

على نفسها<sup>1</sup>.

عدا فقدانه شخصيا لصفات الزعيم المتوهج فإن التنازح داخل العشيرة الناشئ عن اغتيال الشيخ نجرس سنة 1847 منع فرحان ايضا من توحيد شمر. فالافخاذ التي ايدت نجرس رفضت اتباع الشيخ فرحان بسبب تورطه غير المباشر في الغيلة الخيانية. وتورط الشيخ ايضا اغاظ الافخاذ التي ايدت نجرس<sup>2</sup>.

هذه الاعمال اغاظت فخذ الزيدان الذي ايد نجرس ضد الصالح فخذ حجر. يضاف الى هذا التنافس داخل العشيرة الدسائس المستمرة لشيوخ احريين من شمر ضد فرحان التي جعلت من العسير عليه ان يوحد العشيرة<sup>3</sup>. وبمرور الوقت قدم عبد الكريم بن صفوق الذي تمتع بشهرة متزايدة بسبب حبه للغزو وعداوته للسلطات العثمانية اعظم تحد لمصوب فرحان في رئاسة العشيرة وخلال عقد الخمسينات جلب فخذ عبدة القوي تحديا ثانيا لرئاسة الشيخ فرحان العليا<sup>4</sup>.

بين سنة 1853 و1856 شنت افخاذ شمر المختلفة غارات

<sup>1</sup> لايارد: بابل ص 322.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية: الموصلي، رسام الى بلور رقم 21، 1862/12/22.

<sup>3</sup> رسام: آشور ص 45.

<sup>4</sup> كالسابق.

صغيرة. ولاشك ان هذه الحوادث لا تستحق الذكر تفصيلاً، لكنها كمجموعة ولدت حالة مستمرة من الخلل في أمن الجزيرة. وقد اتجهت السياسة الحكومية الى الشيخ فرحان للسيطرة على افراد عشيرته بعية وقف غاراتهم على انحاء الجزيرة المستوطنة. لكن بالنظر الى شعبيته المحدودة لم يستطع الشيخ فرحان ان ينفذ طلبات الحكومة، واستمرت غارات شمر بدون رادع. القوافل والمسافرون والزراع المتوطنون والعشائر البدوية الرحالة الضعيفة - كلها كانت ضحايا لابتزازات شمر. ولم تكن الاحوال المختلفة في الجزيرة مثلاً بمعزل عن اخفاق الحكومة في السيطرة على العشائر العربية. والحقيقة ان اغلب انحاء ولاية بغداد قاست نفس الصعوبة<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 304/195 الموصل، رسام الى روز رقم (1) في 1853/1/3 رسام .  
أشور ص 45.



## شؤون شمر والعثمانيين

1861-1857

ان قلة القوات العسكرية خلال حرب القرم عاقت جهود محمد رشيد باشا للمحافظة على السيطرة على الارياف العراقية<sup>1</sup>. لكن لما انتهت الحرب سنة 1856 شرع العثمانيون بالاهتمام بمشكلة العشائر الرحالة بطريقة اكثر تنظيماً شيئاً ما وبصورة دائمة. وقد تركزت سياستهم الجديدة على فكرتين : (1) انشاء قوة عسكرية اقوى لقمع تمرد العشائر، و (2) استخدام الفنون التكنولوجية الحديثة لتحديد مزايا البدو التقليدية في المواصلات والتنظيم. ومع ان هذه كانت خطوة فسي الاتجاه الصحيح فان السياسة العثمانية الجديدة انما مثلت مرة اخرى النظرة التقليدية السلبية، وهي فرض القصاص وليس منسح المكافآت والمغريات الملائمة للبدو لاجل وقف غاراتهم. وهكذا منذ 1856 الى سنوات الستين المتقدمة حاول ولاه بغداد السيطرة على شمر عن طريق القاديب العسكري.

شعر العثمانيون ان بدو الجزيرة يولفون ناحية واحدة فقط من المشكلة العشائرية العراقية فوضعوا منهاجاً واسع الاساس للسيطرة على

رعاياهم المتمردين. كانت عشيرة عنزة القائمة دير تسها غربي نهر الفرات اول هدف لهذه السياسة الجديدة. حاول العثمانيون ان يصدوا هذه العشيرة المزعجة بالقوة العسكرية، فبدأوا باعادة السيطرة على طريق الخوافل بين حلب وبغداد الذي يسير نهر الفرات. واستعملت دير الزور التي في منتصف الطريق تقريبا بين حلب وبغداد نقطة انطلاق منطقية للسيطرة على عنزة<sup>2</sup>.

لاجل ضمان استمرار الادارة اصبحت دير الزور سنجقا مستقلا في ايالة ( ولاية ) حلب سنة 1854. وبعد سنة من حملات عشائرية غير ناجحة، حل يوسف باشا، الموظف الحكومي، محل الحاكم المدني يوسف بك شريف<sup>3</sup> وقد شيد يوسف باشا خلال مدة حكمه حصنا قويا شُن منه حملات ناجحة متعددة على عنزة. وفي السنوات التالية ساعدت حصون اخرى شيدت على طول طريق حلب - بغداد على السيطرة على العشائر العربية النائرة<sup>1</sup>.

استفاد رشيد باشا من خبرة يوسف باشا في دير الزور فانشأ عدة اصلاحات في العراق كان الهدف منها تحسين السيطرة على العشائر العربية. اعاد والي بغداد باوامر مباشرة من الاستانة، تنظيم قسوات

<sup>1</sup> العزاوي: تاريخ العراق (الجزء السابق) ص 107-108.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 377/195 بغداد، كمبال الى ستراتفورد دي ريد كليف، 1858/2/15.

<sup>3</sup> الويسن موسل: الفرات الاوسط: سفرة طبوغرافية (نيويورك 1927) ص 3.

الولاية العسكرية هيا ( النظام الجديد )، كما يفترض، للوالي جيشا قويا. وفي سنة 1857 استعمل والي بغداد عدة بدع تكنولوجية ليصد تفوق البدو في حركتهم وتماسكهم العشائري ومقدرتهم على القتال. وادخل السفن المدافع على دجلة في السنوات الخمسين الاخيرة ( من القرن التاسع عشر ) احبطت فورا مقدرة شمر في الغارة على السفن التجارية التي تسير في النهر بين بغداد والموصل<sup>2</sup>.

مزية تقليدية عسكرية بدوية اخرى، وهي المباغثة، اخذت تضمحل بانشاء اسلاك البرق سنة 1861. فخلال سنوات حالت المواصلات البطيئة دون شن العثمانيين حركات عسكرية منظمة على نطاق واسع ضد شمر. بادخال البرق ( التلغراف ) اصبح في الامكان تنظيم هجوم عسكري يستخدم جنودا من حلب واورفة وماردين وديار بكر والموصل وكركوك. وهكذا في اواخر سنوات الخمسين لم تواجه شمر ارادة اقوى للسيطرة على العشائر العربية المتمردة فحسب بل واجهت لأول مرة تحديا من جانب جيش افصل تنظيما يمتلك اسلحة محسنة ومواصلات ممهدة<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> العزاوي: تاريخ العراق (الجزء السابع) ص 120/122.

<sup>2</sup> لوغرييغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص 293-294.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية 521/195 بغداد، كمال الي بلور رقم 8، 26/2/1862.

## تغير العلاقات بين العثمانيين وشمّر

1857-1858

استفاد رشيد باشا وخلفه عمر باشا من تلك الوسائل الجديدة فحاولا وقف تخريبات شمّر. ولأجل تحقيق هذه الغاية عينوا الشيخ فرحان مسؤولاً عن اعمال عشيرته. ومع ان فرحان كان في السابق مسؤولاً عن سلوك شمّر فقد ادعى ان عدم قدرته على توحيد العشيرة منعتّه من وقف غارات شمّر العديدة<sup>1</sup>.

خلال هجرة شمّر الى الشمال في شباط 1857 اقنع رشيد باشا الشيخ فرحان بزيارة بغداد حيث بحث في الشؤون العشائرية مع السلطات التركية. وفي اثناء هذا الاجتماع حث رشيد باشا الشيخ فرحان على توقيع اتفاق تحريري يلخص مسؤولياته بصفته رئيساً اعلى معينا من الحكومة<sup>2</sup>.

نص هذا الاتفاق على المقابلة بالمثل بين الشيخ فرحان ورشيد باشا. ان مجرد فكرة دخول موظف عثماني في اتفاق يفترض انه يكون ملزماً مع رئيس بدوي تدل على تغيير محسوس في الموقف. قبل اعوام

<sup>1</sup> رسام: آشور ص 45.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 521/195 بغداد، كمبال الى ستراتفورد دي ريد كليف

قليلة كان القمع عن طريق العمل العسكري هو الذي يكسبون السياسة الحكومية الوحيدة الملائمة ضد (البلاء البدوي). وهكذا للمرة الاولى نرى واليا عثمانيا يمنح شمر عرضا منصفيا بعيد المدى. وهذا الاتفاق على التعيين بصر على وضع قوة مؤلفة من خمسمائة جندي حامل بندقية فتيل تحت اوامر رئيس شمر الاعلى وهؤلاء الجنود، ولو السهم يدفع العثمانيون رواتبهم ويجهزونهم، يقيمون مع شمر<sup>1</sup>.

مقابل جنود الحكومة وافق فرحان على السيطرة على غارات شمر بدون تمييز. ومعنى هذه المسؤولية الجديدة ان فرحان كان عليه ان يوقف استيفاء "الخواة" (الأتاوة) ويتنازل عن اتساوات القرى ويبدأ باسترجاع الممتلكات المنهوبة. وقد علم رشيد باشا ان وقف استيفاء الخاوة والغزو يؤدي الى هبوط إيرادات شمر فسراد راتب الشيخ فرحان الشهري. ومع ان هذا الاتفاق المعقد قد انهار، كما يظهر، في السنة التالية فانه بالرغم من ذلك قد سجل بداية جديدة في العلاقات بين العثمانيين وشمر<sup>2</sup>.

في اعقاب اتفاق سنة 1857 بين رشيد باشا وفرحان ادخل عمر باشا حلف الوالي السابق، مشروعا بخر للسيطرة على شمر الغازية. لقد ساءه ان يكون عليه ان يدفع الى شمر شهريا راتب "ابنزار" فخطط

---

<sup>1</sup> كالسابق

<sup>2</sup> كالسابق.

عمر باشا لتقوية الشيخ فرحان باعطائه مفرزة دائمة قوامها ثلثمائة محارب خيال شمري مؤيدين باموال الحكومة. يفقد هذه القوة رؤساء عشيرة شمر ويقبضون رواتب مماثلة لضابط تركي من نفس الرتبة. ومقابل مؤنهم وخبولهم ورواتبهم الشهرية يتولى هؤلاء الجسود غير النظاميين القضاء على نشاط العشائر المتمردة في انحاء الولاية. والغرض من هذه القوة ان تحقق هدفين : (1) لقد اعطت الشيخ فرحان سلطة السيطرة على افخاذ شمر العاصية، و(2) خلقت قوة اضافية يمكنها ان تساعد والي بغداد على تأمين الامن<sup>1</sup>.

والحقيقة ان خطط رشيد باشا وعمر باشا لم تكن الحل الكامل لوقف غارات شمر لكنها مثلت تحولا كبيرا في السياسة العشائرية العثمانية السابقة. واهميتها الالوية تقع في حقيقة ان الحكومة العثمانية للمرة الاولى قدمت الى الشيخ فرحان اتفاقا منصفيا شيئا ما وعلى اساس المقابلة بالمثل ، وقد مضى الوقت الذي كان يعامل شمر به كمجرد دود يجب محققهم<sup>2</sup>

بعد امد قصير من عقد اتفاق 1858 واصلت الحكومة معاملتها الودية للشيخ فرحان اذ عهدت اليه مسؤولية حراسة خط البرق الممدود حديثا الذي يمر بدير شمر من نهر الخابور السى الزاب الاكبر.

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 577/195 كمبال الى سترافورد دي ريد كليف، رقم 8، 1858/2/4.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 673/195 بغداد، كمبال الى بلور، برقية رقم 2.

وقبض الشيخ فرحان لقاء خدماته مكافأة شهرية قدرها 3600 قرش او  
مايساوي تقريبا راتب 30 خيالا غير نظامي. واتفاق خط السبرق،  
كالمشروعين السابقين ولو انهما لم يكونا نافذين في المدى الطويل،  
سجل مع ذلك تغييرا في السياسة العشائرية العثمانية.

## عهد غموض 1860 – 1862

بعد 1860 لقيت شمر نوعين من الاعمال العثمانية لوقف غارات العشيرة :

(1) التهديد بعمل عسكري مباشر اصبحت ذا معنى متزايد بسبب الاصلاحات التنظيمية والتجديدات التكنولوجية المدخلة فسي سنوات الخمسين الاخيرة. فالتحصينات العسكرية على طول نهر الفرات، والنظام الجديد، والبرق، وسفن مدافع اخرى على دجلة، كلها عززت القوة العسكرية العثمانية.

(2) الضغط غير المباشر، يجعل الشيخ فرحان مسؤولاً عن سوء تصرف العشيرة واعادة الاموال المنهوبة. وبنتيجة ذلك دارت العلاقات بين شمر والعثمانيين من 1860 الى 1868 حول جهود الحكومة المدبرة للسيطرة على شمر وكفاح العشيرة للاحتفاظ بمزاياها البدوية التقليدية.

لاجل تخفيف غارات شمر، ولو على مقياس ضئيل، كان لا بد من ايجاد جيش عثماني اكبر. ولكن في سنة 1860 لم تكن اصلاحات الحكومة العسكرية التي تمت في عهد رشيد باشا وعمير باشا قد حربت في ميدان الحرب. ومثال ذلك التجديدات التكنولوجية، كالبرق



وبوآخر دحلة التي تشرّد بصورة محسوسة قوة الحكومة المركزية، لم تستعمل من قبل ضد شمر. لذلك حين تسلّم نامق باشا منصبه واليا لبغداد سنة 1861 لم يرث سوى سياسة عشائرية غير مجربة. والشيخ فرحان اكثر من نامق باشا، شغل موقفا غير واضح سنة 1861<sup>1</sup>.

شعر فرحان ان موقفه كرئيس اعلى صدر اولا من اعتراف الحكومة وليس من اغرائه ومقدرته الشخصية كما كان الامر الاعتيادي بين زعماء البدو، فواجه لذلك مهمة تكاد تكون خارج الامكان في السيطرة على افخاذ شمر المختلفة. يضاف الى ذلك ان منافسات عديدة دخل العشيرة، كما سبق لنا الاشارة اليها، عقدت اكثر واجب فرحان في الاحتفاظ بدعم الحكومة. خلال هذه المدة زادت ( شعبية ) الشيخ عبد الكريم وهيات تحديا متزايدا لزعامة فرحان<sup>2</sup>.

كانت المسالتان العسيرتان على التدقيق اللتان يتوقف عليهما مستقبل العلاقات بين العثمانيين وشمر : (1) الاثر الفعال للاصلاحات العثمانية، و (2) حاذبية زعامة الشيخ فرحان، وقد جاء الجواب عليهما سريعا. مع ان فرحان قد حاول تقييد نشاط شمر في الغزو فانه اخفق في نهاية الامر في تنفيذ هذا الجزء المهم من اتفاقه مع

<sup>1</sup> الراوي: تاريخ العراق، الجزء السابع ص 134-138.

<sup>2</sup> كلام هو «ت: تقرير عن عشائر العراق العربية (في المجلة الاسيوية الفرنسية، سلسلة 13، 7 (1878) 215-240.

الحكومة. وقد حدثت نقطة تحول رئيسية في العلاقات بين شمر والحكومة في سنة 1861 حين ساعد الشيخ فرحان واخوه عبد الكريم يصبح كل منهما الفخذ التابع له، باشا ( متصرف ) كركوك. فقد كانت عشيرة العبيد، عدوة شمر لزمس طويل، تغزو جوار كركوك، وطلب الحاكم مساعدة شمر في السيطرة عليها<sup>1</sup>.

خاف العبيد من عدوهم شمر فاسرعوا بالموافقة على شروط صلح الحاكم. ولذلك لم تمس الحاجة الى شمر. وبالرغم من هذه النهاية السريعة لغارات العبيد، حصلت المتاعب حين طلب الشيخ فرحان عودة فخذ الثابت المتمرد الذي التجأ الى العبيد الى معسكره. وحين رفض خليفة الهذاب شيخ فخذ الثابت العودة، أرسل فرحان عبد الكريم للقضاء على التمرد وقد مات خليفة الهذاب في المعركة التالية، فعاد فخذ الثابت المعتاض برئاسة ( الجراش ) وعبر دجلة ونهب المنطقة حوالى الموصل. وكانت تخريباته التي اغلقت طريق النهر بين الموصل وبغداد وادت الى احراق اكثر من ثلاثين قرية قد استمرت طويلا الى سنة 1862<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 717/195 الموصل، رسام الى بطور، رقم 9، 1861/10/28.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 717/195 الموصل، رسام الى بطور رقم 42، 1862/1/15.

## الحملة العشائية

سنة 1862

نظم نامق باشا حملة عسكرية مدبرة لوقف غارات شمر وطردهم من الجزيرة. ولاجل ان ينفذ هذا المشروع العظيم استعان بمحاربين غير نظاميين من زبير والعبيد وعشائر المنتفق<sup>1</sup> للانضمام الى قسوات حكومية من بغداد واورفة والموصل وتكريت<sup>2</sup>. وكان مجموع افراد الحملة 16000 رجل. مثل هذه الحملة الحكومية المركزة لم يسبق شفاها صد شمر منذ حملة رشيد باشا سنة 1835-1836. ونعين نتائج هذا الهجوم على شمر هل تساعد الحكومة أم لا تساعد الاصلاحات العسكرية والتجديدات التكنولوجية لسنوات الخمسين في السيطرة على العشائر البدوية<sup>3</sup>.

في اوائل اذار 1862 هجمت المفسارز الحكومية المختلفة والمساعدون البدو بقيادة ثقي الدين باشا وشبلي باشا و ابراهيم باشا،

<sup>1</sup> عباس العراوي، تاريخ العراق، الجزء السابع ص140.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 717/195 بغداد، القنصل العام الى بلور رقم 26.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية 717/195، الموصل، رسام الى بلور رقم 13، 1862/4/28.

على شمر في المعركة التي كثرت الدعاية لها من الموصول. خشي زعماء شمر نتيجة هذه الحملة لانها اذا قدر لها النجاح فمثل هذا الهجوم المركز يطرد العشيرة الى خارج الجزيرة. تحركت العشيرة فوراً، في امل تفادي الكارثة، للاستفادة من احدى مزاياها العسكرية البدوية التقليدية. لما كان الهجوم قد بدأ في اواسط اذار، علم رؤساء شمر ان حرارة البر تكون بعد مدة قصيرة اشد مما يستطيع تحمله الجيش العثماني. فالحقوات الحكومية لن تتمكن من اطعام خيولها واعطاءها الماء، وبذلك لن تستطيع ملاحقة البدو ولا بد لها ان تعود الى حصونها<sup>1</sup>. رغبة منها في استغلال هذه المزية، انتقلت شمر بعيداً في عمق السهب متوجهة الى نهر الخابور. وفي نفس الوقت تفادت المعارك المركزة حيث تغلب الخيالة العثمانية. خلافاً لستراتيجية الخداع الشمرية كان انتصار العثمانيين العسكري يتوقف على مقدرة قادتهم لارغام شمر على خوض معركة حاسمة. وقد علم القادة العثمانيون ان السهب يصبح بسرعة حاراً لانتحمله خيولهم فكان لديهم اقل من شهر واحد لايقصاع الهزيمة بشمر<sup>2</sup>.

حلال نحو من ستة اسابيع انسحب الشيخ فرحان وعبد الكريم سميط عرباً نحو نهر الخابور. وكلما تحركوا الى عمق السهب تبعهم

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 771/195 بغداد، القنصل العام الى بلور رقم 10، 1862/3/26.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 717/195 بغداد، القنصل العام الى بلور رقم 25، 1862/4/4.

الجيش العثماني حتى ارغمه الحر الشديد على ترك المطاردة. وفي  
اواخر نيسان اوقفت كتائب الموصل وبغداد وكركوك مجهودها الذي  
تبجحت به وعادت الى موطنها<sup>1</sup>. وهكذا نرى السياسة العشائرية  
العثمانية حتى مع مزايا الاصلاحات العسكرية والتجديدات التكنولوجية  
وقد اخفقت في التغلب على مزايا البدو العسكرية التقليدية المبينة على  
المحادعة والنفوق في الحركة.

فشلت الحملة ايضا بسبب المنافسة المستمرة بين القواد العثمانيين  
الثلاثة تقي الدين باشا وشبلي باشا وابراهيم باشا وقد اراد كل منهم  
ان تكون له اليد العليا. في اعقاب هذه المشاحنة لم يستطع الجيش  
المؤلف من 16000 رجل سوى احراز نصر واحد على فخذ واحد  
منعزل من شمر. في هذا اللقاء فاجأت الخيالة العثمانية ومساعدوها  
من العبيد رجال العشيرة الغافلين حين خيموا ليلا. وقد ارتعسب الفخذ  
فهرب تاركا كل ما يمكن للمهاجمين<sup>2</sup>.

هذا الفشل البين اثر كثيرا، ولاربيب، على افكار الولاة العثمانيين.  
ومع ان حملة الحكومة قد اخفقت وان شمر لم تتمتع بنصر واضح.  
لقد شعر الشيخ فرحان وزملاؤه من رؤساء العشيرة ان الحملة العسكرية  
العثمانية قد تحدى تفوق شمر مباشرة. فلول مرة خلال سنين طويلة

---

<sup>1</sup> كالسابق

<sup>2</sup> كالسابق.

تجمعت القوات العثمانية على هدف واحد، وعلم الشيخ فرحان انه،  
بتحسن قليل فقط في حركة العثمانيين وقيادتهم وقسوة نيرانهم، ينسحب  
الحكومة ان تطرد شمر الى خارج الجزيرة<sup>1</sup>.

ان السلم غير المرضي الذي فرضه نامق باشا على شمر دل  
أيضا على وضع العشيرة الضعيف، نبعت قوة موقف نامق باشا من  
حقيقة ان شمر في منتصف الصيف بقيت معزولة قرب نهر الخابور  
وممنوعة من الوصول الى اسواق الحبوب في الولاية. واذا حافظت  
الحكومة على هاتين الحالتين فسان العشيرة لا تستطيع ان تتمون  
بالحبوب المهمة جدا ولا ان تهجر الى الجنوب للفرار من الشتاء  
القار<sup>2</sup>.

طلب فرحان الشروع بمفاوضات السلم بان قدم عرضا لدفع اثمان  
كل الاموال المنهوبة خلال السنوات التسع الماضية. وبدأت المباحثات  
الجديدة حين قدم الى بغداد ممثل شمر الشيخ سميط وشرع بالمباحثة  
مع نامق باشا وانتهت هذه المفاوضات حين قام الشيخ فرحان نفسه  
بالرحلة الطويلة من نهر الخابور الى بغداد لاجل حسم التسوية وفي  
النهاية وافقت شمر على دفع تعويض باهظ قدره 40000 راس غنم  
و3000 راس بعير ومائتين من الخيل. وبالرغم من تخفيض المطالب

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 717/195 بغداد، القنصل لعام الى بلور، رقم 22، 1862/5/21.

<sup>2</sup> كالسابق.

بعد ذلك فان شمر تحملت عبئا فادحا وحتى نيسان 1863 لم يستطع  
فرحان حتى مع مساعدة 800 فارس عثماني، سوى تسليم 3350  
راس غنم و 1391 بعيرا<sup>1</sup>.

شكل جمع بقية التعويض مشكلة مزمنة لان الشيخ عبد الكريم  
ادعى ان فخذة يمتلك حماية خاصة من هذه الاستزادات واتبع عبد  
الكريم رؤساء افخاذ اخرون هددوا الشيخ فرحان بالانتقام اذا لم  
يمنحوا هم ايضا معاملة خاصة. وهكذا مرة اخرى جوبهت رغبة  
فرحان في تنفيذ واجباته تجاه الحكومة بمجازفة استبعاد قسم كبير من  
عشيرته. وفي نفس الوقت عقدت مركزه على وجه اشد منافسة اخيه  
عبد الكريم المتجددة فضلا عن معارضة فخذ الصائح.

---

<sup>1</sup> العزاوي. تاريخ العراق، الجزء السابع، ص 140 - 141.

## عشيرة شمر هادنة

1862 - 1868

اخفقت الحملة العسكرية لسنة 1862 في طرد شمر من الجزيرة لكنها اثرت تأثيراً مهدداً على غارات العشيرة في السنوات الخمس بعد 1862 هبطت هبوطاً جسيماً حسب غارات شمر على القرى الزراعية والعشائر الرحالة الضعيفة والقوافل التجارية. لقد شعرت العشيرة، ولأريب بأن جهد الحكومة الابتدائي ضدها اذا كان قد اخفق فإن اية حملة مقبلة قد تدمر شمر. وهكذا حتى الافخاذ المتمردة بزعامه الشيخ عبد الكريم امتنعت عن معاداة الحكومة المركزية وكان الغزو الكبير الوحيد بين 1863 - 1868 بين شمر وعدوها القديم عنزة. وثمة ثلاثة تقارير معينة تصف الصعوبات بين شمر وعنزة في سنة 1865 و 1866 و 1868<sup>1</sup>.

غادرت شمر في اوائل الخريف مراعيها الصيفية في الجزيرة الشمالية وبدأت مسيرتها الطويلة نحو منازلها الشتائية جنوبى بغداد. وفي نفس الوقت تقريباً خرجت عنزة من مراعيها الصيفية في بادية

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 803/195 بغداد، كمال الى ليونز رقم 41، 1866/10/17.



الشام ومضت ايضا الى الجنوب على سواحل نهر الفرات وفي اواخر الخريف كانت العشيرتان متحاورتين على مسافة اميال قليلة جنوبي بغداد<sup>1</sup>. وحاولت العشيرتان، وهما تتمتعان بحب الغزو ان تنهب احدهما مخيمات الاخرى ومواشيها. وكان الخاسرون الحفيقون فسي غزوات 1865 و 1866 و 1868 الزراع المتوطنون الذين دمرت زروعهم من قبل العشيرتين النهائيتين<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> لوريمر. الجغرافية الجزء الاول، ا ب، ص 1436-1437.

<sup>2</sup> العزاوي: تاريخ العراق، الجزء السابع، ص 180.

## سبعون سنة في الجزيرة

### عشيرة شمر سنة 1868

ان الحقائق المعنية التي تصف هذا او ذاك من رؤساء شمر او تلقي الضوء على العلاقات بين العشيرة والحكومة مهمة بلا شك، لكنها قلما تشرح التاريخ الكامل للعشيرة في الجزيرة. من اهم نواحي تحليل تاريخ شمر الجرباء في الجزيرة هي كيف ان عشيرة بدويّة خالصة خرجت من جزيرة العرب قد تكيفت للحياة تحت تأثير حضارة مقيمة. في سنة 1868 او بعد سبعين سنة تقريبا من وصول شمر الى ولايية بغداد، يظهر ان العشيرة بلغت حدود توسعها الاقليمي.

شغلت ديرة شمر الاراضي بين نهر دجلة في الشرق، والفرات والخابور في الغرب، والسفوح العالية في الشمال، والارض المنخفضة جنوب بغداد. وكانت العشيرة تنجز هجرتها السنوية في داخل هذا المحيط الجغرافي. اما من الناحية السياسية فان شمر كانت تستوفي الخاوة (الاتاوة) من العشائر الضعيفة والقرى المتوطنة في المنطقة<sup>1</sup>. ومن الناحية العسكرية كانت لها القوة الكافية للغارة على كل الطرق التجارية الحيوية التي تمر بديرتها. ولم يبق لدى شمر اماكن

<sup>1</sup> لوريمر: الجغرافية الجزء الاول، اء، ص 1361.

محاصرة بلدة كبيرة كما كانت تفعل في سنوات الثلاثين والاربعين ( من القرن التاسع عشر ) لكنها كانت لاتزال تستطيع تحدي جيوش الحكومة<sup>1</sup>.

خارج تدخل الحملات العسكرية الحكومية بين حين واخر بقيست شمر القوة العسكرية السائدة في الجزيرة. وسيطرتها العسكرية سمحت لها ان تستوفي الخاوة من القبائل العربية الضعيفة على حواشي دبرتها. وكانت الجديش خصوصا تدفع الخاوة الى فخذ البريج، والجبور في الخابور الى الشيخ فرحان، وبلدة تلغفر الى فخذ الصائح. ومثال ذلك عشيرة طلي النازلة شمالي الموصل كانت ايضا تدفع الخاوة الى شمر<sup>2</sup>. واليزيديون المعروفون بالبسالة في الحسرب كانوا يقاومون تجاوزات شمر ويتحاشون اداء الاثاوة الى القبيلة البدوية القوية<sup>3</sup>. وبالرغم من سيطرتهم العسكرية كانت شمر لاتزال تخشى غزوات قبيلة عنزة التي كانت تشن الغارات على الجزيرة كل سنة تقريبا<sup>4</sup>.

بقي حب شمر للغزو قويا في الستينات كما كان حين هاجرت العشيرة من نجد. لكن بعض عناصر طبيعة شمر البدوية قد تغيرت

---

<sup>1</sup> لايارد: بابل ص 266.

<sup>2</sup> كالسابق.

<sup>3</sup> كالسابق.

<sup>4</sup> الراوي: تاريخ العراق، الجزء السابع، ص 106.

نهائيا خلال السنين السبعين الاخيرة. فالمظاهر الطبيعية والاقتصادية لحياة شمر العشائرية تغيرت على وجه محسوس جدا. خلال الاربعين سنة السابقة زاد اتصال البدو مع المدن الكبرى كبغداد والموصل زيادة عظيمة. ففي اوائل هذا القرن حين دخل الشيخ بنينة الى الموصل، وجد الكثيرين يحدقون في وجهه. بالنظر الى ملابسه وعاداته النجدية الغربية. لكن في الاربعينات والخمسينات كان عدد كبير من الرؤساء ورجال العشائر يدخلون بانتظام الى مدن الولاية الكبرى<sup>1</sup>.

كان رؤساء العشائر المختلفون في معرض السياسة كثيرا ما يزورون بغداد وماردين والموصل وديار بكر لاجل ان ينصبوا كرؤساء عشائر رسميين<sup>2</sup>. ولما كانت العشيرة البدوية تستهلك كميات كثيرة من الحبوب فكان لابد لها من شرائها من تجار المدن او الزراع للمتوطنين. في السفوات الاعتيادية، عند انجاز الحصاد المحلي، كان ممثلو العشائر يبادلون منتوجات الابعار كاللبن والجبن بالحنطة والحبوب الاخرى<sup>3</sup>. وكانت شمر ايضا تدفع ثمن الحنطة بالنقود التي تسلبها من القوافل المارة. ومصدر اخر من الاتصال بالمدن هو استئجار شمر كرعاة حين زاد طلب الاوربيين على الصوف العربي

<sup>1</sup> روس: ملاحظات عن سفرتين (في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، 9).

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 624/195 بغداد، القصل العام الى بلور رقم 12، 1860/4/11.

<sup>3</sup> لايرد، بابل ص 389.

خلال سنوات الأربعين<sup>1</sup>.

في بعض الاحايين كانت شمر تدفع ايضا ضرائبها السنوية خلال هذه الزيارات للمدن. وادخلت نواح مختلفة للحياة المدنية الى ثقافة شمر عبر طريق التجار المتجولين الذين يرورون العشيرة ويبيعون لها مواد كالقماش والسلاح والتبغ والقهوة. كل شيخ شمرى ايضا يحتفظ بعلاقة متينة باحد التجار او موظفي الحكومة في كل بلدة قريبة يراقب مصالح شمر ويستوفي الخاوة من القوافل التي يكون مرورها من ديرة شمر. ومقابل خدمات ممثلها في المدينة كانت شمر تحمي الاملاك والمواشي العائدة له<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> كلسايق ص 580.

<sup>2</sup> اونست ابرج: على النيل ودجلة : قصة رحلات في مصر والعراق بالنيابة عن



# **الفصل الرابع**

**الانقسام الداخلي والتحدي الخارجي**

**شهر الجرباء 1869-1914**





خلال نصف القرن بين 1869 و 1918 تغيرت مقدرات شمر الجرباء السياسية والاجتماعية والاقتصادية تغيرا عظيما. في مطلع هذه المدة حافظت العشيرة على وضعها كقوة مستقلة في الجزيرة. لاشك انها لم تكن تحظى بالقوة والاتحاد اللذين اُتسمت بهما في السابق، لكنها بالرغم من ذلك بقيت قوة يحسب لها حساب. لسوء حظ شمر حُتبي هذا الوضع من القوة النسبية أن له ان يهبط تدريجيا خلال الجبابرة القادمين. لقد اودت بها سلسلة من الازمات الرئاسية والقحط وحمولات الحكومة الناصبية فضلا عن نهوض الاتحاد الملي الكردي القوي، فدخلت شمر في الحرب العالمية الاولى عشيرة منقسمة على نفسها وقد نقصت عنها قوتها وبفوذها السابق.

## اصلاحات مدحت باشا

### الاسكان العشائري

منذ عزل داود باشا سنة 1830 لم يجهز الباب العالي ولاية بغداد بغير مساعدة مباشرة ضمنية. وهذه الولاية ذات القابليات الزراعية الغنية جدا والشریان التجاري المزدهر لم تتسلم الدعم العسكري الكافي للسيطرة على القبائل المتمردة العديدة ولم توضع في يد ولاية قديرين وذوي نظرة بعيدة يستطيعون وضع الاصلاحات الادارية اللازمة<sup>1</sup>. قبل سنة 1870 كان تناقض سياسة العثمانيين العشائرية كثيرا ما يؤدي الى خلق فوضى شديدة بين العشائر العربية. لم يفكر الا القليل اذا كان ثمة تفكير، في تهيئة بديل يفيد الشيخ فسي بئذ جهده للسيطرة على عشيرته<sup>2</sup>. وفيما يتعلق بنوع الادارة الداخلية وفعاليتها، لاحاجة للقول اكثر من ان معظم جموعها كانوا يستطيعون اعتزال الخدمة مكثفين بالاموال التي جمعوها خلال حكمهم في بغداد<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> للحصول على صورة واضحة لشؤون العراق الادارية بين 1830، 1870 يرجى مراجعة لوبغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق، ص 250-297.

<sup>2</sup> جويده: نظام الاراضي (وثائق سنت الطوسي رقم 16، ص 112-113).

<sup>3</sup> لوريمر: الجغرافية الجزء الاول، القسم اب ص 1358-1363. بيير دي فوسيل: الحياة في العراق قبل قرن واحد بقلم قناصلنا (باريس).

جاء مدحت باشا الى بغداد واليا في نيسان 1869 يحمل عزمًا مؤكداً في تدشين عهد اصلاح في العراق، فكان ذلك نقطة بداية في التاريخ العصري لهذه البلاد. خلافاً للكثير من الولاة السابقين الذين ارسلوا الى بغداد بنتيجة عدم رضا اوقصاص سياسي، وصل مدحت باشا الى هذه الولاية البعيدة في اوج نشاط خدمته.

ولد سنة 1822 ودخل في خدمة الحكومة في مطلع شبابه. ابدى موهبة ادارية وهو يخدم موظفاً صغيراً فتقدم مدحت باشا بسرعة وشغل مناصب في البلقان وسائر انحاء الامبراطورية وفي اثناء تدريبه زار عواصم اوربية متعددة لمدة نصف سنة فتعلم اشياء كثيرة ساعدته بعد ذلك في المناصب التي تقلدها. قبل قدومه الى بغداد ولي مدحت باشا مقاليد الحكم في الولاية الدانوبية المؤلفة حديثاً جالبا الى هذه المقاطعة الهائجة السلام والرخاء النسبي<sup>1</sup>

حاول الوالي النشيط الجديد ان يحسم بعض المشاكل المدنية والعسكرية الملحة. وكان في مقدمة اعماله انشاء نظام جديد للادارة في الولاية يعطي كل ناحية تركيبة موظفين يساعدهم مجلس منتخب<sup>2</sup>. شيد الكثير من المشاريع العامة كالمدارس والمستشفيات والميقاتم بتوجيه من مدحت باشا. وفي امل ان يستثمر ثروة العراق

<sup>1</sup> مدحت: مدحت باشا ص 4-13.

<sup>2</sup> ديفيس: الاصلاح في الامبراطورية العثمانية، ص 160-164.

الاقتصادية، فكر الوالي الحديد في مشروع سكة حديد محكم يصل بغداد بالعالم الخارجي. وفي فكرة مماثلة طلب عدة بواخسر جديدة لزيادة التجارة على نهري دجلة والفرات، وخطط لحفر النهرين بغية تحسين النقل عليها. لكن هذا المشروع كالكثير من مشاريعه انتهى بالفشل<sup>1</sup>.

شعر مدحت باشا بأنه، لاجل اجراء اصلاحاته العديدة، لا بد له من تحسين وضع الامن في انحاء الولاية. تقدم بسرعة للتخفيف من وطأة الفوضى العشائرية وبشر الامان في ارباب العراق. خلافا لاسلافه الذين اكتفوا برد الفعل لمشاكل العشائر، وضع خطة متعددة الجوانب استبغست الكثير من المصاعب الناشئة عن التعامل مع العشائر المستقرة والمترحلة. علم ان السياسات السابقة غير المنسقة التي اختلفت بين عدم الاهتمام والمصالحة المفرطة والقمع الشديد والتي تركت شيوخ العشائر في حيرة، فحاول مدحت باشا ان يتبع سياسة عشائرية اكثر تعقلا وايسر على الفهم<sup>2</sup>.

وضعت هذه السياسة الجديدة على اساس اعسادة تنظيم شامل اجتماعي وسياسي واقتصادي للمجتمع، ورمت الى اعادة تشكيل صورة الولاءات وتوزيع السلطة. فمذ هذا الحين تكون الدولة وممثل السلطان

<sup>1</sup> عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث (القاهرة 1968) ص 380-391.

<sup>2</sup> لونعريغ: اربعة قرون، ص 305-311.

لا العشيرة ولا شيخ العشيرة المحور المزدوج للولاءات العامة. كسافت التقاليد تقضي بان رئيس العشيرة يحصل على السلطة بتحصدي سلطة الحكومة واستيفاء الخاوة ( الاتاوة ) وقيادة العزو على العشائر الاخرى والزراع المستقرين، وكل ذلك قطع حبل الامس في الارياف. يضضاف الى ذلك ان شيخ العشيرة، على وجه مناقض، كان يطلب اعتراف الحكومة به كشيخ العشيرة الاعلى، ادى ذلك الاعتراف الى مكافاة مزدوجة هي زيادة النفوذ في العشيرة والحصول على اعانة حكومية كبيرة. وبالرغم من اعتراف الحكومة بقي مركز شيخ العشيرة يعتمد اساسا على الدور الذي يقوم به بصفته زعيم بدوي تقليدي. وهكذا حتى يحين الوقت لتعبير اساس الزعامة البدوية، بقي الامس والهدوء في احاء الولاية املا بعيد المال<sup>1</sup>

اخذت عدة اصلاحات عشائرية قام بها مدحت باشا تعدل وتغير الاساس التقليدي لسلطة الشيخ بين عشائر العراق العربية. وقد تسالفت هذه السياسات العشائرية الجديدة من ثلاثة اقسام رئيسية. كان القسم الاولان التوطين ( والعثمنة ) يرميان الى اضعاف التلاصق بين الشيخ وعشيرته بينما يزداد اعتماده على الحكومة المركزية والقسم الثالث، وهو الكبت العسكري، يدار بصورة اشد فهكذا اذا خلف الرئيس العشائري عن التجاوب للجزر ( أي المعاملة الطيبة ) فتستعمل العصا

---

<sup>1</sup> كالمسابق ص 307.

## لإعادته إلى واجبه الصائب<sup>1</sup>.

بعد أن درس مدحت باشا التواحي المختلفة لمشكلة العشائر فسي  
إنهاء الولاية قرر أن يسكن أكثر ما يمكن من العشائر في نفس ديارهم.  
فيما مضى حين كانت تصدر الأوامر إلى إحدى العشائر بوقف غاراتها،  
لم يعط لها بديل من جانب الحكومة، بل كانت تسهد فقط بإجراءات  
تأديبية قاسية. والآن، كبديل لذلك، أمر مدحت باشا بمسح الأراضي لكي  
يمكن بيعها إلى أفراد من رجال العشائر. وقد ارتأى أن ضمان التملك  
والمصلحة الدائمة التي تخلق على هذا الوجه تكون دوافع قوية لرجال  
العشائر لترك طريقة حياتهم النهابية<sup>2</sup>.

كان مدحت يعلم جيدا أن العشائر المستقرة على نفس أراضيها  
يمكن السيطرة عليها بصورة فعالة وحكمها بعدالة أكثر، وفضلا عن  
ذلك فرض الضريبة عليها وتجنيدها بسهولة وعلى غرار ذلك تكون  
العشائر المستقرة أسهل انقيادا لخطـة ( العثمـة ) ( التتريك ) التي خطط  
مدحت لإنشائها. وإذا تمت الأمور كما يجب فالمؤمل أن الشيوخ  
المالكين للأرض يشعرون بمرور الوقت بارتباط وثيق بالحكومة وأخذ  
مشروع مدحت في ( العثمـة ) شكلا طبيعيا حين قلـد شيوخ عشائر  
مختلفين موظفين حكوميين. وقد جعل كل شيخ مسؤولا عن إدارة

<sup>1</sup> كالسابق ص 306-307.

<sup>2</sup> جريدة: نظام الأراضي (وثائق سنت انطوني، رقم 16) ص 120-121

المنطقة التي استقرت فيها عشيرته. ولم يتسلم الشيخ لقبه فحسب بل صار أيضاً يقتصر راتباً شهرياً في أداء واجباته الرسمية. وكانت النتيجة ان السياسة العشائرية العثمانية تحت مدحت باشا تطورت على اساس معقول مما ادى فيما بعد الى تحسين وضع الامن<sup>1</sup>. وفي نهاية القرن وصفت تقارير اوروبية عديدة الولاية بأنها اصمن اماناً مما كانت عليه قبل سنة 1870<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> لونغريغ: اربعة قرون، من تاريخ العراق ص 307.

<sup>2</sup> فون أوبنهايم: vom mittellmeer الجزء الثاني، ص 83-84.

## سياسة مدحت باشا العشائرية

وشمر الجرباء 1870 - 1871

حين تسلم مدحت باشا منصبه واليا لبغداد في نيسان 1869 كانت  
شمر الجرباء لا تزال تحت الرئاسة الاسمية للشيخ فرحان بن صفوق.  
وخلال سنوات الستين العشر كانت رئاسة شمر موضوع خصام بين  
ثلاثة من ابناء صفوق وهم فرحان وعبد الكريم وعبد الرزاق، ولا بد ان  
نذكر هنا ان عبد الكريم وهو رجل ذو شجاعة كبيرة وارادة قهارة، كان  
معبود رجال عشيرته ونال ولاء قسم كبير من شمر. ومع ان فرحان  
وعبد الكريم اختلفا اختلافا شديدا في اجتذابهم لحب العشيرة فانسه لم  
تحدث حتى ذلك الحين قطيعة بين هذين الزعميين القويين<sup>1</sup>.

غير ان هذه القطيعة حدثت في اعقاب سياسة مدحت باشا  
العشائرية. فالشيخ فرحان، الذي سبق لنا البحث في ميله السي القيسم  
العثمانية وعلاقاته الودية التقليدية مع الحكومة المركزية، تعاون علنا مع  
الوالي الجديد، وقبل بمحض ارادته بارض منحت له على الضفة  
الغربية لنهر دجلة في قلعة الشرفاط على بعد 60 ميلا جنوبي الموصل،  
وهذا الترتيب تضمن موافقته الضمنية على اسكان عشيرته كزراع على

<sup>1</sup> راجع الفصل الثالث ص 26-27، 32.



الأرض التي حصل عليها. ونال فرحان دلبسلا آخر على التكريم والتصديق الرسمي حين أنعمت عليه الحكومة العثمانية بلقب ورتبة الباشوية وبراتب شهري مكافاة له على وقف الغزو وإعادة الأموال المنهوبة<sup>1</sup>.

أحدثت السياسة العثمانية الجديدة تماما رد فعل مخالفا لدى الشيخ عبد الكريم. فمُنذ اغتيال أبيه حلف عبد الكريم يميناً ابدياً ببغض العثمانيين الذين كان يحتقرهم ويعتبرهم جيلاً حقيراً من الناس واتباعاً لسياسة عدااء سافر، أخذ ينهب ويغزو والغارة على القرى والقوافل بدون أقل تحريض. وفي إحدى المرات رفض استقبال ممثل عن والسي بغداد. وكانت النتيجة أن العثمانيين صاروا يرون عبد الكريم خارجاً على القانون<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> بلست: الدور ص 232.

<sup>2</sup> كالسابق ص 98-99.

## أهم أحداث

### سنة 1871

سجلت سنة 1871 فترة شديدة الأهمية في تاريخ عشيرة شمر الجرباء في الجزيرة. منذ عبورهم الفرات في أوائل القرن التاسع عشر جوبه بدو شمر الجرباء باصناف من التحديات الثقافية والاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية. وتضمنت هذه مواجهة عشيرة العبيد القوية، والتنظيم المعقد للإدارة العثمانية العسكرية والإدارية، والتحديات التكنولوجية مثل الأسلحة الحديثة والبواخر، وأخيراً ثقافة الجماعة المتوطنة في الجزيرة. استطاعت شمر حتى سنة 1871 أن تقاوم كل هذه التحديات بدرجات مختلفة من النجاح، لكن كما سوف يبدو واضحاً هنا، حان لحظوظ شمر أن تعاني تغييرات جمة تحت حكم مدحت باشا.

من جميع أبناء صفوق كان عبد الكريم أقربهم ليمائل حب والبدء للحياة البدوية وفي ضمنها حماسه للقتال. كان شديد الإيمان بالمزايا البدوية - شجاعاً وسخياً وشهماً، وكان محارباً مشاكساً وعنيفاً يقود رجال عشيرته بنفسه. وكان يتمتع بحب عشيرته حتى أن نصف أفرادها تقريباً وقفوا إلى جانبه ضد أخيه الأكبر فرحان باشا. بين الأفراد المتعددين نال عبد الكريم ولاء العبداء والعليان والصائح. ولم يكذب مدحت

باشا يشرع بتنفيذ مشروعه لاسكان العشائر حتى ثار عبد الكريم على التدخل في المزية البدوية<sup>1</sup>.

عند تحليل اسباب ثورة عبد الكريم يتضح ان ثورة شمر سنة 1871 قد اختلفت كثيرا عن جميع تمرداتها السابقة. اولا ان شمر علمت من اخر حملة حكومية منظمة شنت ضدها سنة 1862 ان القوة العسكرية العثمانية قد زادت زيادة عظيمة بسبب قابلية التحرك الكبيرة والتنظيم المتحسن والاسلحة المتطورة. بعد تلك الحملة فورا علم عدة رؤساء شمريين ان العشيرة كان يحتمل ان تطرد من الجزيرة لسو ان الحكومة استعملت قابلياتها الجديدة بصورة افضل. ثانيا، خلال السنوات العشر التالية مضت الحكومة في تقوية وضعها العسكري على طول شاطئ الفرات وفي العراق الشمالي. هكذا لا بد لمحارب متمرس كعبد الكريم، بالرغم من بغضه للعثمانيين ولم يكن بالتأكيد مجنوناً، ان له اسبابا جد قوية لرفع لواء الثورة والمجازفة بهزيمة مؤكدة على يد اعدائه الالقاء<sup>2</sup>.

يبدو ان المؤرخين في الماضي لم يقدروا اهمية ثورة عبد الكريم حق قدرها في تاريخ شمر. بمعالجتها كحادثة اخر في المعارك التي

<sup>1</sup> الراوي: تاريخ العراق، الجزء السابع، ص 261-263، وزارة الخارجية 949/195 بغداد، القصل العام الى اليوت، رقم 36، 2/8/1871.

<sup>2</sup> راجع الفصل الثالث ص.

لا تنتهي بين العثمانيين وشمّر، يظهر أنهم اخفقوا في فهم المعنى الصحيح لهذا الحادث<sup>1</sup> وحين ينظر الى الثورة كصراع ثقافي وعسكري تأخذ معنى اعظم كثيرا مما نسب اليها من قبل. قبل سنة 1871 لم تنجح القوات المسلحة العثمانية في توطيد تفوق عسكري قاهر على شمّر الجرباء كما ان ثقافة العراق المتوطن لم تهدد بصورة فعالة لثقافة شمّر الرحالة. وقد شعر عبد الكريم ان مشروع التوطيين الذي وضعه مدحت باشا يمثل نهاية ثقافة شمّر النجدية فاستمسك بشدة لثرائه وقرر ان يحارب بالرغم من الفارق القهار.

ادعى عبد الكريم ان قائمقام نصيبين قد اساء معاملته فثار في اوائل اب 1871. خلال اسبوع واحد نجح الزعيم الثائر على راس نحو 3000 محارب شمري، في نشر الدمار في المنطقة المحيطة بنصيبين. قبل ان تستطيع الحكومة اتخاذ عمل فعال، اغارت شمّر المتمردة على اكثر من 200 قرية واحرقت 70 منها بالنار، وقتلت عددا كبيرا من الاشخاص، واستولت على كل شيء يمكن نقله. وفي نفس الوقت كتب عبد الكريم رسائل الى رؤساء عشائر مختلفة يشتكى فيها بان مدحت يعتزم ارغام شمّر على الاستقرار كفلاحين لا غير

---

<sup>1</sup> للاطلاع على المعالجة الاعتيادية لثورة الشيخ عبد الكريم سنة 1871 يرجى مراجعة: هون اوينهايم: البسدو، الجزء الاول، ص 149. لوثرغينغ: اربعه قسور ص 310. العزاوي: عشائر العراق، الجزء الاول، ص 159-160.

وطلب مساعدتهم<sup>1</sup>.

لما وصل العديد من هذه الرسائل الى مدحت باشا اعلن منح مكافاة قدرها 10000 قرش لمن يأتيه بعبد الكريم حيا و 5000 قرش لمن يأتي برأسه. وفي الوقت نفسه قسم عبد الكريم قواته الى ثلاثة اقسام وارسلها على دير الزور والموصل وبغداد. هذه الخطة السيئة الترتيب للتغلب على العثمانيين انهارت حين انهزم الشمريون بصورة نهائية في قلعة الشرفاط. اغار على نحو 3000 محارب شمري جيشان عثمانيان بقيادة اسماعيل باشا من ديار بكر و احمد باشا القائد العام من بغداد<sup>2</sup>.

قتل 300 محارب وجرح واسر عدد اخر كبير فترك عبد الكريم ممتلكاته وفر مسرعا الى البادية. بعد هزيمته الفاجعة طلب الزعيم المحاصر الامان على خط وادي الثرثار لكن لسوء حظه جف الوادي جفافا تاما ولقي عدد كبير من رجال شمر حنقهم من العطش. وانتهت الثورة حين تم لعدة مفارز من القوات العثمانية التي انضم اليها مقاتلون من الدليم وعنزة، ان تلحق بالمفرزين الشمريين الاخيريين وتدحرها وفي احدى هذه المعارك سقط عبد الرزاق اخو عبد الكريم قتيلا امام الهجوم العثماني الضاري. وعند وصول تعزيزات عسكرية

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 949/195 بغداد، الفصل العام الى اليوت رقم 1871/8/30، 42.

<sup>2</sup> كالسابق

اخرى من المراكز العثمانية على الفرات ومنطقة سنجار، لم يكن للثورة  
الا ان تنتهي بالافاق<sup>1</sup>

حطمت خطط عبد الكريم وسقط اعدائه صرعى وتفرقوا وقد فقد  
زوجته الحبيبة وولدا صغيرا، ففر لينقذ حياته أمل ان يهرب الى نجد  
ويحظى بحماية ابن رشيد الزعيم الشمري، وعبر نهر الفرات سباحة  
ووصل اخيرا الى ديرة المنتفق في جنوب العراق<sup>2</sup>. لكن لسوء الحظ  
كان ناصر باشا شيخ اتحاد المنتفق القوي على صلة طيبة بمدحت  
باشا فقبض على عبد الكريم وارسله الى بغداد<sup>3</sup>. بعد محاكمة قضائية  
في بغداد حكم على عبد الكريم بالاعدام لتمرده ولما نال الحكم موافقة  
الاستانة النهائية انتهت حياة الشيخ الشمري شنقا على جسر نهر دجلة  
في الموصل<sup>4</sup>.

---

<sup>1</sup> كالسابق.

<sup>2</sup> حبيب شيحا: ولاية بغداد (القاهرة 1908) ص 242-243.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية 949/195 بغداد، القنصل العام الى البوت رقم 46، 1871/11/26.

<sup>4</sup> مدحت: مدحت ص 22.

## قبيلة شمر الشرقية والغربية

1880 - 1872

على اثر موت عبد الكريم وعبد الرزاق كليهما اصبح فرحان باشا شيخ مشايخ شمر الذي لا ينازع. وقد خضعت لزعامتة العشيرة كلها تقريبا، عدا الافخاذ المتمردة عبدة والعلبان والصائح. ومع انه حمل لقب "الباشا" الرفيع وحصل على راتب شهري حكومي كبير فان الجاذبية العامة للشيخ فرحان كزعيم عشائري لم تزد<sup>1</sup>. لقد استمر مرهقا بوصمة ان امه حضرية المولد وحبه للثقافة المدنية ومشاركته العملية الوثيقة مع السلطات التركية. وتعرى زعامته لعشيرة متحدة نوعا ما خلال السنوات 1871 - 1875 الى عدم وجود منافس فعال اكثر مسن أي بـروز لمحبة شعبية.

بعد اعدام عبد الكريم تعاون الشيخ فرحان بصورة وثيقة مع السلطات الحكومية في محاولتها لاسكان شمر الجرباء كزراع. واخثيرت قلعة الشرقاط، الواقعة على نهر دجلة على مسافة نحو ستين ميلا جنوبي الموصل منزلا مفضلا لخيام شمر، موقعا لهذه المحاولة الاولى للاسكان. وقد منح مدحت باشا الشيخ فرحان بقطعة ارض

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 949/195 بغداد، القنصل العام الى البوت

تمتد على ساحل دجلة الغربي. وفي بادئ الامر كانت المنطقة كلها  
لاكثر من صحراء خالية من الماء<sup>1</sup> من الصعب ان نقرر حقا كيف  
حاول فرحان باشا ان يستثمر منحة الارض هذه، لكن توجد معلومات  
كافية تلخص جهود الاسكان. بسبب هجرة شمر الموسمية يمكن  
الافتراض بصورة معقولة ان اولئك الذين اقاموا في قلعة الشرقاط  
سكنوا فيها جزءا من السنة. وقد اتخذت عدة محاولات بسيطة لزراعة  
بعض المزروعات. ونصب ايضا ساقية (ناعور) على دجلة لتجهيز  
الماء لعدد من اشجار الفاكهة زرعت في حقل منظم بجوار النهر<sup>2</sup>

كما استخدم فرحان باشا كما كان المتوقع عددا من الفلاحين من  
عشائر مختلفة تابعة لشمر كالجبور للقيام بالعمل الزراعي الفعلي.  
وفي سنة 1878 حين رار ولغرد وانا بلنت قلعة الشرقاط وجدا فرحان  
باشا واكثرية العشيرة مخيمين فيها. والعدد الكبير من رجال العشيرة  
النازلين في الخيام حول خيمة فرحان قد جردوا الريف الملاصق  
وجعلوه عاريا بقطعانهم من الاغنام والابساعر. وحسبما رواه بلنت  
وزوجته وعدة مسافرين اوربيين آخرين زاروا قلعة الشرقاط في  
اوائل سنوات الثمانين انتهى مشروع اسكان شمر بالفشل<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> كالسابق. بلنت: البدو ص 186-188.

<sup>2</sup> رسام: آشور ص 257-258.

<sup>3</sup> بلنت: البدو ص 187، سنهاو: ص 303-304. ج ب بيترز: تحريات ومجازفات على



ومع ان تجربة الشرفاء كانت اقل نجاحا فانها اثبتت مدى (عثمة) الشيخ فرحان. لاشك ان فرحان لم يعتزم قط ان يتسازل تماما عن علاقته بحياة البادية لكنه لا بد كان عالما كل العلم انه، لاجل المحافظة على منصبه كزعيم عشائري اعلى، فلا بد له من مواصلة التعاون مع السلطات السياسية. انه لم يفهم بصورة دائمة في قلعة الشرفاء. لكنه حين كان يخيم هناك كان يدخل مظاهر متعددة من ثقافة الاستقرار في مخيمه وهو ابتعاد كبير من عادات العشائر التقليدية. ومن اثار التجديد غير المسبوقة قبلا استخدامه موظفا دينيا مقيما في الموصل ليؤم الشيخ واتباعه في الصلاة اليومية وليعلم ابناؤه اللغة التركية. ومع ان هذه الخطوة لم تدل على نهاية الحياة البدوية فانها مثلت تطورا حديدا في نظام حياة شمر النجدية<sup>1</sup>.

ان افخاذ شمر كالعبدة والعليان والصائح التي التحقت بدون تمسك بالشكليات بعبد الكريم، نزلت الى اساليبها الرحالة الحرة بحماسة اكثر بعد ان تعرضت لطريقة الحياة الغربية وغير المعهودة "المستتركة" تحت رئاسة فرحان. وهؤلاء المحاربون الساخطون سرعان ما وجدوا رئيسا جديدا في شخص فارس بن صفوق. بعد حوادث سنة 1871 فورا هربت عمشة ام عبد الكريم مع ابنها الصغير فارس السى الملجأ الأمن لدى بادية شمر التابعة لابن رشيد في نجد. وفي هذه المنطقة

---

المرات الجزء الاول، (نيويورك 1898) ص 119.

البعيدة والعسيرة الدخول نشأ فارس بن صفوق تحت حماية قريبه القوي. وأصبح هناك متمرسا بطريقة الحياة الحرة وغير المقيدة التي أدى الدفاع عنها في تدمير مقدرات الاسرة و وفاة ابيه واخوانه الكبار . وخلال اقامتها في هذا المنفى في نجد لم تضع عمشة الفرصة لاثارة حقد ابنها على الاثراك<sup>2</sup>.

لما عاد الشيخ فارس الى الجزيرة سنة 1875 اسرع اتباع عبـد الكريم، الذين نهرتهم اساليب فرحان باشا " البغدادية " فـانضموا الى الشيخ الشاب. وكانت دعوته كزعيم ابعد كثيرا من كونه اخا شقيقا لعبـد الكريم المحترم، فان حبه للبادية واخلاصه الشديد لطريقة الحياة البدوية التقليدية أهله فورا كمنافس لفرحان الميال الى الاستيطان والبعيد عن "الشعبية" كان لفارس مؤهلات لاغبار عليها لرئاسة شمر العليا لقد كان سليل بيت الرئاسة في الجزيرة وكان اخوه عبـد الكريم وابوه صفوق من رجال البسالة العظمى، وقتل كلاهما بطلا شهيدا وهما يحاربان في سبيل طريقة الحياة الشمرية. وكان هو نفسه مالكا لعدد من الصفات التي جعلته معبود بعض افراد شمر كان كريما فوق العادة شجاعا في المعارك، فارسا مغوارا وفاتر الحماسة نحو السلطات التركية، فسرعان ما جمع اكثر من نصف عشيرة شمر تحت لوائه. وقد

---

<sup>1</sup> بلنت: البدو ص 188، 192-193. بلنت: البدو ص 188، 192-193.

<sup>2</sup> فون بوننهايم: البدو، الجزء الاول ص 149.

مثل العبدة والصائح والعامود أكثرية أتباعه<sup>1</sup>.

منذ سنة 1875 انشقت شمر الجرباء إلى شقين متنافسين. فشمر الغربية التي يرأسها فارس بن صفوق شغلت القسم الشمالي الغربي من ديرة شمر التقليدية. وكانت دير الزور على الفرات في منتصف الطريق بين بغداد وحلب مركز الصلة الرئيسية بين شمر الغربية مع السلطات التركية. أما قسم العشيرة التابع لفرحان باشا والمعروف باسم شمر "الشرقية" فشغل المنطقة من الديرة العشائرية القريبة في الموصل ونهر دجلة. وفي بادئ الأمر اتخذ الشيخ فارس موقفاً أشد عداء نحو السلطات التركية في دير الزور. ولكن في سنة 1878 حين دعا حسين باشا قائم مقام دير الزور فارس لزيارته قبل الشيخ الشاب دعوته فوراً ليحمل لقب باشا. وبموجب هذا الاتفاق تسلم فارس راتبا شهريا ضئيلا ليحافظ على الأمن في ديرته العشائرية<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> سنامو: ص 303-304

<sup>2</sup> بلنت: البدو ص 223.

## نظام متغير

### تغير الجزيرة اداريا وفنيا وديمقرافيا (سكانيا)

1800-1914

بين سنة 1880 ونشوب الحرب العالمية الاولى سنة 1914 تغيرت موازنة المجتمع العشائري في الجزيرة والعراق الشمالي تفسيراً محسوساً<sup>1</sup> في بادئ الامر كانت شمر الجرباء، ولو انها مجزأة الى جزئين متعاضدين ، لاتزال تتمتع بموقعها المعتاد كاقوى قبيلة محلية. خلال هذه الثلاثين سنة استمرت شمر على اتباع سيرة حياتها البدوية بالرغم من حصول عدد من التغييرات قللت من محال نفوذها ومسست مزاياها السابقة من الغزو وفرض الاتاوة ( الخاوة )<sup>2</sup>.

اتخذت قوى التغيير التي اثرت في شمر اشكالا مختلفة، لكنها صدرت كلها من الوجود العثماني الاداري المتزايد في فعاليته في الجزيرة. خلال الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ابرز هذا الوجود نفسه بصورة مؤثرة في امن عسكري متحسن. كانت شمر الجرباء قبل ذلك تشن غاراتها باقل خوف من انتقام الحكومة. وحتى هجوم

<sup>1</sup> نورمان لويس : وحدود الاسكان في سورية 1800.

<sup>2</sup> ستين: شمر جربا ص 102-103.

مدحت باشا العسكري المديبر سنة 1871 تطلب تخطيطا متقنا ومواصلات فعالة بجمع العدد الكبير من القوات اللازمة للتغلب على العشيرة<sup>1</sup>.

بعد العقود التي تليعت هذا النصر الحاسم زاد وجود القوة العسكرية العثمانية بصورة محسوسة حول حدود ديرة شمر. فبالإضافة الى زيادة العدد العام من الجنود المهينين لحراسة البادية، جعلت التكنولوجيا المحسنة الجندي الفرد محاربا فعالا افضل. وقد وجه العثمانيون اهتمامهم في البداية الى تأمين الامن على طريق القوافل على طول نهر الفرات الذي يصل بين بغداد وحلب.<sup>2</sup> اتخذت ديرة السزور الواقعة على الفرات نقطة البداية لجهود العثمانيين لتحسين الامن. شيد ارسلان باشا خلال الستينات قلعة قوية البناء هناك واستخدم قوات عثمانية لقمع غارات عشيرتي شمر وعنز<sup>3</sup> وفي سنة 1900 اقامت القوات في قلاع في الكسارة والمعدان والتبني والشطية والبوحسن والميادين والصلاحية والبوكمال والقائم<sup>4</sup>. وابتعد من ذلك شمالا على ساحل نهر الخابور اقيمت حامية اخرى في تل الحسجة لتشارك في

<sup>1</sup> لويس: بروز، ص 174-175.

<sup>2</sup> لويس: الحدود (مجلة الشؤون الدولية) 31 (1955) 48-60.

<sup>3</sup> راجع الفصل الثالث ص

<sup>4</sup> موسيل، الفرات الاوسط ص 2.

مسؤولية السيطرة على شمر الغربية.

في الجانب الشرقي من الجزيرة وقفت القوات من تكريت و الموصل و جزيرة ابن عمر مع قوات ديار بكر وماردين ونصيبين تصد شمر الشرقية<sup>1</sup>. وعدا انشاء سلسلة من الحاميات العسكرية حول ديرة شمر، استعان العثمانيون بتجديدات عديدة اخرى لتحديد غارات شمر اكثر من ذلك ويظهر ان تجديدا بسيطا، وهو اتخاذ البغال وسيلة للنقل في البادية، حسن كثيرا من مقدرة القوات الحكومية لمطاردة غزاة البدو الشاردين. قبل ذلك كان المحاربون البدو الراكبون على الجمال يتمتعون بمزية كبيرة في سرعة الحركة<sup>2</sup>. وحين كان العثمانيون يطاردون شمر على الخيل كان هؤلاء يتجهون الى البادية الحارة الجافة ويتخلصون بسرعة من مطارديهم. لكن هذه المزية البدوية فقدت لان البغال التي تتطلب القليل من الطعام والماء تستطيع السير بسرعة جيدة في البادية<sup>3</sup>.

وحصل تجديد اخر تكنولوجي في البنادق المحسنة المتعددة الطلقات

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 1242/195 الموصل، راسل الى تيكسن رقم 2، 1879/1/20.

وزارة الخارجية 1445/195 ريشاردز الى بلاودن رقم 2، 83/11/13.

وزارة الخارجية 164/195 بغداد، القنصل العام الى وايت رقم 86، 1889/11/21.

وزارة الخارجية 2339/195 الموصل، كريغ الى لوثر، رقم 13، 1910/4/21.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 717/195 بغداد، القنصل العام الى فلور رقم 25، 1862/4/4.

<sup>3</sup> سماو: ص 274-275.

مما قضى على مزية بدوية اخرى. بدءا من سنة 1869 ببندقيات "سفايدر" التي تحشى انقطاعا، وقد عقبها ونشستر "المتكررة الرصاص في السبعينات، ثم بندقية "مارتيني" المحسنة حوالي نهاية القرن، فصار الجنود العثمانيون يتمتعون بمزية عالية في اطلاق النار على محاربي شمر الذين كانوا مسلحين ببندقيات قديمة ورماحهم التقليدية<sup>1</sup> لاريب ان البغالة العثمانيين السريحي الحركة المسلحين ببندقيات متكررة الاطلاق قد اثروا في غزاة شمر لكن هذه البنادق الجديدة يحتمل انها كانت اشد وقعا على شمر حين كان يستعملها الزراع المئوطنون. في محادثة مع مارك سايكس، المسافر البريطاني في بداية القرن العشرين، قدم عبد الرحمن اغا الرئيس الاعلى للاكراد الكيكية<sup>2</sup> قصة مفيدة عن اثر بندقية "مارتيني" على العلاقات بين شمر والزراع :

( سألته هل شمر يزجونه ؟ فقال بايجاز :

فيما مضى.

سألته : لم ليس الآن ؟ فكرت لحظة واحدة ان عبد الرحمن يلوي الابتسام فعلا. برقت عيناه الفاترتان، ولاحظت بريق اسنغان صفراء طويلة تحت شواربه. لكن ذلك لم يكن سوى تثاؤب.

<sup>1</sup> كذلك. لويس. الحدود (مجلة الشؤون الدولية، 31 (1955) ص 54

<sup>2</sup> كان الاكراد الكيكية من اشدهم شمر في العراق الاعلى.

قال : في السابق وكأنه يواصل كلامه، فلم يكن لدينا سوى الرماح. اما الان فشمير بارعون جدا في الرماح، وافراسهم سريعة ايضا، وجماعاتهم الغازية تزيد على عدد رجالي. عدا ذلك كان شعبي اقل فعلا رجلا امام رجل. لكنني اشتريت مؤخرا خمسين بندقية "مارتيني" بمبلغ كبير. وجدير بالقول ان " المارتيني " لا فائدة منه لرجال يركبون الخيل ضد رجال يحملون الرماح. يصرخ البدوي ويجري بسرعة نحو الرجال حاملي " المارتيني " الذين يباخذهم الخوف ويهربون. وقد علمت ذلك حين اشتريت " المارتيني " وكذلك علمت شمير. لكن شمير لم تعلم بما علمت، وذلك ان الرجل الراجل ولله مارتيني يساوي عددا كبيرا من الرجال مع الرماح. في السنة الماضية استولى الشمريون على عدة الاف من اغنامي، فاخذت معي خمسين من رجالي مسلحين بالمارتيني وركبنا نلحق بهم. ولما وصلنا الى البدو وطلبت من رجالي ان يترجلوا. ولما راي شمير ذلك فكروا النساء جننا مستسلمين وهجموا علينا كالشياطين، وهم يصرخون ويرفعون رماحهم حسب العادة. قلت لرجالي ان يقفوا بلا حركة على الارض وينتظروا. فلما جاء الشمريون على بعد دقيقة واحدة، قلت لرجالي ان يطلقوا النار كلهم معا. هرب الشمريون لكننا اطلقنا النار اربع مرات قبل ان يصلوا الى مسافة سليمة. وقد غضب شيوخهم وقالوا ان هذا ضد اصول الغزو وهو امر معيب لاننا جرحنا اثني عشر رجلا منهم. لكنهم اعادوا كل اغنامي، ولاهتم بما نقوله شمير لانهم يخافون الان ان يمساوا



ايا من ماشيتي، وعليهم ان يغزوا في مكان اخر. ان البدو لا يفهمون المارتيني اكثر مما انا افهم الرماح. )<sup>1</sup>

بين التجديدات التكنولوجية التي اثرت في بدو شمر، يحسن بنا ان لانغفل سلسلة المواصلات البرقية المتسعة. كما ذكرنا سابقا كان خط البرق الذي يربط بغداد بالموصل قد بدا بالعمل منذ سنوات الستين<sup>2</sup>. عل حد الجزيرة الغربي مد خط برق وادي الفرات يربط حلب وبغداد سنة 1890<sup>3</sup>. يضاف الى ذلك ان خدمات برقية قد انتشنت قبل نشوب الحرب العالمية الاولى على الجانب الشمالي من العراق الاعلى. ومجموع هذه الشبكة البرقية قد سهلت التنظيم السريع الفعال للحملات العسكرية ضد العشائر البدوية المتمردة.

علاوة على ادخال تجديدات مختلفة تكنولوجية وادارية تعير ايضا شكل السكان في الجزيرة خلال الثلث الاخير من القرن التاسع عشر. سجلت الاعوام بين 1870 و 1914 مبدأ اعادة اسكان مناطق واسعة من الاراضي الزراعية المتروكة في الجزيرة الشمالية<sup>4</sup>. اتخذت مشاريع الاسكان المؤبدة من الحكومة على سواحل نهري الفرات والخابور

<sup>1</sup> مارك سايكس: تراث الخليفة الاخير (لندن 1915) ص 330.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 521/195 بغداد، كمبال الى بلور رقم 8، 1862/2/26.

<sup>3</sup> موسيل: الفرات الاوسط ص 3.

<sup>4</sup> لويس: الحدود (مجلة الشؤون الدولية، 31، 1955) 54-60.

المناطق المختلفة متعددة.

اولا، ان العشائر الصغيرة كالجبور والبقارة والعقيدات التي لا تستطيع حماية نفسها ضد غارات عنزة وشمرو حثت على الاستقرار على طول نهر الخابور. ومع ان قوات الحكومة المقامة في مواقع استراتيجية قد منحت العشائر المتوطنة حماية افضل، فانسها لم تكن تستطيع منع استيلاء ( الخاوة ) المستمرة حتى سنوات القرن العشرين<sup>1</sup> ومشروع اعادة اسكان عثماني ثان، واكثر نجاحا شيئا ما، بدئ به بجوار راس العين. في هذا المشروع المعين اسكن جراكسة مسلمون طردهم الروس من وطنهم في جبال القفقاس في اواخر سنوات السبعين من القرن التاسع عشر، في اراضي زراعية متروكة حول راس العين.

والجراكسة محاربون اشداء عنيدون تصادموا مع شمر الغربية في منازعة استمرت عقودا من السنين. ومع ان الجراكسة تحملوا الكثير من غارات شمر السنوية فانهم احتفظوا باراضيهم ونجحوا في اخراج الامر بجعل راس العين وطننا لهم<sup>2</sup>.

لقد صورت القصة التالية بصورة دقيقة شكل العداء البدائي بين

<sup>1</sup> فون اوبنهايم: الجزء الثاني ص 78-79.

<sup>2</sup> ماعوز: الاصلاح العثماني ص 142-143. البعثة الى تركيا الشرقية، الجزء 9 مساردين، القس جوريف، ي مكوت الى الدكتور ن ج ليلالك، رقم 262، 1882/5/1. ستين: شمر جريا ص 26-27.

شمر واللاجئين الجراكسة القادمين حديثا :

في اول الامر حين جاء الجراكسة الى راس العين اغارت شمس عليهم واستولت على مواشيهم وخيولهم. لكن في احد الايام قبض رجال راس العين على عشرين بدويا وقتلوهم. واخذوا واحدا وحفروا ثقباً في جسمه ونفخوه مملوءاً بالهواء كما ينفخ جلد الغنم، ثم وضعوه خارج راس العين حتى ان كل قادم يقول : ماشاء الله، ما هذا ؟ انظروا ماذا فعل الجراكسة بالشمرى. لكن شمر فكروا فيما بينهم كيف يتسنى لهم النار، وعملوا هذه المكيدة. جاؤوا الى راس العين وقالوا : ( ايها الجراكسة، شنت عنزة الحرب علينا. تعالوا وساعدونا ) واولئك الذين لم يعلموا بخداع البدو ذهبوا معهم - رجال كثيرون وكل واحد يحمل بندقيته - الى البادية. وقال الشمريون : ( الاترون هؤلاء الفرساني في البادية ؟ انهم رجال عنزة فانهم الذين لديكم بفسادكم امضوا الى الامام. ونحن بدو ومالنا الا الرماح ) وهكذا تقدم الجراكسة الى الامام ولم يكن هناك احد من عنزة بل جماعة اخرى من شمر. وقد فوجئ رجال راس العين بين جماعتين من البدو من امام ووراء، وفي ذلك اليوم سقط منهم خمسون رجلاً. <sup>1</sup> استمر هذا التنافس خلال سنوات القرن وكان واحدا فقط من عدة تأثيرات جديدة غسرت وضع شمر في

<sup>1</sup> مارك سايكس؛ دار الاسلام (لندن 1904) ص 284-285.

الجزيرة<sup>1</sup>. ويحتل ان اقوى التحديات في الجزيرة لتفوق شمر، بصرف النظر عن العداء التاريخي مع عشيرة عنزة، قد اتى من الاكراد الملبين بعد عقود من السنين خسر فيها الاكراد الرحالة في العراق الشمالي حربهم ضد تجاوزات شمر اصبحوا اقوياء تحت زعامة ابراهيم الملي وتمكنوا من دحر الغزاة البدو<sup>2</sup>. وبعد ان انتهت الحرب الروسية التركية سنة 1878 استعان الزعيم الكردي بمهارة بالقبائل المجاورة لاحكام اتحاد كبير قرب ويرانشهر<sup>1</sup>

خلال التسعينات استخدم السلطان عبد الحميد الزعيم الكردي بصفة لواء في الجيش الحميدي الذي انشا في تحاء المناطق الكردية في الامبراطورية عدا منحه رتبة باشا الاضافية، تسلم ابراهيم الملي ايضا كمية كبيرة من بنادق (مارتينى ) وقد استفاد من هذه المساعدة العثمانية فقام بسرعة بتحويل الاكراد المساعدين العرب في مركزه في ويرانشهر الى قوة عشائرية متفوقة في العراق الشمالي. من العرب انضمت الى الزعيم الكردي عشائر الجحيش والعبادلة والبقارة والشرابييين بضماف الى ذلك ان الاكراد الشيشيشية قرب ماردين انضموا ايضا الى القوة الجديدة. لكن بينما قوة ابراهيم الملي ونفوذه زادا، اصبحت عشائر

<sup>1</sup> مايكس. تراث الخليفة ص 323 324.

<sup>2</sup> زكريا: عشائر الشام ص30. لاجل الاطلاع على احار معاصرة عن التوارر المتحول بين البدو والعرب والاكراة الرحالة راجع يرالد باتمي(البيزغ 1913) ص 62-64.

طئ والجبور وشمر اعداءه الالسداء<sup>2</sup>. وقد استمرت المصادمات  
العشائرية الناشئة عن هذه التحالفات الجديدة الى موت ابراهيم باشا  
الملى سنة 1909<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> سايكس: تراث الحليفة ص 323-324.

<sup>2</sup> كالسابق. و ج الفسطن: القضية الكردية (مجلة الشؤون الدولية، 22، 1946) ص94.

<sup>3</sup> زكريا. عشائر الشام ص 322 323. فون اوينهايم: البدو، الجزء الاول ص 139-141.

## شمر الغربية

1890 - 1914

احتفظت افخاذ الثابت والفداغة والعليان بموقعها تحت زعامة فارس بن صفوق كاقوى مجموعة عشائرية في الجزيرة الغربية. وخلافا لشمر الشرقية بزعامة فرحان باشا التي كان تعاونها مع السلطات التركية وتذوقها للثقافة التركية قد باعدا الكثيرين من رجال عشيرته، فان قسم الشيخ فارس من شمر حاول ان يحيى حياته البدوية التقليدية. والعلاقات الودية نسبيا بين الشيخ فارس وباشا دير الزور سهلت امور شمر في اعمال غزوهم واستيلاء (الخواة). وبشروط ان غارات شمر لم تخل بالزراعة المتوطنة والقوافل التي تمر بالطريق من الموصل الى حلب، فان العثمانيين لم يتدخلوا في شؤون اتبباع الشيخ فارس. وكانت النتيجة ان العشيرة استمرت على استيلاء الخاوة من اكراد سنجار والجبور والحديدن وسائر العشائر الصغيرة على نهر الخابور<sup>1</sup>.

في سنة 1890 امتدت ديرة شمر الغربية من بين الميادين ودير الزور على الفرات جنوبا الى خط على طول راس العين وويرانشهر

---

<sup>1</sup> سنامو : ص 303-304.

ومباردين شمالاً. في داخل هذه المنطقة لم يتحد احد شمّر سوى اعدائهم التقليديين عنزة. شنت غارات متقابلة بين هاتين العشيرتين كل سنة تقريبا. ومن المفيد القول ان غارة مدمرة بوجه خاص حدثت سنة 1885 حين فاجأ فخذ السباع من عنزة الشيخ فارس عيسى الخابور وسرقوا اكثر من اربعمائة بعير<sup>1</sup>، قبلت الخسائر من الغارات بين العشائر كجزء من الحياة البدوية ومالت الى التوازن على مر السنين وعند نهاية القرن جاء التحدي من ابراهيم باشا وفرقته الحميدية مخلا بالتوازن في العلاقات بين شمّر وعنزة والعثمانيين.

دارت شمّر خلال السنين نحو الهضبات الكردية في جنوب الاناضول فدفعت ببطء حدود مراعيها الى الشمال حتى بلغت المنطقة حول ويرانشهر. قبل بروز ابراهيم باشا في التسعينات لم تقدم العشائر الكردية الضعيفة وغير المتحدة المقيمة في المنطقة سوى مصاعب قليلة الى شمّر الغربية. ومع انهم كانوا اعداء الداء، فان المعركة الاولى من المعارك العديدة الكبيرة بين شمّر والمليين لم تحدث الا في اواخر التسعينات حين اغار الشيخ علي الشيوخ علي ابراهيم الملي. وقد انتهت هذه الغارة بصورة فاجعة حين اسر ابراهيم باشا علي الشيوخ وارسله الى الاسنانة. وقد بقي في العاصمة التركية عدة شهور قبل اطلاق سراحه.

<sup>1</sup> المراوي: تاريخ العراق، الجزء الثامن ص 76.

عاد الشيخ المهان الى الجزيرة فطلب ثأرا سريعاً بشن هجوم شمري آخر ضد خصومه المليين. وقد ساعده ابن عمه محمد الشيوخ ابن البطل الشمري الخرافي عبد الكريم، فاعد علي الشيوخ محاربيـه. لكن قبل ان تتمكن شمر من الوصول الى مضارب الملي بجسوار راس العين، علم ابراهيم باشا بخططهم وتقدم مع اتباعه الاكراد في اثناء الليل وفاجأ شمر في تل حرم ( شرقي راس العين )<sup>1</sup>

بعد الاندحار الثاني انتهت شمر الغربية والشرقية برئاسة الشيخ فارس والشيخ العاصي بن فرحان مؤقتاً عداءهما وخططتا لهجوم على اوسع مقياس ضد الاكراد المليين. تحرك جيش شمر الضخم الى الشمال قاصداً ويرانشهر بعد ان ناشد المساعدة من اكراد الدكوري والكيكي وعرب طي والجبور وحرب والشرابين. وقف مدة قصيرة في الحلالية لمحاصرة قلعة يسيطر عليها احد اعوان ابراهيم باشا الموثوقين، ثم اتخذت شمر بعد ذلك موقعا شمالي ويرانشهر لشن الهجوم. لكن لسوء حظ العرب علم ابراهيم باشا بواسطة جواسيسه تفاصيل خطة شمر الحربية وفاجاهم مرة اخرى في لحظة خطيرة. وللمرة الثالثة والحاسمة دحر الاكراد أعداءهم البدو، انتصرت القوات الحميدية وطاردت العرب المنسحبين كل الطريق الى راس العين<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> هور اوينهايم: البدو، الجزء الاول ص 139.

<sup>2</sup> كالسابق.



اثر النصر الكردي الساحق في شمر بثلاث طرق : اولا: سمح للاكراد المليية باسترجاع قسم كبير من المراعي الشمالية التي خسروها واستولت عليها شمر خلال القرن الماضي، ان اعادة احتلال الاكراد للسهل بين ويرانشهر ورأس العين سجلت تطويقا اخر لديره شمر وقد لاحظ احد الاوربيين انه، بعد المعركة الحاسمة سنة 1901، قلما تحركت شمر الى شمال نهر الخابور، ثانيا : بعد هذا التحول في التفوق العشائري، اعاد الزراع الارمن الاقامة في الارض الزراعية المهجورة حوالي رأس العين<sup>1</sup>.

ثالثا : سرعان ما انتهى النصر الكردي التعاون الموقت بين شمر الشرقية والغربية. وهذا التقارب الظاهر انتهى بالسرعة التي بدا بها حين رفض فخذ الثابت والفراغة من شمر الغربية ان يعضما الى الحملة ضد ابراهيم باشا. خلافا لسائر افخاذ شمر التي تعيش بعيدا عن نهر الخابور، واجه هذان الفخذان مشكلة خاصة. كانا يعيشان على عرب الخابور محصورين بين عدويهما القويين عنزة والملي، فلم يكن لها يد من نحاشي معاداة أي من الجماعتين<sup>2</sup>

بالاشتراك في هجوم شمر على الاكراد المليية كان هذان الفخذان يتعرضان لهجوم الفدعان من عنزة حلفاء ابراهيم باشا النازلين جنوبي

<sup>1</sup> سيكس، دار الاسلام ص 288

<sup>2</sup> هون، وينهايم: البدو، الجزء الاول ص 140.

الفرات. علاوة على ذلك حتى لو ان جيش شمر قد هزم ابراهيم باشا، فان الثابت والفراغة يصبحان خاضعين لثار الاكراد وعنزة لامتد طويل بعد عودة شمر الشرقية الى ديارها قرب الموصل. وبنتيجة ذلك اغاظ هذان الفخذان بقية شمر حين تركا وادي الخابور وضربا خيامهما قرب موطنهما السابق في قلعة الشرقاط خلال الهجوم على الاكراد المليية<sup>1</sup>.

واجه فخذ الثابت والفراغة مصاعب جديدة بعد وفاة زعيمها الشيخ فارس سنة 1901 مع الاسف ان الزعيم المتوفي لم يخلف ولدا بالغاً ليتولى رئاسة العشيرة خلال هذه المدة العصيبة. وهكذا نرى الثابت والفراغة كما يطر تحت رحمة شمر الشرقية الاقوى منهما بسبب ضعف زعامتهما، وقد انقذ من أي فقدان اخر للسلطة بنزاع داخلي بين خصومهما. نشأ صراع علني على رئاسة العشيرة بين اثنين من ابناء فرحان باشا هما العاصي وجار الله. وفي هذا الصراع انضم هذان الفخذان العربيان الناثان الى جار الله ومؤيديه من العبدية ضد العاصي وسائر شمر الشرقية. وبعد عدة معارك غير حاسمة اعيد السلام في نهاية الامر بين شمر الشرقية وفي هذه الفوضى الشاملة عاد الثابت والفراغة الى نهر الخابور حيث عاشا تحت حماية المليية<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> كالسابق.

<sup>2</sup> كالسابق.

احتفظ ابراهيم الملي بوضعه المتفوق في شمال العراق حتى خلع رجال تركية الفتاة السلطان عبد الحميد في نيسان 1909 وقد قام ابراهيم باشا بتأييد السلطان المحلوع المحسن اليه مع قوة من 1500 كردي باحتلال دمشق باسم السلطان لكنه لم يلبث ان ارغم على الانسحاب بعد مدة وجيزة. وعند عودته الى ويرانشهر طورد هذا الزعيم الكردي القوي من جانب المتعاطفين مع حزب تركية الفتاة. وقد جر مطارديه هنا وهناك في انحاء العراق الشمالي، حتى لقي مصرعه قرب صفية. ومن الغريب انه قتل بايدي شمر الغربية التي دحرها دحرا مبينا قبل اقل من عشر سنين<sup>1</sup>.

تركت وفاة ابراهيم باشا الملي فخذي الثابت والفراغة دون الحماية المعهودة من حاميه الكردي. ولذلك اتجه الى الفدعان طلبا للحماية. وكان الجواب البدائي المتحفظ من هاشم بن مهيد رئيس الفدعان يرجع الى رغبته في صيانة العلاقات الودية بين الفدعان وسائر عشيرة شمر. لكن حين بدا الثابت والفراغة بغزو اخوانهم في العشيرة، سرعان ما وجد الفدعان انفسهم متورطين في النزاع بين الفخزين المنبوذين وسائر قبيلة شمر. وفي سنة 1914 عاد الفخزين الثابت والفراغة فانضموا مرة اخرى الى الجماعة الرئيسية لشمر الغربية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عن سقوط ابراهيم باشا الملي الزعيم القوي ساعا راجع بيير روندو.

<sup>2</sup> فون اوينهايم: البدو، الجزء الاول من 140.

## العلاقات بين شمر الشرقية

والعثمانيين 1890-1914

بينما كان الشيخ فارس وشمر الغربية يقيمون خارج النفوذ المباشر للحكومة المركزية، تعاونت شمر الشرقية برئاسة فرحان باشا بصورة فعلية مع الولاية الاثرالك في بغداد والموصل<sup>1</sup>. وقد أدت هذه الصلة الوثيقة الى انخفاض حسيم في قوة شمر البدوية التقليدية. يضاف الى ذلك ان التغيير يمكن ان يعزى الى عاملين معينين احدهما داخلي والاخر خارجي. وقد لخص ستيفن لونغريغ المشكلة الداخلية اذ كتب ((ان شمر قد مزقت بمناقضاتها الداخلية... فابتدت صورة كاملة لفقدان الهدوء البدوي))<sup>2</sup> وكانت السيطرة العثمانية الادارية الفعالة المقرونة بوجود عسكري اقوى في ديرة شمر الشرقية قد هبأت القوة

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 1243/195 الموصل، راسل الى بيكس 1879/4/5

وزارة الخارجية 1309/195 الموصل، راسل الى مايلر 1880/6/5.

وزارة الخارجية 1445/195 الموصل، ريثاردز الى بلاوديه رقم 1883/11/1322.

وزارة الخارجية 1478/195 الموصل، ريثاردز الى بلاوديه رقم 1884/3/4122.

وزارة الخارجية (للقصل العام) الى وايت رقم 86 89/5/21

وزارة الخارجية 1647/195 بغداد، تويدي الى وايت رقم 3350، 1880/6/26.

<sup>2</sup> ستيفن هـ. لونغريغ: العراق 1900-1950: تاريخ سياسي واجتماعي

الخارجية قد خفضت تفوق عشيرة شمر في الجزيرة  
كانت المنافسات بين الافخاذ موحودة دائما بعد وفاة عبد الكريم  
اخذت هذه المصاعب معاني اعمق في تاريخ شمر . قبل 1871 تركزت  
المنافسة في داخل العشيرة في قضية أي رئيس يستطيع ان يحصل على  
اعظم تايبد على اساس كرمه وشجاعته وبسالته في القتال وذكائه فضلا  
عن حيازته لاعتراف الحكومة برئاسته العليا. عدا هذه العوامل كانت  
الافخاذ كثيرا ما تدعم الزعيم الذي يستطيع جلب اعظم الغنائم وينجح في  
تحدي سلطة الحكومة.

طالما اعتقد رجال شمر بانهم قادرون على دحر الجيش العثماني  
او التهرب منه فان مقدرة الحكومة للتاثير في شؤون شمر بقيت محدودة  
نسبيا. لكن حالما وطد الجيش تفوقه العسكري على شمر زاد تاثير  
الحكومة على حياة العشيرة زيادة جسيمة. بعد احفاق محاولة عبد الكريم  
الجريئة لمقاومة تجاوز العثمانيين المتزايد سنة 1871، اصبح شيسوخ  
شمر بعده لا يستطيعون المطالبة بالزعامة على اساس انهم يملكون  
التفوق العسكري لتحدي الحكومة. وبنتيجة ذلك اصبحت الحكومة شيئا  
فشيئا الحكم النهائي في شؤون العشيرة. ومنذ سنة 1875 شعرت  
شمر عموما والقسم الشرقي منها خصوصا ان اعمالهم تابعة لمداخل

---

واقتصادي (كسفورد 1953) ص 54.

## الحكومة الفعالة<sup>1</sup>.

خلال الثمانينات من القرن التاسع عشر حافظ فرحان باشا على علاقات وثيقة مع والي بغداد والموصل. وقد حصل فرحان رتبة الباشوية وتولى مسؤولية منع شمر من الغزو وفرض الخاوة على العشائر الضعيفة وقرى شمال الجزيرة. وقبض مقابل خدماته راتباً شهرياً يقارب 250 ليرة تركية. وفي الحقيقة لم يكن فرحان يستطيع ان ينفذ هذه الشروط الصارمة ضد الغزو، لكنه اظهر التعاون في القيام بواجبه المقرر. وكما ابلغ قنصل بريطاني، كلما احدث غزو من بين شمر، ارسل فرحان دائماً كتاباً ينسب العمل الى قخذ ثائر او السى غريمه الشيخ فارس. وفي محاولة اخرى لارضاء الموظفين في بغداد والموصل، كثيراً ما كان يطلب قوات حكومية للمساعدة في السيطرة على افخاده المنشقين<sup>2</sup>.

قبل الحرب العالمية الاولى اضعف العثمانيون اكثر من ذلك شمر الشرقية إما بخلق المنافسات بين الرؤساء العديدين او اثاره المنافسات الموجودة. مثلاً، حصل تحد كبير لزعامة فرحان في ربيع 1884 حين طلب اخوة معجون بن صفوق اعتراف العثمانيين به كالرئيس

<sup>1</sup> مثلاً تدخل الحكومة سنة 1889. وزارة الخارجية 1647/195 بغداد، القنصل العام السى وايت رقم 21، 86/2/1889.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 1682/195 بغداد، تويدي الى وايت، رقم 355، 26/4/1890.

الحكومي الاعلى. وقد ايد معجون عدد من رجال عشيرة فرحان باشا،  
فعرض ان يدفع للحكومة ضريبة مواشي سنوية قدرها نحو 10000  
ليرة تركية وان يتنازل عن الراتب الشهري المعتاد اذا اعترف به رئيسا  
لشمر في سنجق الموصل<sup>1</sup>.

بالرغم من راتبه الشهري السخي البالغ 25000 قرش نفر فرحان  
الكثيرين من اتباعه ببخله. ونظرا الى العرض المهم الذي قدمه معجون  
اقتراح والي الموصل ان يسمح له بان يجبسي الضرائب السلوية  
كتجربة لمقدرته على اداء الوظيفة. لكن قبل اجراء التجربة الغيست  
بامر والي بغداد. وهكذا استطاع فرحان ان يدفع تحدي اخيه الاصغر  
غير الناجح فعلا وان يحتفظ بمنصب الرئيس الاعلى الى وفاته سنة  
1890<sup>2</sup>. بعد وفاة فرحان باشا عادت مشكلة اختيار خلف له مرة اخرى  
تنشر الفوضى في وحدة العشيرة كما كان شأنها قبل نحو اربعين سنة  
بعد وفاة الشيخ صفوق. خصوصا ان فرحان باشا خلف سنة عشر  
ولدا لكل منهم ادعاء شرعي بزعمه العشيرة. وكان منهم مطلق  
وشلاح وعبد العزيز وفيصل والعاصي ومجول وزيد وبدر

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 1478/195 الموصل، ريشارد الى بلودن رقم 22، 4/3/1884.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 1478/195 بغداد، بلودن الى الايزل نوف دوفريسن رقم 362، في  
1884/5/21.

ومضر<sup>1</sup>. في بادئ الامر خلف العاصي اياه رئيسا اعلى بين جماعته الكبرى. وخلال السنوات العشر التالية انتقلت مشيخة شمر الشرقية بين حين وحين بين سلاح و العاصي ومجول و جار الله<sup>2</sup>.

تقدم الاخبار التالية امثلة عديدة لشؤون شمر الشرقية المضطربة بين سنة 1890 و 1914. نشبت المعارك داخل العشيرة في ايار سنة 1897 حين تمرد فخذ الصائح على تعيين العاصي رئيسا اعلى من جانب الحكومة، وقد مضى العاصي الى الموصل واستعان بدعم الوالي باعطائه فرسيه الكريمتين اللتين تساويان اكثر من 200 ليرة تركية. وقد ارسل الوالي فوراً مقابل ذلك عدداً من الجنود الخيالة لمساعدة العاصي في القضاء على التمرد<sup>3</sup>. بعد سنتين مرة اخرى، سنة 1899، تحدى سلاح العاصي بأرشائه حميد بك وكيل والي الموصل وبعد ذلك في نفس السنة يظهر ان الشيخ مجول بن فرحان قام ايضا برئاسة شمر العليا<sup>4</sup>. وحدثت مصاعب اخرى سنة 1902 حين خرج جار الله ضد الشيخ العاصي بتأييد من فحذه العبدية ومفرزة من

<sup>1</sup> فون اوينهايم، الدور، الجزء الاول ص154.

<sup>2</sup> العراوي: تاريخ العراق، الجزء الثامن، ص108.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية 1978/195 الموصل، القنصل الى القنصل العام في بغداد، رقم 13، 1897/4/6.

<sup>4</sup> وزارة الخارجية 2055/195 الموصل، القنصل الى القنصل العام في بغداد رقم 1899/11/16.



## الخيالة الأثرية<sup>1</sup>.

تفاقم الصراع حول زعامة شمر الشرقية سنة 1905 حين شن فخذ العبد والاسلم معارك علنية، وتفجر وضع عشائري منازل حين اتهم جار الله العاصي بالعمل بصورة غير شريفة وتجاوزة على كرامته الشخصية. وقد امل جار الله ان يهين العاصي واتباعه اكثر من ذلك فتحرك مع العبد من مخيمهم في البادية بين دجلة والفرات للهجوم على العاصي ومحاربيه على دجلة. وفي المعركة التي نشبت قتل رئيسا الفحذين كليهما الهادي بن العاصي وجار الله، وبقي الاسلام بدون رئيس بعد ان فقد الشيخ الهادي وسجن العاصي. وفي هذا الوقت تولى رئاسة الفخذ عم الهادي عضيبي بن قعود رئيس فخذ الصائح ونجسح بعد ذلك بدحر الاسلام في معركة تالية<sup>2</sup>.

بعد هذه المعارك الدائرة داخل العشيرة شغل رجال شمر الشرقية انفسهم بسلب التجارة والرعاة المسافرين على طريق حلب - الموصل<sup>3</sup>. وكما كانت الحال منذ سنوات الثمانين (من القرن التاسع عشر)، لم ترسل الحكومة قوة عسكرية ضد شمر بعد كل حادثة صغيرة، بل انتظرت حتى يتم تنظيم حملة كبيرة. بعد سبع سنوات من السلب

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 2138/195 الموصل، رسام الى القنصل العام في بغداد، 1502/10/22.

<sup>2</sup> موسيل، الطبائع ص 566-569.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية 12174/371 الموصل، نائب القنصل الى لاوتر، 1910/2/1.

المزعج وفرض الخاوة الثقيلة، قام الاتراك اخيرا بمعالجة امر العشيرة السالبة بكل شدة.

في 2 كانون الثاني 1911 خرج من بغداد نحو 2000 جندي تركي ومساعدين من العشائر بقيادة العميد رضا بك رئيس الاركان ضد شمر الشرقية. كانت حركة الجيش في اول الامر بطيئة بسبب برودة الجو الشديدة<sup>1</sup>، لكنه لم يلبث ان جمع 4000 رجل من شمر بقيادة الشيوخ مجول والعاصي وشلال في الحضر، شرقي قلعة الشرقاط، واخذت عليهم عهدا بدفع الضرائب المتأخرة البالغة 7000 ليرة تركية<sup>2</sup>. علاوة على احتجاز عدد كبير من الاباعر والاغنام، عزل القائد التركي الشيخ مجول من الرئاسة العليا ومنح المنصب الى الشيخ هشام بن العاصي، وسبب ذلك استياء الشيخ حميدي الذي ابد الحملة التركية منذ بدايتها<sup>3</sup>.

بين سنة 1911 ونشوب الحرب العالمية الاولى سنة 1914 سارت العلاقات بين الاتراك وشمر الشرقية على النمط المعتاد من غارات عشائرية ومنهوبات صغيرة ومعالجة الحكومة المستمرة للرئاسة

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 2367/195 الموصل، نائب القنصل الى قيزر، 1911/2/20.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 2367/195 الموصل، نائب القنصل الى لاوتر، رقم 11، 1911/3/15.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية 2368/195: خلاصة الحوادث في العراق التركي، آذار 1913.

العليا<sup>1</sup>. والخلاصة اننا نرى انه خلال الاربعين سنة من وفاة عبد الكريم سنة 1871 إلى الالهانة سنة 1911، تغير وضع شمر الجرباء في الجزيرة تغييرا محسوسا. أصبحت العشيرة لا تستطيع تحدي الجيش التركي كما فعلت سنة 1870 - 1871، كما ان الاتراك لم يكونوا مرغمين على الاعتماد الشديد على شمر كمساعدين عسكريين لادارة المناطق كما فعلوا في وقت سالف<sup>2</sup>. وعلى غرار ذلك حطمت وحدة العشيرة النسبية لسنة 1871 خلال الاربعين سنة التالية. واخيرا تحدث التكنولوجيا الحديثة بنجاح شئنا ما المزايا العسكرية التقليدية المتفوقة لبدو شمر كسرعة الحركة والمفاجأة والتنظيم.

---

<sup>1</sup> لءب اند س/10، الجزء الثاني، خلاصة الحوادث في العراق التركي، فيلول.

<sup>2</sup> عن الاستعانة بالشمرين كمساعدين عسكريين راجع ح. بارلو: معجم جغرافية بغداد (إعادة طبع، سلا 1915) ص126.

## شمر والحرب العالمية الاولى

1914 – 1918

حين جندت اوربا جنودها للحرب في تموز 1914 واصل يـدو الجزيرة طريقة حياتهم التاريخية. لم تسمع اكثر العشائر بامبراطورية هابسبورغ ولم تكن لتهم أقل اهتمام بالحوادث التي جاءت في 28 حزيران 1914. ولكن في 5 تشرين الثاني 1914 حين تحالفت الامبراطورية التركية مع الدول العظمى الوسطى، تورطت مقدرات شمر الجرباء مع سائر عشائر الولايات العربية داخل الامبراطورية في سلسلة من الاحداث التي سوف تنتج بمرور الزمن تغييرا عظيمًا في حياتها<sup>1</sup>.

خلافًا للعشائر البدوية في الحجاز التي انضمت الى العقيدة نت تي لورنس والشريف حسين امير مكة لتحرير الولايات العربية في الامبراطورية العثمانية، لعب القسمان الشرقي والغربي من شمر الجرباء دورًا صغيرًا وغير بطولي في الحرب العالمية الاولى<sup>2</sup>. لم يقدموا الا القليل للمجهود الحربي سواء لدول الحلفاء او الدول

<sup>1</sup> لونعريع: العراق 1900-195، ص75.

<sup>2</sup> قون اوبهايم: البدو، الجزء الأول ص141.

الوسطى. يضاف الى ذلك ان الاتراك خافوا من العشيرة ومحاربيها العديدين وخشوا ان يكونوا رتلا خامسا يحتمل ان يهددهم وارادوا ان يسترضوا شمر خلال سنوات الحرب<sup>1</sup>.

احتفظ الاتراك بولاء العشيرة بدفع رواتب شهرية واسفاد مهام عسكرية ضئيلة معيدة لرؤساء مختارين. ومن الامثلة لذلك تجربة مشعل بن فارس الرئيس الاعلى لشمر الغربية الذي منحه رتبة مقدم ومخصصات شهرية كبيرة لحراسة سكة حديد حلب - الموصل ضد المخربين<sup>2</sup>. لكن الاتراك استخدموا شمر الجرباء كمساعدين عسكريين ضد القوات البريطانية في معركة واحدة مسجلة فقط. اشتركت مفرزة من رجال شمر في هجوم تركي على الحامية البريطانية في الشعبيّة قرب البصرة في 12 نيسان 1915. بعد ثلاثة ايام من القتال العنيف خسر الجيش التركي خسائر فادحة وانسحب بعد ان اخفق في الاستيلاء على الشعبيّة<sup>3</sup>.

تكبدت الاستراتيجية البريطانية أندحارا كبيرا حين استعادت القوات التركية الاستيلاء على الكوت في 29 نيسان 1916 بعد حصار طويل

<sup>1</sup> في ربات: التطور السياسي لسورية تحت الانتداب (نايس 1928) ص 241

<sup>2</sup> (غير موجودة في الأصل)

<sup>3</sup> فون اوبنهايم: البدو الجزء الأول ص 14. للاطلاع على تفاصيل المعركة راجع اربولد واسر: ولاءات العساق 1914-1917 الجزء الأول (لندن 1930) ص 34-35. العراوي: تاريخ العراق الجزء الثامن ص 287-279.

الامد. ولم يستطع الجيش البريطاني بقيادة الجنرال مود الا في كسانون الاول من تلك السنة ان يستأنف مسيرته مرة اخرى نحو بغداد. وضعت القوات البريطانية خطة مفصلة ترمي الى تلافى مشاكلها التموينية السابقة وتمكنت اخيرا من الدخول الى بغداد مدينة الخيال في 11 آذار 1917<sup>1</sup>.

مع ان الجيش البريطاني قد احتل عاصمة العراق السياسية فانه بقي في وضع ستراتيجي قلق. كان الوضع السليم يتطلب السيطرة على المنطقة شمالي بغداد وغربيها. خلال السنة والنصف التالية انسحبت القوات التركية نحو الشمال على طول نهر دجلة امام التقدم البريطاني المستمر. ولما وصلت انباء الهدنة الى بغداد في 2 تشرين الثاني 1918، كانت القوات البريطانية قد تقدمت شمالا حتى الكبارة (القيارة) على بعد نحو اربعين ميلا جنوبي الموصل. ورفض علي احسان باشا القائد التركي في الموصل في بداية الامر تسليم البلدة الى البريطانيين<sup>2</sup>.

لكن بعد تبادل مذكرات وعقد مؤتمر في 7 تشرين الثاني مع القائد العام البريطاني الجنرال وليم مارشال، استسلم علي احسان باشا اخيرا

<sup>1</sup> ولسن: ولاءات الجزء الاول ص 232-234.

<sup>2</sup> لونغريغ: العراق 1900-1950 ص 91-92

ووافق على اخلاء ولاية الموصل خلال عشرة ايام<sup>1</sup>. وهكذا في تشرين الثاني 1918 أصبحت القوات البريطانية تسيطر اسمياً على ديرة شمر الشرقية. وفي الجانب الآخر من الجزيرة شهدت شمر العربية تخلية ديرتها من القوات التركية التي مضت الى الشمال نحو ماردين ونصيبين. وقام ضابط عسكري بريطاني بملئ الفراغ السياسي في الجهة السورية من الجزيرة حين دخل الى دير الزور في كانون الاول 1918<sup>2</sup>.

في حريف 1917 قابل البريطانيون لأول مرة الشيخ الشمري الشاب الناهض عجيل الياور واباه عبد العزيز بن فرحان حين حياء الى الجنوب من الجزيرة الشمالية التي كانت آنذاك لا تزال في الاقليم التركي، الى اراضي مخيماتها الشتائية بين الحلة والبغيلة<sup>3</sup>. ورافقت الشيخين نحو 1000 خيمة، اكثرها من فخذ العبدية. في السنوات السابقة من الحرب تبعت العبدية الشيخ حميدي بن فرحان الذي كان لا يزال مقيماً في الاقليم التركي. لكن لاسباب غير معلومة تركه الفخذ

<sup>1</sup> اربولد ولسن، ولاءات العراق 1917-1920، الجزء الثاني (لندن 1936) ص 20-21.

<sup>2</sup> لونعريغ: العراق 1900-1950 ص 106

<sup>3</sup> ل/ب اند س/ 685/10، العشرة العربية رقم 70 ص 460، 1918/11/21. تعرف بلدة البغيلة الآن باسم النعمانية.

وانضم الى عجيل وعبد العزيز<sup>1</sup>.

منذ 1917 وبَعْدَهَا دارت شؤون شمر السياسية الداخلية حول قضية أي من شيوخ العشيرة المتعددين يحظى باعتراف البريطانيين الرسمي كرئيس أعلى. مثلما كان الأمر قبل الحرب جعل العدد الكبير من أبناء فرحان باشا من الصعب جدا على شيخ واحد فرض سيطرته على كل شمر الشرقية. وقد أمل الشيخ فيصل بن فرحان الذي نال شرف زيارة شريف مكة الرئيس الضمني لحركة الاستقلال العربي، والذي كان أول شيخ شمري يقابل البريطانيين، أن يعترف به رئيسا أعلى<sup>2</sup>.

تحدى أماله في الحصول على الدعم الحكومي مجيء عجيل الياور وعبد العزيز بن فرحان الى الاراضي البريطانية المحتلة في تشرين الثاني 1917<sup>3</sup>. ولم يحل شهر نيسان 1918 حتى هبط عدد اتباع الشيخ فيصل الى نحو 40 خيمة. خلافا لاتباع عجيل الياور العديدين انهي الدعم المحدود لفصيل اية او هام بريطانية حصول دعواه

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 3397/371/ رقم 21421 التقرير نصف الشهري عن ولاية بغداد: اخبار العشائر، 1917/11/15.

<sup>2</sup> ل/ب اند س/ 685/10 الشرة العربية رقم 78 ص 34، 1918/2/11

<sup>3</sup> وزارة الخارجية 3397/371/ رقم 21421، التقرير نصف الشهري لولاية بغداد: احبار العشائر، في 1917/11/15



لرئاسة شمر<sup>1</sup>. هاجر عجيل و عبد العزيز ، يرافقهما اتباعهما من العبداء، الى الشمال في آذار 1918 الى مراعيهما الصيفية. وفي ايلول من السنة نفسها، فاجأت عشيرة عنزة، وقد اندرت من قبل الاستخبارات البريطانية بقرب حصول غارة من شمر، جماعة غزو مؤلفة من 400 رجل يقودهم عجيل الياور جنوبي عانة (عنه)<sup>2</sup>. وكانت هذه الغارة الفاشلة آخر عمل في المسرحية المحدودة بين بريطانية وشمر خلال الحرب العالمية الاولى.

---

<sup>1</sup> ل/ب اند س/10/732 التقرير نصف الشهري لولاية بغداد رقم 12، 1918/6/10.

<sup>2</sup> كالسابق



# **الفصل الخامس**

**مشيخة عجيل الياور**

**1918 – 1940**



حين انتهت الحرب في تشرين الثاني 1918 أصبحت الولايات العربية التابعة للإمبراطورية العثمانية في وضع غير معهود حفا. لأول مرة خلال أربعة قرون تقريبا لم يسيطر الأتراك العثمانيون على مواطنها. أي شكل من السيطرة السياسية سوف يحل محل العثمانيين بقي غير واضح في بول الأمر. انتشرت التخمينات حول البدائل المختلفة، من إنشاء مملكة عربية إلى سيطرة أوربية، في المدن الكبرى في العراق وسورية. حصلت المطامح العربية للاستقلال على دعمها البدائي من زعماء مدنيين سياسيين ومتقنين. أما سكان الريف البسطاء فبقوا نسبيا غير معنيين<sup>1</sup>.

بالرغم من محاولات أصحاب النظريات الوطنيين العرب في دمشق وبيروت والقدس وبغداد، قررت مقدرات المنطقة السياسية من قبل الدول العظمى. وهذه النقطة الحيوية صورها الواقع، وهو أنه حين انتهى القتال في تشرين الثاني 1918 احتلت القوات البريطانية معظم أنحاء العراق مما منحها موقعا ممتازا تستطيع منه أن تؤثر في مستقبل هذه الولاية التركية السابقة. وخلافا للموضع الثابت نسبيا في

---

<sup>1</sup> من تفاصيل الشؤون بعد الحرب راجع. هوارد سكار: برور الشرق الأوسط 1914-1924 (نيويورك 1969) ص 252-290. بوش: بريطانيا، الهند 269-474. جوكسا تيفاكبي: بريطانيا وفرنسا والشرق الأوسط العربي 1914-1920 (اكسفورد 1969) ص 104-240. زين ن زين: الكفاح لأجل الاستقلال العربي: السياسة الغربية وسهوض الملك فيصل وسقوطه (بيروت 1960)

العراق، كانت الحالة في سورية غامضة في نهاية الحرب. اعترفت فرنسا، بنتيجة اهتمام يعود الى قرون مضت في المنطقة واحكام معاهدة سرية مقررّة، ان تتولى السيطرة على سورية بعد الحرب. لكن مطامح فرنسا خذلت حين تركت الهدنة الجيوش البريطانية والعربية بقيادة الامير فيصل تحتل معظم القطر السوري.

بينما استمرت مفاوضات الصلح في باريس خلال سنة 1919 وحتى سنة 1920، بقي العراق تابعا للحكم البريطاني<sup>1</sup>. من ايار 1918 عمل العقيد ارنولد ت. ولسن وكيل مندوب ملكي ووجه انشاء ادارة مدنية واسعة. وكانت دائرة المندوب الملكي تدير كل شؤون العشائر و (السياسة) والامن والاحوال الاجتماعية. اما سائر الامور فيعالجها خمسة سكرتيرين للايراد (ايراد الاراضي، التسجيل، المنازعات، الزراعة والبلديات) والمالية (الميزانيات، التدقيق، الكماليات والعملية) والصحة (الصحة، والاشراف الصحي، السجون المدنية) والاشغال العامة (سكك الحديد، الموانئ، الري) والمواصلات. وبقيت الشرطة وشؤون المعارف ايضا تابعة لدائرة المندوب الملكي<sup>2</sup>.

قام البريطانيون، عند تنظيم الحكم في العراق، باتباع التقسيمات الادارية التركية، وهي اللواء والقضاء والناحية، واعطاءها مسميات

<sup>1</sup> فيليب و آير لند: العراق دراسة في التطور السياسي (نيويورك 1938) ص 136-276.

<sup>2</sup> لوغريغ، العراق 1900-1950، ص 107-114.

انكليزية مقابلة. وفي هذه الوحدات تولى الادارة موظفون عرب يحملون لقب متصرف وقائم مقام ومدير، يساعدهم ضباط سياسيون بريطانيون. وقد نفذ البريطانيون سياستهم العشائرية عن طريق تسلسل هؤلاء الموظفين مما اثر تأثيرا عميقا في البدو من امثال شمر خلال السنوات بين الحربين<sup>1</sup>.

جاء التصرف النهائي في الولايات العثمانية العربية بتوقيع معاهدة سيفر في آب 1920 ومنح عصبة الامم الانتدابات فسي نيسان 1920 بين 1918 ونيسان 1920 عمل الاداريون البريطانيون فسي تيار متقاطع من الخلاف العراقي، لكن احكام الانتدابات الممنوحة حديثا انتهت هذا الغموض لآمد قصير. حسب المادة 22 من ميثاق عصبة الامم جعل واجب تطوير الاقاليم التي لا تستطيع انذاك ان تقف وحدها على قدميها الى حد ان تصبح مستقلة (امانة مقدسة بيد الحضارة)<sup>2</sup>. و اشارت الفقرة الرابعة من نفس المادة الى الولايات العربية السابقة، بدون تسميتها فعلا، كمناطق تطور سكانها الى مستوى الاعتراف بهم بصورة مؤقتة كامم مستقلة (بشرط تقديم مشورة ادارية ومساعدة)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> كالسابق ص 112-113.

<sup>2</sup> ارنست مين: العراق من الانتداب الى الاستقلال (لندن 1935) ص 67.

<sup>3</sup> عب اللطيف الطيباوي: تاريخ سورية الحديث بضمها لبنان وفلسطين (لندن 1969) ص 338-339.

تحمّلت بريطانيا العظمى هذه المسؤوليات واتخذت الاجراءات التي تعد العراق للاستقلال في الوقت المناسب. واعيد تنظيم الحكومة المحلية في كانون الاول 1920 مع عدة استثناءات، فوضع في محل الضباط السياسيين البريطانيين متصرفين وقائممقامين عراقيين كحكام فعالين في الالوية. وهذا النظام للادارة المحلية وافشاء مجلس وزراء عراقي هيا للاحلين ان يروا ان العراقيين يشاركون في حكم بلادهم<sup>1</sup>.

بعد موافقة مجلس الوزراء والموافقة الشعبية بطريقة الاستفتاء المعقود في تموز 1921، اصبح الامير فيصل الهاشمي، ملك سورية السابق، ملكا للعراق في 23 آب سنة 1921 ومع ان المملكة العراقية قد انشأت سنة 1921 فان بريطانيا العظمى استمرت تسيطر على البلاد المنتدب عليها الى سنة 1932. في سنة 1922 حلت معاهدة التحالف الانكليزية العراقية، التي تضمنت اكثر احكام الانتداب الاصلية، محل اتفاق عصبة الامم لسنة 1920. وقد اصاب العراق ظاهرا بهذه المعاهدة حكما اداريا داخليا واسعا ونفوذا محدودا على شؤونه الخارجية. لكن السلطة الحقيقية بقيت في يد المندوب السامي لان المعاهدة حافظت على السيطرة البريطانية على الشؤون الخارجية

---

<sup>1</sup> لوتنريغ: العراق 1900-1950 ص129.



والمالية والقضائية والعسكرية<sup>1</sup>.

في السنوات التالية حصل العراق على دستور (قانون اساسي) مكتوب ومجلس امة مؤلف من النواب والاعيان. زادت المطالبة باستقلال العراق في اواخر العشرينات، وبنتيجة مفاوضات جديدة عقدت المعاهدة الانكليزية العراقية لسنة 1930 التي هيأت لاستقلال العراق مع الاشراف البريطاني على الشؤون الخارجية والعسكرية. ثم بدأ الاستقلال سنة 1932 حين انضم العراق الى عصبة الامم. وكما نصت عليه المعاهدة، بقي النفوذ البريطاني الذي توجهه دار السفير محسوسا لمدة ربع قرن<sup>2</sup>.

في سورية سارت الامور بعد الحرب مسارا مختلفا تماما عن العراق. في مواجهة مطالب فرنسا التعاهدية احتلت قوات بريطانية وعربية بقيادة الامير فيصل من مكة قسما كبيرا من سورية التاريخية حين وضعت الحرب اوزارها. وبينما قرر مؤتمر الصلح في باريس وعصبة الامم مصير سورية الرسمي، احتلت الجيوش الفرنسية المنطقة الساحلية وانشأ الامير فيصل حكومة عربية في دمشق. لكن الفرنسيين لم يهتموا هدفهم الاصلي، وانتظروا حتى حصلوا على الانتداب من

<sup>1</sup> دون بيرتر: الشرق الأوسط اليوم (نيويورك 1965) ص 374-377.

<sup>2</sup> هوارد م. ساكنر: اوروبا تغادر الشرق الأوسط 1936-1954 (نيويورك 1972) ص 16-19.

عصبة الأمم قبل مباشرة الحركات العسكرية لاحتلال بقية سورية<sup>1</sup>.  
انتهى الاستقلال السوري في 25 تموز 1920 حين خرج الملك  
فيصل من دمشق أمام الجيش الفرنسي المتقدم. وفي إدارة الانتداب  
على سورية، اتخذت فرنسا سياسة فرق تسد أكدت على الخلافات  
الدينية والعرقية والمحلية. وهذه السياسة المقسمة المقرونة بنظام حكم  
محلي شغل فيه الموظفون الفرنسيون عددا كبيرا من المناصب الإدارية  
أدى إلى إبطاء تقدم سورية نحو الاستقلال<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> سكين هـ. لونغريخ: سورية وألبان تحت الانتداب الفرنسي (لندن 1958) ص 61-123.

<sup>2</sup> الطياوي: سورية ص 341-378.

## الجزيرة

1918 - 1920

ان التحليل السالف للحوادث الوطنية والدولية بعد الحرب تـسهيـئـة الخلفية اللازمة لدراسة تاريخ شمر الجرباء بين الحربين، كما سيبدو واضحا ان الحرب العالمية الاولى وما عقـبـها اثـرت في مسـيرة تـسـاريـخ شمر في الجزيرة اكثر من أي حادث آخر منذ سنة 1900. وبين التغييرات التي حدثت أهمها وبرزها تدمير الامبراطورية العثمانية. خلال اكثر من مائة سنة منذ هجرتها الى الجزيرة عاشت العشيرة تحت درجات مختلفة من السيادة العثمانية. واصبحت انماط سلوك شمر التي تطورت خلال القرن الاخير لا شان لها بعد الحرب. لقد حلت محلها علاقات جديدة لا بد من عقدها في نطاق انظمة الحكم التي انشأها الانتدابان البريطاني والفرنسي. والشعور بالامن الذي عرفه رعايا الاتراك المختلفون بـنتـيـجة المشاركة الطويلة الامد مع حكامهم السابقين قد تبدد بسرعة. وقد اصبحوا الان يرون سادتهم الجدد وغير المعهودين بشك وتخوف.

في تشرين الثاني 1918 تحقق الشمريون ان القوات البريطانية احتلت جزءا كبيرا من ديوتهم التقليدية، لا سيما المنطقة التي تمتد من بغداد جنوبا الى الموصل شمالا وشرقا. ولما سحب الاتراك نهائيا

صارت ولاية الموصل برمتها تحت السيطرة البريطانية<sup>1</sup>. وإلى الغرب كانت شمر الغربية المقيمة في سنجق دير الرور أقل تأكيداً من وضعها السياسي فالقوات البريطانية نشرت حامياتها مؤقتاً في بلدة دير الزور على الفرات، ولكن في نفس الوقت طالبت حكومة الملك فيصل العربية أيضاً بالمنطقة<sup>1</sup>.

ومهما يكن الوضع في أواخر 1918 وأوائل 1919 فإن عشيرة شمر واجهت أمكان وجود ثلاث حكومات منفصلة تسيطر على ديرتها. وكانت حالة الأمور هذه مصدر مشاكل متعددة في المستقبل.

إن الحدود الجديدة سوف تعني أن هجرة شمر السنوية المقرونة بنشاطها في الغزو قد تسبب منازعات دولية. ووحدة العشيرة، وقد اخلت بها الخلافات الدائمة حول الرئاسة، تصاب بضعف آخر. يضاف إلى ذلك أن الشيوخ المنشقين الذين لم يكن في وسعهم فيما مضى الفرار من قبضة الحكومة بدون اجتياز السفارة الطويلة التي جبل شمر في شمال جزيرة العرب، يستطيعون الآن بكل سهولة أن يجدوا ملجأ بمجرد العبور إلى قطر مجاور.

عدا هذه المشاكل الواضحة المتعلقة بالحدود، واجهت شمر مصاعباً محتملة أخرى تنشأ عن الانتدابين البريطانيين والفرنسيين. إن حقيقة أن العراق وسورية خرجا من التسمية السلمية دولتين منفصلتين

<sup>1</sup> الراوي. تاريخ العراق، الجزء الثامن ص 309-310

تحت الرعاية الغربية جعلت من المتوقع بروز أنظمة إدارية في المنطقة فعالة أكثر من تلك التي تعودت شمر عليها. لكن، من وجهة نظر شمر، هيا الحكم الإداري المحلي من قبل الفرنسيين والبريطانيين إمكانية كئيبة.

نفذت السياسة العشائرية البريطانية في العراق عن طريق نظام حكم غير مباشر. وهذه السياسة التي أنشأها لأول مرة السير روبرت ساندمان في بلوختان في أواخر القرن التاسع عشر، استخدمت التنظيم العشائري القائم لإدارة مناطق واسعة وبعيدة نسبياً<sup>2</sup>. يكلف شيخ معترف به رسمياً من الحكومة بتحمل المسؤولية :

لأجل السلم والنظام في عشيرته، لاعتقال المجرمين، لحماية خطوط المواصلات وممتلكات الحكومة. مقابل ذلك يمنح دعم الموظفين البريطانيين والنفوذ وإذا اقتضى الأسلحة...<sup>3</sup>

تضاف إلى هذه الواجبات سياسة الإعانات والإعفاء من الضريبة. بعد الحرب أصبح كل شيخ رسمي مسؤولاً أمام الضابط السياسي في منطقته. في سورية تطورت السياسة العشائرية الفرنسية حسب خطوط مختلفة. بدلاً من استعمال رؤساء العشائر كوسائل إدارية

---

<sup>1</sup> لونغريغ: العراق 1900-1950، ص 106.

<sup>2</sup> سي أي دروس: سياسة ساندمان تطبق على المشاكل العشائرية اليوم (في مجلة الجمعية الآسيوية الوسطى الملكية، 19 (1932) ص 50-51.

<sup>3</sup> إيرلند: العراق، 94.

اعتمد الفرنسيون على نفس موظفيهم كاداريين مباشرين للعشائر<sup>1</sup>.  
في صدد الحدود المعينة والادارة الفعالة والولاءات الثابتة ابرزت  
الجزيرة صورة ممتازة للفوضى. أخل انعدام الوحدة والنظام ايضا بشمر  
الجرباء، واصبح عهد النفوذ والقوة تحت رئاسة صفوق بن فارس  
مجرد حلم لا غير لشمر في سنة 1919. واذا عاد المرء الى السوراء  
عشرين او ثلاثين سنة فقط فانه يجد العشيرة متحدة نسبيا يرأسها شيخان  
كبيران فقط فارس وفرحان بن صفوق. لكن منذ ذلك الحين اختل  
الاجماع على رئاسة العشيرة، ولم تحل سنة 1918، حين حاول  
البريطانيون اختيار رئيس اعلى مسؤول عن شؤون العشيرة، بدا انه من  
غير الممكن ايجاد رئيس يستطيع القيام بالمهمة<sup>2</sup>.

ان عدم وجود رئيس شمري قوي والتكاثر التالي لزعماء ضعفاء  
متعديين يمكن شرحه بعدة طرق. قبل كل شيء تتطلب الزعامة  
العشائرية بعض الصفات التي تؤلف المادة الحيوية لحياة البدو  
التقليدية مع التاكيد على الشجاعة والكرم والحكمة فضلا عن شيء من  
قوة الشخصية. لا شك ان الشيخ البدوي الاعتيادي، خلافا لرجل مثل  
صفوق الشهير، لا يتوقع منه ان يمتلك كل هذه الصفات المثالية. وحقيقة  
مهمة تتصل بهذا العنصر هو التآكل التدريجي لثقافة شمر البدوية بسدوا

<sup>1</sup> لوغريغ: سورية ص 120، 127

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 134082/4150/371، التقرير الشهري عن الأراضي المحتلة، كسلان  
الثاني 1919.

من مشروع اسكان فرحان باشا في الشرقاط سنة 1870 الى سنة 1918 نفذت عدة مشاريع اخرى لاسكان شمر على جانب الجزيرة. فالشيخ حميدي بن فرحان وبدر بن فرحان شجعا الاستيطان على قنساء الفرحتية قرب بدر على دجلة شمالي بغداد. كذلك الشيخان عجيل الياور ومحمد الانجرفي من الموصل كان لهما اهتمام بمشروع اسكان في الشورة الواقعة على نهر دجلة ايضا بين قلعة الشرقاط والموصل<sup>1</sup>.

احل عامل ثان بوحدة شمر هو يتصلل القداسة والاحترام المحيطين باسرة آل محمد التي كان شيوخ العشيرة يختارون منسها<sup>2</sup>. في بادئ الامر دخلت العشيرة الى الجزيرة بقيادة رجل واحد من آل محمد الشيخ فارس الجرباء. وفي الاجيال التالية انتقلت المشيخة الى عدد متزايد من السلالة مما جعل من الصعب لرجل فرد ان يوطد زعامته العليا على العشيرة.

ثالثا:، مع تكاثر اسرة آل محمد جاءت سياسة الحكومة التركية في الوقت نفسه تفرق بين ابناء العشيرة بدعم دعاوى رؤساء متعددين.

رابعا:، ان التكنولوجيا الحديثة والادارة التركية المتحسنة في الولاية خلال اواخر القرن التاسع عشر ابعدت احتمال بسروز زعيم عشائري قوي. هذه التغييرات منعت أي شيخ من الحصول على نفوذ له

<sup>1</sup> وزارة المستعمرات 3/696 التقرير السنوي 1920 "لواء الموصل" ص 9-11

<sup>2</sup> كالسابق ص 8

صلة بدحر القوات الحكومية، وهو عمل ساعد رؤساء شمر في الماضي على توحيد القبيلة<sup>1</sup>.

هكذا في سنة 1919، حين اراد البريطانيون ان يعترفوا بشيخ شمرى واحد كرئيس اعلى، انتهت حسودهم بالاخفاق<sup>2</sup>. ولأجل ان يكون نظامهم للادارة غير المباشرة فعالا كان على البريطانيين ان يقوموا في اول الامر بتعيين رئيس اعلى لشمر ثم دعمه. وهذا العمل يغير بصورة محسوسة شكل زعامة شمر، فمستلزمات الرئاسة لن تعتمد في الاساس على عوامل عشائرية، بل بدلا من ذلك، تصبح الحكومة المركزية الحكم النهائي في هيكل قوة العشيرة.

كان الشيخ العشائري فيما مضى الاول بين اقرانه، لا حول له الا ما يناله بشخصيته الرفيعة. ولم يكن له الا القليل من المزايا الخاصة والقليل من الثروة. تحت النظام البريطاني للحكم غير المباشر، يكون مركز الرئيس الاعلى ومصالحة شخصية اكثر مما هي عشائرية. وكما يدل عليه تاريخ شمر الجرباء خلال سنوات العشرين واولئ سنوات الثلاثين (من القرن العشرين) فان الرئيس الاعلى الذي حدم المصالح البريطانية كان مختلفا كل الاختلاف من أي زعيم آخر عرفته العشيرة في يوم ما.

<sup>1</sup> للاطلاع على تفاصيل هذه الاصلاحات الادارية والعسكرية راجع الفصل الرابع من  
<sup>2</sup> لونغريغ: العراق 1900-1950 ص 106، وزارة الخارجية 134082/4150/371 التفرق الشهري عن الاراضي المحتلة، كانون الأول 1918.



## شؤون العشيرة

1919 - 1922

بعد اخلاء الاتراك لولاية الموصل بقيت الجزيرة مختلة الى درجة بعيدة. فالسكان المحليون الذين مثلت عشيرة شمر بينهم عددا كبيرا، وسادتهم البريطانيون لم يعلموا كلاهما ماذا يحمل المستقبل في طياتهم. وبقيت القضية المهمة المتعلقة بالمقدرات السياسية لولاية الموصل معلقة. وبقي ابن العاصي في محله وتسلم الشيخ حميدي بن فرحان اعانة شهرية قدرها 250 روبية للسيطرة على فخذي العبد والصائح. منح نحام بن الهادي ايضا اعترافا حكوميا كرئيس اعلى مع اعانة شهرية بعد اعادة مبلغ 3500 ليرة تركية نهبا على طريق نصيبين الموصل في اوائل تلك السنة. واخيرا اهان العقيد ليجمن عجيل الياور ابن عبد العزيز بن فرحان فترك عجيل الموصل فورا. واصبح يكره البريطانيون كرها شديدا. واتضح من هذا الاجتماع ان عادة استيفاء الحاقوة من المسافرين والقوافل التجارية والقرى المستوطنة لا بد ان يمنع في النهاية. لكن بالنظر الى ضعف وضع الحكومة سنة 1919، استمر فرض الحاقوة في البادية، لكنها منعت

## بين الزراع المتوطنين<sup>1</sup>.

انتج اجتماع الموصل تغييرا ضئيلا في عادات شمر التقليدية. وفي نهاية 1919 اتبعت اوامر البريطانيين فحذا العبدية والصائح فقط برئاسة الشيخ حميدي، اما الافخاذ الاخرى المتفرقة تحت رئاسة شيوخها المتعدين فاستمرت على الغزو وفرض الخسوة. ولكن في شهر كانون الاول دفع دهم الهادي 1800 ليرة تركية من المبلغ المدين به للحكومة<sup>2</sup>. وجد نفور شمر من البريطانيين نقطة ارتكاز جديدة في كانون الاول 1919 بعد ان حلت قسوات سورية يقودها القائم مقام رمضان المشلاش محل الحامية البريطانية في دير الزور. وبعد الانسحاب أصبح نهر الخابور حدودا مؤقتة بين سورية والعراق<sup>3</sup>. يضاف الى ذلك ان الدعاية الشريفة التي تدعو العشائر العربية في العراق الشمالي الغربي الى الثورة أصبحت إحدى التحديات المتعددة

<sup>1</sup> وزارة المستعمرات 30/692 التقرير السنوي 1920 (لواء الموصل) ص 6. اليرانيث برغوين، جرتود بل: من اوراقها الخاصة 1914-1926 الجزء الثاني (لندن 1961) ص 237.

<sup>2</sup> امر الموطعون البريطانيون دهم ان يعبر 3500 ليرة تركية سبها في حادثة سلب على طريق بصيين قيل ذلك في تلك السنة انتظر دهم ليري ماذا يكون المستقبل فأعاد مدقيا 1800 ليرة تركية فقط من المبلغ المدين به لكن في تاريخ لاحق دفع مبلغ 500 ليرة تركية اخرى آملا ان يستعيد دعم الحكومة.

<sup>3</sup> وزارة المستعمرات 3/696 التقرير السنوي 1920 (لواء الموصل) ص 1

للبريطانيين سنة 1920. برزت الانقسامات الدائمة المذهبية والعرقية السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق الحديث في صيف 1920.<sup>1</sup> وحصلت غارة من الخيالة الشريفة ضد عدة حاميات بريطانية في الجزيرة خلال اوائل حزيران، فبدأت سلسلة من اختلالات الامن غمرت المناطق الزراعية الوافرة السكان في جنوب العراق. ولأجل اعادة الامن جلب المندوب الملكي البريطاني أ ت ولسر قوات هندية بينما استمر احتلال العراق الجنوبي والوسط خلال السنة<sup>2</sup>.

من كانون الثاني الى اخر ايار 1920 بقيت اخفاذ شمير المتعددة، كل منهما تحت رئيسته الخاص، مختلفة في موقفها نحو البريطانيين. بعض الشيوخ كحميدي ودهام الهادي وفيصل، نفذوا في الظاهر تعهدهم للخدمة بصفة رؤساء العشيرة الرسميين. واتباعهم، مع ادعائهم بالولاء للبريطانيين، استمروا مع ذلك على استيفاء الخاوة وشن الغارات ضد اعدائهم التقليديين. والى الغرب خيم الشيوخ مشعل الفارس وبنيان بن شلال و عجيل الياور مع اتباعهم قرب دير الزور وكانوا

---

<sup>1</sup> ايلمر ل. هالدين: الثورة في العراق 1920 (انديرة 1923)، امل فينوغسرادوف: اعادة النظر في ثورة العراق لسنة 1920: دور العشائر في السياسات الوطنية (المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط، 3) (1972) ص 123-139.

<sup>2</sup> لوسبريغ: العراق 1900-1950 ص 122-126.

عنصرًا مناوئًا للبريطانيين من بين شمر<sup>1</sup>.

كانت معارضة شمر في مبدأ الأمر هادئة، غير أنها بلغت أوجها في أوائل حزيران. تأثر الشيوخ حميدي وعجيل الياور ومشعل الفارس وبنيان ووطبان بن فيصل بالدعاية الشريفة الموجهة ضد البريطانيين فانضموا إلى قوات جميل بك النيناوي (أحد خلصاء الملك فيصل الذي اتخذ بعد ذلك اسم جميل بك المدفعي وأصبح رئيس وزراء العراق) القائد الشريفي والشيخ مسلط من عشيرة الجبور. في 4 حزيران هجمت هذه القوة المؤلفة من عناصر مختلفة على تلعفر وقتلت أربعة جنود بريطانيين واستولت على البلدة. وفي أعقاب انتصارهم مضت جماعات غزو برئاسة بنيان ووطبان وعدة شيوخ صغار آخرين فهاجمت طريق الموصل - الشرقاط وعدة قرى شرقية دجلة. ومع أن هذه الغارات سببت الذعر في الموصل والرياف المحيطة بها فإن الهجوم فقد قوته ولم يلبث أن دحر أمام القوات البريطانية والعراقية. وفي نهاية حزيران زال الخطر واستعاد البريطانيون سيطرتهم مرة أخرى على تلعفر. لكن العراق بقي في حالة

---

<sup>1</sup> وزارة المستعمرات 3/696 التقرير السنوي 1920 (لواء الموصل) ص 6. للأطلاع على أسماء شيوخ شمر الذين اشتركوا في ثورة تلعفر سنة 1920 راجع قحطان التلعفري. ثورة تلعفر 1920 (بغداد 1969) ص 171.

من اختلال الامن بسبب انتشار الثورة في الجنوب<sup>1</sup>.

لم يكن لدى البريطانيين القوة العسكرية اللازمة لاحتلال كل الجزيرة فحاولوا مرة اخرى السيطرة على شمر عن طريق سياستهم في الحكم غير المباشر. ارغمت طوارئ مختلفة الحكومة على الاعتراف بدهام الهادي رئيسا اعلى. وان حقيقة كون الجزيرة في حالة فوضى وضرورة ايجاد ركيزة يمكن ان يسند عليها بوجه ما شبه امن ونظام<sup>2</sup> استلزمت ذلك الخيار. يضاف الى ذلك ان دهام الهادي لم يشترك في الغارة الشريقية على تلعفر. بعد المباحثة في الامر مع الموظفين البريطانيين في الموصل، رضي دهام بمسؤولية حماية مصالح الحكومة وتأمين امن الطرق ومحاولة استرجاع المنهوبات. مقابل هذه الخدمات منح اعانة شهرية واجيز استيفاء الخاوة في طريق دير الزور - الموصل<sup>3</sup>.

حدثت مصاعب جديدة بين شمر والبريطانيين في آب حين اخذ فخذ الصائح والعبدة البريطانيين على حين غرة وحاولا الهجرة الى الجنوب سرا. وقد نجحت خطتهم بصورة عامة عدا مجهودا بريطانيا ضعيفا لوقف هجرتهم ادى الى مقتل ضابط خيال بريطاني وستة من

---

<sup>1</sup> كالسابق ص 2-4.

<sup>2</sup> كالسابق ص 6.

<sup>3</sup> كالسابق.

جنوده<sup>1</sup>. وقضى دهام الهادي بقية السنة بجوار مملحة الاشجار (؟) او الحضر. وحينما كان في الجنوب وجه اهتمامه الى فرض الخاوة بصورة مقرطة وشن الغارات عبر الفرات<sup>2</sup>.

وفي عدد من المناسبات ادعى دهام ان وقف هذه النشاطات البدوية التقليدية تنفر رجال عشيرته. واشتكى ايضا انه لا يستطيع وقف الغارات دون دعم من الحكومة. وقد اقترح الموظفون البريطانيون جوابا على معروضاته ان تمول الحكومة مفرزة من خمسين خيالا شمريا غير نظامي في النجمة لحماية طريق الشرقاط والمساعدة على السيطرة على العشيرة. قبل دهام هذا العرض بصورة تجريبية وارسل " الملا " التابع له ثلاثين من عبيد شمر الى الموصل للتجنيد وتسلم بنادق تجهزها الحكومة. لكن الاتفاق تدهور حين سجن دهام " الملا " ونزع اسلحة الرجال. ولما امر دهام باعادة الاسلحة التي هزتها الحكومة هرب الى البادية<sup>3</sup>.

بقي دهام الهادي بعد فراره خارج السيطرة البريطانية الى نيسان 1921 حين اعاد الثلاثين بندقية الى الموصل. ويحتمل ان هذا العمل نشأ عن تأثير ضعف المراعي وحاجة شمر بنتيجة ذلك الى شراء

<sup>1</sup> كالسابق ص7، جريدة "التيمس" (لندن) 16 آب 1920 ص9. هالدين: الثورة ص232.

<sup>2</sup> وزارة المستعمرات 3/696 التقرير السوي 1920 (لواء الموصل) ص7.

<sup>3</sup> كالسابق ص 7-8

الحبوب من الموصل وتلعفر<sup>1</sup>. وقد انقلبت الحوادث تماماً فزار دهام الموصل في شهر حزيران، واعترف باخطائه العديدة، وطلب بدء بداية جديدة بصفته الرئيس الاعلى المعين من البريطانيين. وبموجب اتفاسق جديد، وافق مرة اخرى على السيطرة على عشيرته ووقف الغزو المتواصل وتنظيم استيفاء الخاوة واعادة المنهوبات. مقابل ذلك منح :

1. قرية على طريق نصيبين للقيام بالزراعة لمدة خمس سنوات مع الخيار في شرائها في نهاية المدة . 2. الحق الوحيد لاصدار اجازات لرجال عشيرته لشراء الحبوب من الموصل وسائر انحاء العراق . و 3. نسبة مئوية من ايرادات رسوم الملح<sup>2</sup>.

هذا التغيير في موقف رجل وصف في تقرير بريطاني رسمي بانه " في مطلع الشباب، جاهل جدا، متعجرف جدا<sup>3</sup>، لم يأت بطبيعة الحال من سماحة قلبه. لكن دهام الهادي علم بذكائه من استبعاد البريطانيين لرؤساء شمر المختلفين الذين تورطوا في الغارة على تلعفر لن يكون طويل الامد. اكدت حوادث تموز وأب بسرعة شكوكه حول الولاءات المتذبذبة لبعض شيوخ شمر. وظهر عجيل الياور على المسرح العراقي بعد غياب سنة في سورية وتركية سرعان ما غير

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 6352/371 ئى 8635 تقرير استخبارات العراق رقم 14، 1921/6/21.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 6352/371 ئى 10162 تقرير استخبارات العراق رقم 18، 1921/8/1.

<sup>3</sup> وزارة المستعمرات 3/696 التقرير العلوي 1920 (لواء الموصل) ص3

العلاقات بين دهم والبريطانيين<sup>1</sup>.

اتفقت عودة عجيل الى تيار شؤون العشيرة مع وصول الامير فيصل ملك سورية السابق المرشح الاول للعرش العراقي. مع التزايد البريطاني القوي والتأكيد الساحق من "الاستفتاء" الوطني لتتوج الملك فيصل في 23 آب 1921. امل الملك الجديد ان يخلق لنفسه مركز قوة، فحاول ان يكسب رعاية ودعم رؤساء العشائر الاقوياء وخلال مدة حكمه نمت الملك فيصل الصداقة التي عقدها مع الشيخ عجيل الياور في سورية، فان رئيسا قويا وقديرا مثل عجيل غير مدين بولاء خاص للبريطانيين يكون ذا قيمة كبيرة للملك الجديد<sup>2</sup>.

ارسل الملك فيصل، بموافقة البريطانيين، تحسين علي رسوله الخاص لزيارة عجيل الياور في مخيمه قرب ماردين في تركيا<sup>3</sup>. ولما رأى الشيخ التأثير تشجيعا لمقابلة الملك غادر تركيا ووصل بغداد في منتصف آب 1921<sup>1</sup>. وفي الاسبوعين التاليين حاول كل من دهم الهادي وعجيل الياور، وكل منهما يقدم ولاءه للملك فيصل، ان

<sup>1</sup> وريادة الخارجية 6353/371 ئي 10162، تقرير استخبارات العراق رقم 22، 1921/10/1.

<sup>2</sup> لونغريغ: العراق 1900-1950 ص 126-133.

<sup>3</sup> وريادة الخارجية 6352/371، ئي 10162، تقرير استخبارات العراق رقم 18، 1921/8/1.



يحصل على العطف الملكي والسيطرة على قبيلة شمر العراقية. بالرغم من سجل تعاونه مع البريطانيين ودعم جده المتنفذ الشيخ العاصي حارب دهم حربا خاسرة ضد الخطوة الممتازة لعجيل الياور لدى الملك وجاذبيته الشخصية كشيخ بدوي كيس وحكيم<sup>2</sup>.

توافد الوجهاء البغداديون وشيوخ العشائر المتنفذون على المجلس الذي يعقده عجيل، حيث بهرتهم شخصيته الجذابة وقصصه المسلية. على عكس ذلك كان دهم مجهدا في جهله وشبابه، وسرعان ما وجد وضعه كرئيس العشيرة الاعلى متسهاويا امام حظ عجيل الصاعد. وقد ملئ الغيظ قلب دهم المستضعف على الملك فيصل وازدرى عجيل الذي كان يغتصب منصب اسرته، فغادر بغداد ومضى مسرعا نحو نهر الخابور<sup>1</sup>.

تحركت الامور بسرعة خلال سنة 1922 حين رغب عجيل الياور ان يثبت منصبه الذي ناله حديثا كشيخ مشايخ شمر. وبنتيجة تسلمه المسؤولية ذات النفوذ والمال الزاخر لانشاء فرقة من الهجاجة لحراسة البادية الغربية، فقد بذل جهوده عبثا لترك الطباعا طيبا لدى المحسنين اليه. وجد مقاومة من رجال عشيرته الذين احتفظوا بتعاطفهم مع دهم الهادي. وقد اخفق عجيل في تجنيد رجال كافين لفرقة

---

<sup>1</sup> كالسابق

<sup>2</sup> وراه الحارجية 6352/371 ، تقرير استحضرات العرق رقم 22، 1921/10/1.

الهجانة وفي الوقت نفسه، في موقعه بعيدا عن الحدود العراقية السورية، عاد دهم الشاب الغاضب لفرض الخاوة على طريق الموصل - دير الزور وحاول استعادة منصبه كرئيس اعلى لشمر العراقية<sup>2</sup>.

حرى تبادل رسائل بين الملك فيصل ودهام انتهى بزيارته بغداد في اب 1922. وفي نهاية الاجتماع كان واضحا ان عجيل اليساور يبقى رئيسا اعلى لشمر. لكن الملك امل ان يهدئ الرئيس الاعلى السابق وعرض عليه اعانة ومرتبة رئيس عشائري وحقق توقيع اجازات الدخول الى المدن. رفض دهم الهادي المغتاط قبول هذا التخفيض في مرتبته فعاد مرة اخرى الى الحدود السورية وفتح المفاوضات مع الفرنسيين<sup>3</sup> لقد فقد امتياز في العراق - حق استيفاء الخاوة على طريق الموصل - دير الزور من السيارات وقطعان المواشي غير المحروسة - فانهى الرئيس الاعلى السابق تلك السنة كخارج على القانون مطلوب<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 6353/371 في 10532 تقرير استخبارات العراق رقم 15/8/1921.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 7771/371 في 5311 تقرير استخبارات العراق رقم 9، 15/5/1922.

ورارة الخارجية 7771/371 في 5937، تقرير استخبارات العراق رقم 10، 15/5/1922.

<sup>3</sup> ورارة الخارجية 7771/371 في 8715، تقرير استخبارات العراق رقم 15، 15/8/1922.

<sup>4</sup> الطيران 257/23 قسم 2/ ملف 13، كوكس الى تشرشل، 18/8/1922.

## الصراع بين دهام الهادي وعجيل الياور

1932-1922

مضى دهام متمثلاً بالعديد من رؤساء شمر السابقين الخاسرين مسرعاً نحو نهر الخابور ليخطط ثأره لكن خلاها لفارس بن صفوق الذي وجد مأمناً في الانحاء البعيدة بجوار الحابور قبل نصف قرن، كافح الشيخ المعزول دون نجاح نحواً من عشر سنين ليستعيد منصبه. إن تحليل هذا الكفاح الطويل لايعطي صورة مفيدة لسياسة شمر الداخلية فحسب، بل يهيئ أكثر من ذلك فرصة حسنة لتقدير تحول الحياة البدوية الذي فرضته التغيرات العديدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية خلال سنوات ما بين الحربين العالميتين.

التجأ دهام الهادي الى أخذ الخرصه الذي كانت ديرته تقع على جانبي الحدود السورية العراقية<sup>1</sup>. ظل خلال عشر سنوات تقريباً يؤكد ان التقاليد العشائرية تقتضي ان يكون هو، وليس عجيل الياور، رئيس شمر الاعلى. ومع انه لم ينجح في اقناع الحكومة العراقية او مستشارين بريطانيين فقد استمر دهام على التمتع بشعبية كبيرة بين رجسالة شمر

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 9009/371 نسي 4743، تقرير الاستخبارات العراقية رقم 8، 1923/4/15.

بسبب الدعم المتواصل من جده الشيخ العاصي<sup>1</sup>.

بعد ان انحاز دهم الى الخرصصة سنة 1923 بقي الوضع الجغرافي لشمر ثابتا شيئا ما خلال السنوات القليلة التالية. كان لكل من الجماعات الكبرى الاربع في العشيرة رئيسها الخاص. فرجال العشيرة المقيمون في ترقية برئاسة الشيخ العاصي الجزيل الاحترام الفوا اصغر جماعة. كان هذا الشيخ البالغ ثمانين سنة من العمر يحتقر البريطانيين والفرنسيين فاختار ان يمضي ايامه الاخيرة في ظل الاتراك سادته السابقين بقي معه حتى وفاته سنة 1925 العديد من ابنائه الكثيرين واتباع الشيخ الصغير عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم. وكان تأثيره على شؤون شمر ادبيا اكثر منه سياسيا<sup>2</sup>.

تألفت الجماعة الثانية من شمر السورية او الغربية تحت رئاسة الشيخ مشعل بن فارس. وهذا الفخذ من العشيرة الذي كان يدعي الانحدار من سلالة عمشة احدى زوجات الشيخ صفوق كان يعيش جنوبي دير الزور على نهر الخابور منذ اواخر سنوات السبعين من القرن التاسع عشر. وفي النزاع بين عجيل ودهم بقي مشعل الفارس عموما على الحياد صارفا جهوده في خدمة الرئيس الاعلى الذي عينه

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 9009/371 في 4188، تقرير الاستخبارات العراقية رقم 7، 1923/4/1.

<sup>2</sup> الطيران 259/23 القسم 4، صابط الخدمة لخاص في الموصل الى استخبارات الطيران رقم 1251 في 1923/9/4.

الفرنسيون لشمر الغربية<sup>1</sup>.

الفت شمر العراقية او شمر الشرقية اساسا من فخذ العبدية وكانت اكبر الجماعات الاربع، وكان عجيل الياور بصفته الرئيس الاعلى الحكومي يرأس حسب المفروض كل شمر في العراق<sup>2</sup>. والجماعة الرابعة والاخيرة من عشيرة شمر الخرصة برتاسسة دهام الهادي كانت تقيم على جانبي الحدود السورية العراقية، ودهام الذي كان يعيش مرة في سورية واخرى في العراق، لم يستطع ان يحرر لنفسه مركز قوة كما فعل عجيل الياور ومشعل الفارس<sup>3</sup>.

حيما حاول دهام ان يستعيد منصبه كرئيس عراقي اعلى في اوائل 1923، كانت الجزيرة عموما والقطاع الفرنسي خصوصا في حالة من الفوضى. غلب الشك وعدم الثقة بين البريطانيين والفرنسيين والاتراك حول مطامحهم الاقليمية الواحد تجاه الآخر. انشئت ادارة بريطانية على شكل قوة عسكرية محدودة وخطوط عامة لسياسة عشائرية فعالة في العراق. وفي الجانب السوري من الجزيرة لم تنجز التهذئة العسكرية الفرنسية، والفت السياسة العشائرية عموما من

<sup>1</sup> ركريا: عشائر الشام ص 281-282.

<sup>2</sup> وزارة الهند ب اندس/المكتبة، التقرير العسكري عن العراق 1-1 الجزيرة الشمالية (1922) ص 106-111.

<sup>3</sup> فور او بنهايم: البدو، الجزء الاول ص 151.

التدخل العسكري المباشر ضد العشائر المتمردة على الخصوص.<sup>1</sup> وإلى الشمال استخدمت تركية عشائر عربية وكردية مختلفة كالعوبة في خططها لاسترجاع الاراضي التي خسرتها في العراق وسورية.<sup>2</sup>

وجد دهم هذه الاحوال مثالية في مضايقة عجيل الياور في امل تشويه سمعة خصمه. اصبحت المواصلات على طريق دير الزور الموصل عرضة لاستغلال شمر المتواصلة لفرض الخاوة في النصف الاول من السنة. ونتجت اختلالات اخرى من عداة الغزو القديمة بين العشائر. وشهد فصل الربيع هجوم عشيرة الدليم على العقيدات فصلا عن الصراع المعتاد بين عزة وشمر. وفي سبيل وضع حد نهائي لهذه الفوضى اجتمع الممثلون البريطانيون والفرنسيون في دير الزور للمباحثة في مشاكل العشائر الراهنة.<sup>3</sup>

افضى هذا المؤتمر الى وقف المناوشات بين الدليم والعقيدات،

<sup>1</sup> الطيران 258/23/ القسم 3، السكرتير الشخصية للمندوب السامي الى الطيران بغداد، 1923/11/17. وزارة الخارجية 9009/371/ ئي 4188، تقرير الاستخبارات العراقية رقم 7، 1923/4/1، ئي 2123 تقرير الاستخبارات رقم 8 في 1923/4/15.

<sup>2</sup> الطيران 258/23/ القسم 3، ضابط الخدمة الخاص بغداد الى استخبارات الطيران رقم 29 في 1923/5/14.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية 9009/371/ ئي 2341، تقرير الاستخبارات العراقية رقم 3، 1923/2/1، ئي 1948 تقرير الاستخبارات رقم 2، 1923/1/15 - وزارة المستعمرات 38/T36 بغداد، دويس الى دي كية رقم 50/372/3، 1923/3/1.

لكنه اخفق في التقليل من تناوب الغارات التي يشنها دهام واتباعه الذين مازالوا يخلون بالامن على طريق دير الزور - الموصل في اواخر الخريف<sup>1</sup>. وفي كانون الاول عين الفرنسيون مشعل الفارس رئيسا اعلى لشمر عمشة (الغربية) وجعلوه مسؤولا عن المنطقة بين دير الزور والحسكة في الشمال. وعلى مثال ذلك قبل دهام الهادي ايضا اعتراف الفرنسيين واعانة شهرية كرئيس لاتباعه من فخذ الخرصة. وقد وافق مقابل ذلك على حماية طريق الموصل ووقف استيلاء الحاوة من السيارات والتجار المارين. اما بين شمر العراقية فزاد الالحاح المتواصل من جانب البريطانيين على عجيل النساور لوقف غارات شمر.<sup>2</sup>

في سنة 1924 اخذت السياسة الادارية البريطانية والفرنسية تمس اكثر فاكتر بامتيازات العشيرة التقليدية. وجدت العشيرة نفسها على جانبي الحدود تواجه سياسة مرصودة لتأمين الامن والنظام في الجزيرة. خشي الشيوخ عجيل ودهام ومشعل الفارس كلهم هذه السياسة لانها

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 9009/371/ ئي 9847، تقرير الاستخبارات العراقية رقم 17، 1923/9/6  
الطيران 259/23/ القسم 4 ضابط الخدمة الخامس، بغداد الى استخبارات الطيران رقم  
1923/9/27، 168 - الطيران 259/23/ القسم 4 ضابط الخدمة الخاص الموصل الى  
استخبارات الطيران، رقم 1282، 1923/11/19.

<sup>2</sup> الطيران 259/23 القسم 4، رسالة من مشعل الفارس الى عجيل النساور في 1923/11/1.

هددت تهديدا شديدا نظام حياة شمر التقليدية<sup>1</sup>.

بدأ دهم الهادي السنة كرئيس اعلى للخروسة في سورية بواصل جهوده للتقليل من شأن عجيل الياور عن طريق الاسلوب التقليدي من شس الغارات و دس الدساتس. وقد شن الغارات على عنزة وطى وعشائر الدليم فضلا عن فخذ العبددة فعادى الفرنسيين بتجاهل واجبه في وقسف الغزو العشائري<sup>2</sup>. وفي نفس الوقت واجه عجيل مشكلة مقابلة تماما في العراق. لقد علم ان منصبه كشيخ اعلى يعتمد على صلاته الودية مع الملك فيصل وعلى الدعم البريطاني فحاول السيطرة على غزو شمر<sup>3</sup>.

ان جهوده لضبط رجال عشيرته واسترجاع المواشي المنهوبة اغضب الكثيرين من شمر العراق. وقد امل ان يؤكد للعشيرة خطورة عصيان اوامر الحكومة ضد الغزو بين العشائر فقبض على احد كبسار شيوخ العبددة بنيان بن شلال بن فرحان ورتب لسجنه في الموصل.

<sup>1</sup> كالتاسبق.

<sup>2</sup> الطيران 259/23 القسم 4، صابط الخدمة الخاص، بغداد الى استخبارات الطيران رقم 1331، 1924/1/1- وزارة الخارجية 10097/371/نسي 1616، تقرير الاستخبارات العراقية رقم 7.3/2/1924. الطيران 85/23 القسم، صابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران رقم جي/125 في 1924/11/25.

<sup>3</sup> الطيران 13/1/260/23 صابط الخدمة الخاص الى استخبارات الطيران رقم 1430 في 1924/5/2.



هرب بنيان، وهو يواجه غرامة فادحة وسجنا محتملا، وطلب ملجأ لدى دهام في سورية<sup>1</sup>. ولم يمض امد طويل حتى انشق اولاد شلال بن فرحان عن عجيل وانضموا الى بنيان في سورية. وقد رأى عجيل مشكلة مركبة من غارات دهام واولاد شلال فحاول خلال سنة 1924 أن يسترضي بنيان الغاضب<sup>2</sup>.

ان الغارات التي شنها دهام الهادي وانضمت اليها شمر العراقية زادت في شدتها وسعتها. وهذا الاستحفاف الصفيق بالسلطة الفرنسية ادى في النتيجة الى عزل دهام كرئيس اعلى وطرده بعد ذلك الى خارج الاراضي السورية بنهديد الهجوم من القوة الجوية الفرنسية<sup>3</sup>. طرد دهام من ملجاء السوري فكتب فورا الى الملك فيصل عارضا ولاءه الشخصي ومدعيا ان ابن عمه عجيل هو الذي منعه من العيش بسلام في العراق. وقد ظل على الحدود العراقية يستمر في المفاوضات من تشرين الاول الى كانون الاول مع الملك فيصل الذي مضى حتى الى

---

<sup>1</sup> الطيران 260/23 قسم 5، صباط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران رقم 1381، في 1924/3/12.

<sup>2</sup> الطيران 13/1/260/23 صباط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران رقم 1417 في 1924/5/5. الطيران 261/23 القسم 6، صباط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران 1924/10/14.

<sup>3</sup> الطيران 8/23 القسم 1، صباط الخدمة الخاص الموصل، التقرير الاسبوعي رقم جي/125، 1944/11/25.

تحديد موعد للاجتماع في الموصل. لكن دهام تهرب من الموعد ولم يترك سبيلا للمصالحة<sup>1</sup>.

وفي الوقت نفسه فاتح عجيل مرارا عن موضوع السلام دهام وبنيان كليهما من تشرين الاول 1924 الى نيسان 1925، لكن دهام، امام عروض متكررة، رفض ان يجتمع بعجيل<sup>2</sup>. ولاجل ان يؤكد غيظه اكثر من ذلك شن شيخ الخرصة عدة غارات صارخة ضد رجال الشيخ عجيل. وفيما عدا الفشل في الفور بالصلح مع دهام وبنيان وشلال والعاصي الذي انضم الى حفيده المفضل في سورية، تمتع عجيل بصلات طيبة مع كل شمر العراقية<sup>3</sup>.

وجاءت شعبيته المؤقتة من كرمه في تعويض خسائر العشيرة التي تكبدتها خلال شتاء شديد البرد جدا<sup>4</sup>. ولكن هذه المحبة الشعبية المفاجئة لم تلبث ان ذهبت في حيران حين اخذ البريطانيون مرة

---

<sup>1</sup> الطيران 8/23/ القسم 1، ضابط الخدمة الحاص الرمادي، التقرير الاسبوعي رقم ال/10/16، 5/12/1924. الطيران 143/23 القسم 6، ضابط الخدمة الحاص الموصل الى استخبارات الطيران رقم ال/10/22، 25/12/1924.

<sup>2</sup> الطيران 143/23 القسم 6، مرجع بي او 1924/11/29. الطيران 143/23 القسم 6، ضابط الخدمة الحاص الرمادي الى استخبارات الطيران رقم 1693، 6/4/1925.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية 10833/371/في 710 تقرير الاستخبارات رقم 1، 8/1/1925.

<sup>4</sup> الطيران 1/10/143/23 ضابط الخدمة الحاص الموصل الى استخبارات الطيران رقم 1693، 6/4/1925.

أولاً، رفع الحكومة العراقية منعها للغزو بين عنزة وشمرو، بعد سنة واحدة تقريباً أخفق توقيف الغزوات بين العشائر، فاتفق الشيخان الكبيران عجيل الياور وابن هذال على استئناف العارات العشائرية في مؤتمر نظمته الحكومة، وحين وافقت وزارة الداخلية، وهي مكرهة، على السماح بالغارات بين العشائر، أصبح اتباع عجيل الياور يستطيعون استئناف الغزو بدون أزعاج من الحكومة<sup>1</sup>.

ثانياً، زادت جاذبية رئاسة عجيل أيضاً في تشرين الثاني 1925 حين توفي الشيخ العاصي الموقر<sup>2</sup>.

قبل سنة 1926 أحقق تدخل الحكومة في تقلييل تنسارب وشدة الغزو العشائري، لكن الحكومة العراقية عالجت الموضوع بهمة جديدة سنة 1926. أكدت بشدة أن عجيل بصفته رئيس شمر الأعلى يتحمل المسؤولية عن أعمال العشيرة. فإذا لم يتمكن من وقف الغزو فإن أعائته تخفض بصورة محسوسة وتكلف مفرزة سيارات مسلحة بتأمين أمن الحدود. لكن إذا تعاون عجيل في محاولة وقف الغزو فإنه يحصل على دعم بريطاني كامل عسكري وسياسي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 10833/371/ني 6298 تقرير الاستخبارات رقم 1، 20/10/1925.

<sup>2</sup> الطيران 146/23 القسم 4، ضابط الخدمة الحاص الموصول إلى استخبارات الطيران رقم 2053، 15/11/1925.

<sup>3</sup> الطيران 149/23 القسم 8، برسكوت إلى وزير الداخلية رقم سي 174، 25/5/1926.

أولاً، رفع الحكومة العراقية منعها للغزو بين عنزة وشمرو، بعد سنة واحدة تقريباً أخفق توقيف الغزوات بين العشائر، فاتفق الشيخان الكبيران عجيل الياور وابن هذال على استئناف العارات العشائرية في مؤتمر نظمته الحكومة، وحين وافقت وزارة الداخلية، وهي مكرهة، على السماح بالغارات بين العشائر، أصبح اتباع عجيل الياور يستطيعون استئناف الغزو بدون أزعاج من الحكومة<sup>1</sup>.

ثانياً، زادت جاذبية رئاسة عجيل أيضاً في تشرين الثاني 1925 حين توفي الشيخ العاصي الموقر<sup>2</sup>.

قبل سنة 1926 أحقق تدخل الحكومة في تقلييل تنسارب وشدة الغزو العشائري، لكن الحكومة العراقية عالجت الموضوع بهمة جديدة سنة 1926. أكدت بشدة أن عجيل بصفته رئيس شمر الأعلى يتحمل المسؤولية عن أعمال العشيرة. فإذا لم يتمكن من وقف الغزو فإن أعائته تخفض بصورة محسوسة وتكلف مفرزة سيارات مسلحة بتأمين أمن الحدود. لكن إذا تعاون عجيل في محاولة وقف الغزو فإنه يحصل على دعم بريطاني كامل عسكري وسياسي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 10833/371/ئي 6298 تقرير الاستخبارات رقم 1، 20/10/1925.

<sup>2</sup> الطيران 146/23 القسم 4، ضابط الخدمة الحاص الموصول إلى استخبارات الطيران رقم 2053، 15/11/1925.

<sup>3</sup> الطيران 149/23 القسم 8، برسكوت إلى وزير الداخلية رقم سي 174، 25/5/1926.

اصبح القتال بين الخصمين خطيرا بصورة متزايدة منذ تشريسن  
الاول 1925 حين اخذ دهام يتعهد الدعم بين رجال العشائر اليزيدية في  
منطقة سنجار. لقد استفاد من استياء اليزيديين من شمر العراقية  
بسبب الغارات المتعددة الشديدة من جانب رجال العشيرة التابعين لعجيل  
فعمل دهام على انشاء تحالف قوي ضد ابن عمه<sup>1</sup>. في نهاية ثلاثة اشهر  
من العرو المتقابل على مقياس صغير، قرر دهام ان يواجه عجيل في  
معركة كبرى في البدي على الحدود السورية العراقية. شد ازره  
2000 تابع من عشيرة الحبور السورية فحاول ان يتغلب على قوة  
اصغر يقودها عجيل الياور. لكن هذه الامال الكبيرة سرعان ما خابت  
في صباح 2 نيسان 1926 حين وجد دهام لحزته الشديد بعد شن  
الهجوم، ان سبارات مسلحة بريطانية انضمت الى عجيل في الليل.  
وانتهى امل دهام في النصر حين انقض سرب طائرات من القوة الجوية  
الملكية فجأة على شمر السورية<sup>2</sup>.

خلال دقائق قصيرة انطبقت حقائق التكنولوجيا العسكرية الحديثة  
بصورة لا تمحى على اذهان محاربي شمر البدو. وقد وجدت عادات  
الحرب البدوية القديمة اخيرا صنوها. غير ان الظروف الانيسة لم  
تسمح بوقت للتفكير، فلا دهام واتباعه بالفرار طلبا للنجاة. وطاردتهم

<sup>1</sup> الطيران 149/23 القسم 7، تقرير عن المعركة بين دهام.

<sup>2</sup> كالسابق ص 50 هـ.

شمر العراقية مطاردة عنيفة ودفعت دهام ورجاله بعيسدا في عمق الاراضي السورية. وقتل عدد كبير من رجال الجبور والحرصة في البدي<sup>1</sup>.

في اعقاب فاجعة نيسان طلب دهام الغضبان ثارا سريعا. ساعدته اعادة رئاسته العليا على الخرصة من جانب الفرنسيين في جهوده لتجنيد اتباع كثيرين<sup>2</sup>. وفي الوقت نفسه لقي الشيخ عجيل في العراق عزمًا بريطانيا متصاعدا لوقف كل الغزو العشائري. في تموز صدر امر رسمي ينهي كل الغارات العشائرية وشخص نظاما شديدا لتنفيذ القرار الجديد. كان رد الفعل من جانب رجال شمر ان هربوا الى سورية حيث بقي المغزو قانونيا. ازاء تهديد الحكومة انقسمت جماعات الغزو الكبرى السابقة الى جماعات صغيرة لئلا يعثر عليها<sup>3</sup>.

شعر الموظفون البريطانيون ان وقف الغزو عبر الحدود يستلزم تعاوننا دوليا فطلبوا موافقة فرنسة على دعوة مؤتمر عشائري لتسوية كل

<sup>1</sup> كالسابق ص 50 جي.

<sup>2</sup> الطيران 149/23 القسم 7، صابط الخدمة الخاص، الموصل الى استخبارات الطيران رقم 10/م/306، 1926/6/16.

<sup>3</sup> الطيران 1/10/1/149/23 المستشار لوزارة الداخلية الى المفتش الاداري في الموصل، برقية رقم سي/1840 في 1926/7/13. الطيران 21/1/275/23 وزير الداخلية الى سكرتير المندوب السامي رقم سي/1973 في 1926/7/27. الطيران 150/23 القسم 8، مقر الطيران الى المندوب السامي 1926/9/22.

المطالبات البدوية الموقوفة وانهاء كل الغارات<sup>1</sup>. أما بشأن السيطرة على شمر في داخل العراق فقد اثبتت فكرة وقف هجرتها الخريفية الى الجنوب بفرض الحصار على الطرق المعتادة باستعمال سيارات مسلحة وطائرات . ومع هذه العملية كانت ممكنة من الناحية التكنولوجية فانها لم تحدث سنة 1926 لان المراعي الخصبة سمحت للعشيرة ان تقضي الشتاء في الجزيرة الشمالية<sup>2</sup>.

هذه الجهود البريطانية المقررة انتجت تخفيضاً محسوساً في غارات العشائر العراقية في اواخر 1926. لكن بالرغم من ذلك بقي الغزو مشكلة عويصة بسبب الاعتداءات التي شنتها العشائر السورية على العراق. خلال تشرين الثاني وكانون الاول 1926 وكانون الثاني 1927 انتهك اتباع دهام الهادي وبنيان الشلال مرارا الحدود العراقية. هذه الغارات اعصبت الموظفين البريطانيين الذين اتسهموا الموظفين الفرنسيين بانهم لا يتخذون اجراءات صارمة للسيطرة على البسندو

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 11508/371، دويس الى المعتمد السامي في سورية رقم 12649، 1926/10/29.

<sup>2</sup> الطيران 150/23 القسم 8، ضابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران، برقية 409/91، 1926/9/29. الطيران 151/23 القسم 9، المفتش الاداري في الموصل الى وزارة الداخلية رقم هـ كيو/1149، في 1926/10/2 وزارة الخارجية 12304/371 سالتو الى بوسو، 1927/1/3.

السوريين<sup>1</sup>.

بعد تبادل الاتهامات المتواصلة اجتمع الموظفون البريطانيون والفرنسيون في البدي في شباط 1927 للبحث في خطط ترمي الى عقد مؤتمر عشائري مقترح<sup>2</sup>. بين الاجتماع الاول في البدي والمؤتمر الفعلي الذي عقد في عانة في 2 نيسان تبدلت السياسة الفرنسية تجاه دهام بصورة عظيمة. خلال اذار دعي الى دير الزور وأوعز اليه بكل شدة ان يوقف غاراته عبر الحدود. وزار مخيمه بعد ذلك ضابط فرنسي وكرر المنع<sup>3</sup>.

افتتح المؤتمر العشائري السوري الذي طال انتظاره في نيسان في بلدة عنة على الفرات وحضر ممثلون عن كل القبائل الكبرى وموظفون حكوميون سوريون وعراقيون ومستشاروهم الاوربيون. قدمت المطالبات العشائرية الموقوفة ونوقشت مناقشة طويلة. وبالنتيجة

<sup>1</sup> الطيران 152/23 القسم 10، ضابط الخدمة الخاص الموصل الى مستشار وزارة الداخلية رقم ي م/692، 1926/11/30. وزارة الداخلية 11468/371/ئي 7090، تقرير الاستخبارات رقم 24، 1926/12/28. وزارة الخارجية 12264/371/ئي 121 تقرير الاستخبارات رقم 26، 1926/12/22.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 13760/371/ئي 1329 تقرير الاستخبارات رقم 5، 1927/2/22.

<sup>3</sup> الطيران 154/23 القسم 12، ضابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران رقم ي م/30، 1927/3/7. ضابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران رقم ي م/30، 1927/3/15.



وافقت العشائر المختلفة أن تلغي كل المطالبات الموقوفة ولأنهاء  
عداوتها. عقد اتفاقات الصلح بين العشائر التالية :-

1. العشائر السورية العقيدات والباقرة وشمر العراقية وعنزة  
والدليم.

2. العراقية عنزة والسنجار وأفخاذ العامود من شمر السورية.

3. شمر العراقية وأفخاذ السباع من عنزة السورية.

4. العراقية العمارات من عنزة وشمر.

5. السورية الفدعان والدليم العراقية.

6. شمر العراقية وكل عنزة السورية

فيما يتعلق بشؤون شمر الداخلية تعانق الشيخان المتحاربان عجيل  
الياور ودهام الهادي ووافقا على العيش بسلام وقرار آخر للمؤتمر ودعا  
جميع العشائر الى التعاون كل مع حكومتها الخاصة في استيفاء (الودي)  
ضريبة المواشي.<sup>1</sup>

خلال سنة 1927 والسنوات القليلة التالية لعب الاهتمام بتطوير  
طريقة عادلة وفعالة لجباية ضريبة (الودي) دوراً كبيراً في شؤون  
شمر. حدثت مشاكل متعددة خلال المحاولة العراقية البدائية لاستيفاء

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 12264/371/تي 2325، تقرير الاستخبارات رقم 10، 11/5/1926.  
بريطانية العظمى وزارة المستعمرات 1927 تقرير حكومة صاحب الجلالة البريطانية إلى  
مجلس عصبة الأمم عن الانتداب على العراق.

الضريبة. هرب العديد من رؤساء شمر إلى سوريا لتلافي تدخل الحكومة في شؤون العشيرة، لكن أعمالهم أصبحت بعد ذلك فاشلة لأنهم اضطروا في نهاية الامر على العودة إلى العراق.<sup>1</sup> كان فخذ الخرصة الذي يقيم على جانبي الحدود يقدم مشكلة أكثر تعقيدا، فيفرض عليه الضريبة مرتين أو يتحاشاها. أثارت الصعوبة الأولى لعدم وجود وثائق صحيحة، فكانت العشيرة التي دفعت (الودي) على جانب من الحدود ترغم على دفعها مرة أخرى حين تعبر إلى البلد الآخر. وحدثت المشكلة الثانية في خريف سنة 1927 حين تحاشا الشيوخ الماكرون بنجاح دفع (الودي) بعبور الحدود حين جبي الضريبة في بلدهم. جرت حوادث كثيرة تتعلق بعبور شيوخ صغار من الخرصة إلى العراق عند استيفاء الضريبة في سوريا. وثار النزاع بين دهام وعجيل الذي سوي مؤقتا في مؤتمر عنه، مرة أخرى بشأن موضوع جباية (الودي). نشأت القلاقل حين تبع دهام عددا من رجال قبيلة الخرصة إلى العراق وأدعى أنهم مطلوبون (الودي) للحكومة السورية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 12305/371 بغداد، بورديون إلى بونسو رقم اس او 2380، 1927/12/10. الطيران 155/23 القسم 13، المقتش الاداري الموصل إلى مستشار وزارة الداخلية. برقية رقم 2506، 1927/10/18.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 12305/371 جاردن إلى مساعد المندوب في دير الزور من ف سسي 368، 1927/10/25. وزارة الخارجية 12265/371/ئي 4765، تقرير الاستخبارات رقم 22، 1927/10/27.

كان رد فعل الموظفين الفرنسيين بطيئاً للشكاوي البريطانية حول غارات دهام في العراق لاستيفاء (الودي) من رجال عشيرتهم. وتمنعه من وقف الغزو عبر الحدود قد يكون ناشئاً عن حقيقة كون دهام قد طار إلى بيروت بعد مؤتمر عنه وعين رئيساً أعلى على كسل من شمر السورية، وتعهد بتقديم قوة هجانة (جمالة) عدتهم 300 رجل وأعانسة شهرية.<sup>1</sup> ويقوم علاوة على ذلك بجباية (الودي) فيقدم إيرادات كبيراً للحكومة السورية.

فيما عدا مشكلة (الودي) كان أثر التسوية لمؤتمر عانة العشائري أن أدى تخفيضاً للغزو عبر الحدود سنة 1928. تعاون الموظفون البريطانيون والفرنسيون خلال السنة لتحسين أساليب جباية (الودي) رغبة في تقليل حوادث الحدود أكثر من ذلك. وفي نهاية السنة وافق الطرفان كتجربة على جباية (الودي) في نفس الوقت والتسارل عن المطالبة بـ (الودي) من أي عشيرة سبق لها دفعه في البلد الآخر.<sup>2</sup> وقد خفض احتمال الغزو العشائري أيضاً حين أمر البريطانيون عجيل الياور أن يبتعد عن الحدود السورية في شهر شباط، وحين أوعر الموظفون الفرنسيون إلى دهام الهادي في تموز بلزوم كبسح جماع

<sup>1</sup> الطيران 154/23 القسم 12، ضابط الخدمة الخاص الموصول إلى استخبارات الطسيران رقم ي م / 3 أ، 1927/5/17.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 12305/371 جاردن إلى مساعد المندوب في دير الزور س ف سسي 367، 1927/10/24.

أتباعه.<sup>1</sup> بالإضافة الى الخلاف بين أدهام وعجيل من المهم ذكر ناحيتين أخيرين من سياسات شمر العشائرية سنة 1928. الناحية الاولى تتعلق بشيخ العبدلة المتمرد. بنيان بن شلال الذي غادر العراق سنة 1924 وبقي عدة سنوات في سورية مع دهام وهو يغزو أتباع عجيل. كان بنيان مشاغبا، وقد وجد قيود اتفاق عنه لسنة 1927 كابحة. استمرت غاراته حتى سنة 1928 حتى دعاه الموظفون الاتراك الى ديار بكر. وفي اجتماع عقد في أيلول صدر الامر الى بنيان بوقف العسرو على العراق وسوريا ومنح عدة قرى تعويضا عن ذلك.<sup>2</sup>

حادثة ثانية دلت على الوضع المتغير للعشيرة أزاء الحكومة العراقية حدثت في خريف 1928. في السنوات السابقة كثيرا ما أنتجت هجرة شمر السنوية جنوبا غارات شديدة. لكن في سنة 1928

---

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 13702/371 بيروت، بونسو إلى دويس رقم 64/ك د، 1928/1/18 الطيران 155/23 القسم 12، وزير الداخلية إلى السيد المنسوب السامي رقم سسي 547، 1928/2/

<sup>2</sup> الطيران 156/23 القسم 14، ضابط الخدمة الخاص الموصل إلى استخبارات الطيران رقم ي م 9، 1928/6/7 وراة الخارجية 13073/371، تقرير الاستخبارات رقم 11، 1928/6/20. الطيران 156/23 القسم 14، ضابط الخدمة الخاص الموصل إلى استخبارات الطيران رقم ي م 1، 1928/8/9، الطيران 156/23 القسم 14 ضابط الخدمة الخاص الموصل إلى استخبارات الطيران، 1928/9/13.

وراة الخارجية 13073/371 بيروت، هونيو إلى ألبس، 1928/7/21.

وراة الخارجية 13073/371 بغداد، دويس إلى بونسو رقم 4042، 1928/3/31.

نفذت الحكومة قيوداً شديدة سيطرت على هجرة شمر لأول مرة. كان يجب أنجاز الحركة تعييناً خلال مواعيد معينة وجرياتها على طريق مقرر سلفاً. وعلى مثال ذلك لايجوز للعشيرة أن تعبر الفرات أو تغزو جزيرة العرب الشمالية. قبل ثماني سنوات فقط لم يكن في الامكان مراقبة هجرة شمر، لكن التجهيزات التكنولوجية من طائرات وسيارات مسلحة وأجهزة أذاعة وهاتف، مقرونة بسياسة عشائرية شديدة، هيأت للحكومة العراقية مع مستشاريها البريطانيين أن تسيطر على العشيرة.<sup>1</sup>

اجتمع الموظفون البريطانيون والفرنسيون مرة أخرى في الحسكة في شباط 1929 فحسنوا طريقة جباية (الودي). تخفف المصاعب الناشئة عن تهرب فخذ الخرصنة من دفع الضريبة بعبور الحدود بنقل كل العشائر على منطقة طولها 15 كيلو متر على الحدود قبل أسبوعين قبل بدء جباية (الودي). وتقوم سيارات الجيش المسلحة بتنفيذ العملية لتأكيد نجاحها.<sup>2</sup> وهذه الطريقة المحسنة لجباية (الودي) كان لها أفضل تأثير محسوس في سوريا. وكان رد فعل شمر السورية لهذه الطريقة لايؤبه له حتى بدل الموظفون الفرنسيون ضريبة (الودي) المعتدلة وفرضوا رسم (الكودة) الثقيل. ولم يحدث

---

<sup>1</sup> الطيران 156/23 القسم 14، وزير الداخلية إلى متصرف الدليم، الحلة الخ رقم 13563، 1928/9/3.

<sup>2</sup> الطيران 156/23 10/1/ي تقرير عن مؤتمر الحسكة، 1929/2/17.

هذا التبدل حتى ثارت الاحتجاجات القوية.<sup>1</sup>

امام المعارضة القوية للضريبة العالية على العشيرة اعتمد الموظفون الفرنسيون كل الاعتماد على الشيخ دهمام الهادي لجمع الضريبة الجديدة. وقد اغضبت الضريبة الجديدة فخذ الفراغة بشدة حتى أنها اعتدت على جياة الضريبة الحكوميين. وبنتيجة مقاومة شمر الغربية عزل مشعل الفارس مؤقتاً وعين الشيخ عبد المحسن بن عبد الكريم رئيساً أعلى في محله بعد أن وعد بجباية رسم الكودة الثقيل.<sup>2</sup> وأشدت استياء العشيرة من الضريبة الجديدة حتى أن أعداداً كبيرة من شمر السورية هددت بالانتقال الى العراق.<sup>3</sup> وفي أمل استباق اشاعة فرار دهمام الهادي قدم الفرنسيون له داراً في شيل أغا حيث استقر في آب 1929. وعلى غرار ذلك قرر إطلاق مشعل الفارس خوفاً من ضياع فخذ الفراغة وأعيد رئيساً أعلى لشمر الغربية، ودفعت له رواتبه للمدة السابقة.<sup>4</sup>

خلال السنتين 1930 و 1931 أصبحت المنافسة الطويلة الامر بين

---

<sup>1</sup> الطيران 157/23/10/1 ي ضابط الخدمة الخاص الموصل إلى استخبارات الطيران رقم ي م/37، 1929/7/4.

<sup>2</sup> كالسابق.

<sup>3</sup> كالسابق.

<sup>4</sup> الطيران 157/23 القسم 15 ضابط الخدمة الخاص الموصل إلى استخبارات الطيران، 1929/8/20.

دهام الهادي وعجيل الياور أقل مرارة أذ وقفت غارات العشيرة عبر الحدود فعلا وعقدت مؤتمرات عشائرية إضافية سورية عراقية سنة 1928 و 1929 حلت الكثير من المشاكل الموقوفة بين رئيسي شمر حول الغزو وأستيفاء (الودي).<sup>1</sup> وهكذا لم تكف الحكومة السورية والعراقية تشآن طرائق متماثلة لجباية الايراد حتى التفت رؤساء شمر الى مسؤوليتهم الثقيلة في أستيفاء (الودي) من عشائريهم.

أن الضريبة الثقيلة المستمرة في سورية خلال 1929 حملت مشعل الفارس ودهام الهادي على النظر في نقل عشائريهما الى العراق. وفي وجه دورة أخرى من الضرائب الباهظة عبر مشعل الفارس و 1500 عائلة شمريّة الحدود سرا الى العراق في أيار 1930.<sup>2</sup> خيمت العشيرة جنوبي جبل سنجار، ومضى مشعل لزيارة الملك فيصل. بعد محادثة ودية طلب الملك من شيخ الفراعسة التوجه الى وراة الداخلية حيث علم بسرعة بالشروط الثقيلة التي تفرض عليه اذا بقي في العراق. أولا، يكون شيخا ثانويا تحت عجيل الياور. ثانيا، يكون عليه مواصلة دفع الضرائب الى الفرنسيين في سوريا. ولما لم يقبل الشرطين

<sup>1</sup> الطيران 158/23 القسم 16، ضابط الخدمة الحاص الموصول إلى استخبارات الطيران رقم ي م/10، 1930/7.

<sup>2</sup> الطيران 158/23 القسم 16، ضابط الخدمة الحاص الموصول إلى استخبارات الطيران رقم 1/11/1، 1930/2/2. الطيران 158/23 القسم 16، التقرير الاداري للسواء الموصول 1931.

عاد مشعل الفارس الى سوريا في كانون الثاني 1931<sup>1</sup> لقي الموظفين السوريون قلائل اخرى حين بدأ أن دهام الهادي أيضا مستعد للعودة الى العراق مع فخذ الخرصة مع أنه بدأ يرسل الملك فيصل عن عودته، فان خطته سرعان ما أرتطمت بمعارضة عجيل الياور الذي خشي من وجود دهام في العراق.<sup>2</sup> وقبل أن تسير الامور الى أبعد من ذلك خفت المصاعب بين الفرنسيين وشمّر بوجه محسوس بتخفيض نسبة ضريبة (الودي) الى ربع مستوى سنة 1929.<sup>3</sup>

أن فشل دهام الهادي ومشعل الفارس في إيجاد ملجأ لهما في العراق سنة 1931 بوضح صراحة تبدل الحياة البدوية لشمر خلال السنوات العشر الماضية. وسجل عام 1932 لم يكن نهاية الانتداب البريطاني فحسب وبداية استقلال العراق، ولكن يمكن اعتباره حدا فاصلا في تاريخ شمر. لم يكن وقت في المائة والثلاثين سنة التي قضتها العشيرة في الجزيرة، شهدت فيه مثل هذا التغيير العميق كما شهدت خلال السنوات 1922 الى 1932.

---

<sup>1</sup> الطيران 1/10/1/158/23 مقر الطيران (استخبارات اركسان القسوة الجوية 33/د3، 1930/5/8. الطيران 158/23 القسم 16، التقرير الاداري للقواء الموصل 1930/1.

<sup>2</sup> الطيران 1/10/1/158/23 ضابط الخدمة الحاص الموصل إلى استخبارات الطيران رقم ي م/1، 1930/1/9.

<sup>3</sup> الطيران 158/23 القسم 16، ضابط الخدمة الخاص الموصل إلى استخبارات الطيران ي م/10، 1930/8/23.



خلال الخمسين سنة الاخيرة من الحكم التركي جاءت اثار توطيد الحكم المحلي وتحسين الوسائل العسكرية، كما أوضحناه في الفصل الرابع، لتتففي تفوق شمر العسكري وتخفض مستوى غاراتها لكن شمر وسائر العشائر البدوية في الجزيرة لم تشعر حتى حلول سنوات العشرين (من القرن العشرين) شعورا تاما بأثار العالم الحديث . بدأ هذا التغيير بتقسيم ديرة شمر بين ثلاث دول جديدة خلقت بعد الحرب العالمية الاولى. وضعت حدود سياسية جديدة لم تغير حرية شمر التقليدية في الحركة فحسب بل فرضت تمركزا اداريا آخر ايضا.

اصطدمت نشاطات البدو التقليدية، كالغزو العشائري واستيلاء الخاوة والعداوات داخل العشيرة، مع رغبة الدولتين المنتدبتين لتوطيد الامن والسلام. وجاءت التكنولوجيا العسكرية المتفوقة، من طائرات وسيارات مسلحة ورشاشات، مقرونة مع وسائل المواصلات الحديثة كالهاتف والاذاعة، فساعدت الفرنسيين والبريطانيين لمنع الغزو وتنظيم استيلاء الخاوة. وهذا التفوق العسكري المطلق ضمن ايضا للحكومة المركزية السيطرة على السياسة العشائرية بتعيين رئيس أعلى تقوم سلطته على اساس دعم الحكومة. وقد فقدت شمر كل مقدراتها لتحدي الحكومة فأصبحت لا تستطيع الركون إلى عاداتها التقليدية في استعمال القوة أو اتخاذ حماية البادية للتأثير على الاحداث

كما كانت تفعل في القرن التاسع عشر<sup>1</sup>. خلال السنوات ما بين الحربين تحول تأثير شمر في الشؤون السياسية بصورة متزايدة إلى يد شيسوخ اقوياء تطلب الحكومتان السورية والعراقية ولاءهم ودعمهم. وعلى مثال ذلك زالت المطالب البدوية التقليدية من رئاسة العشيرة، كالشجاعة والفصاحة والحكمة والكرم التي كانت تميز الرئيس كزعيم محارب، وحل محلها طلب فطنة سياسية مستزايدة فسي السياسة الوطنية والدبلوماسية والمهارة العملية. ان الطبيعة المتغيرة للزعامة العشائرية وجدت شكلها في سيرة عجيل الياور.

---

<sup>1</sup> ستير : شمر جربا، ص 102-105.

## اشكال متغيرة في زعامة شمر

### سيرة عجيل الياور 1922-1940

حين قبل عجيل الياور دعوة الملك فيصل للعمل شيخاً لمشايخ شمر سنة 1922، فشل المنصب في احراز الاحترام الذي كان له في عهد شخصية مثل صفوق بن فارس قبل 75 سنة.<sup>1</sup> منذ وفاة فرحان باشا سنة 1890 قام الاتراك باضعاف شمر الشرقية بصورة متواصلة بالتلاعب بمنصب الرئيس الاعلى الحكومي لزرع التناحر بين ابناء فرحان باشا الستة عشر. وهكذا، حين تسلم عجيل المنصب، لم تكن الوظيفة تحوز القوة والاحترام. لكن خلال الـ 18 سنة التي شغل عجيل المنصب كشيخ معين من الحكومة اصبح من اغنى واوسع رجال العراق نفوذاً. كيف تسنى له ان يبلغ هذا الوضع، ذلك ما يعطي فكرة واضحة عن تغير شمر خلال السنوات ما بين الحربين.<sup>2</sup>

في السلالة الواسعة لفرحان باشا، آخر رئيس اعلى قسوي نسبياً لشمر الشرقية، لم يكن عجيل الياور يتمتع بحق ارث خاص يؤهله كزعيم العشيرة. وكان شيوخ آخرون، مثل فيصل بن فرحان ودهام

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 7771/371/ئي 5311، تقرير، لاستخبارات رقم 9، 1/5/1922.

<sup>2</sup> وزارة الخارجية 2329/371، شخصيات عراقية : عجيل الياور، 1940.

الهادي و العاصي بن فرحان وعبد العزيز بن فرحان، يستطيعون ان يطالبوا بقوة اكثر منه بزعامه العشيرة على اساس النسب. لكن عجيل الباور نال السلطة بسبب عاملين مهمين : (1) صفاته الشخصية كزعيم بدوي، و (2) صداقته مع الملك فيصل.<sup>1</sup>

كان في مظهره البدني وحده، طوله ستة اقدام و 6 اشات ووزنه اكثر من 200 ليبرة دون ذرة واحدة من الشحم، شخصية جلية.<sup>2</sup> وقد ملك عجيل علاوة على مظهره المهييب صفات الزعامه البدوية التقليدية. جذبت شخصيته الجذابة ومقدرته في رواية القصص جموع وجهاء البلد ورؤساء البادية إلى حضور مجلسه في بغداد.<sup>3</sup>

بالرغم من مؤهلاته الجذابة كزعيم شمري رأى الموظفون البريطانيون في سنة 1921 عجيل كخارج على القانون لتورطه في غارة تلعفر سنة 1920.<sup>4</sup> لكن حين توج الملك فيصل فسي أب 1921 سرعان ما حل هذه المشكلة وعين عجيل الباور رئيسا حكوميا اعلى لشمير العراقية. وخلال اشغاله المنصب اعترف عجيل بذكائه ان منصبه يعتمد على دعم الحكومة لا على تأييد العشيرة. واسناد شمير الشرفية

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 6349/371/ثي 11802 : شخصيات الموصل واربيل وبغداد 1921

الحميل : البدو ص 3-4، برغويهم : جرتود بل، الجزء الثاني، ص 321-322.

<sup>2</sup> كالسابق ص 237.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية 6353/371/ثي 10532، تقرير الاستخبارات رقم 19، 1921/8/15.

<sup>4</sup> كالسابق.

لدهام الهادي في صراعه لحيازة الرئاسة يدل على ان عجيل فشل فسي احراز ولاء شمر الجماعي. وخلال سنوات العشرين حافظ عجيل على تأييد الحكومة بتنفيذ الامر غير المحيب الصادر بوقف كل الغزو العشائري.<sup>1</sup>

اتسع نفوذ عجيل على شؤون العشيرة كثيرا بين سنة 1923 و 1927. كان يقبض بصفته شيخا حكوميا اعانة شهرية قدرها 12000 روبية. قبل 1922 كانت الاعانات توزع على شيوخ شمر بين فرديين. لكن لما اصبح عجيل رئيسا اعلى صار يتسلم اعانة كبيرة يقسمها شخصا بين سائر الشيوخ. بالسيطرة على توزيع مال الحكومة صار عجيل يباشر رقابة عظيمة على الكثيرين من منافسيه المحتملين.<sup>2</sup> وعلى غرار ذلك فان قيادة قوة هجانة ممولة ومسلحة من جانب الحكومة، انشئت ظاهرا لحراسة الحدود، منحت عجيل سلاحا آخر للتأثير على الشؤون العشائرية. فيما عدا طرائق السيطرة هذه جمع عجيل ثروة وقوة شخصية كبيرتين من الحق الذي منح له لجباية ضرائب الحكومة واصدار اجازات دخول إلى اسواق مدنية متعددة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الهامش غير موجود.

<sup>2</sup> الطيران 144/23 القسم 2، وزير الداخلية إلى متصرف الموصل، برقية رقم 7876، 1925/6/27.

<sup>3</sup> الطيران 13/1/260/23 ضابط الخدمة الحاضر، الموصل إلى استخبارات الطيران رقم 1446، 1924/6/6. الطيران 1/10/1/155/23 القسم 13، ضابط الخدمة الحاضر الموصل

طالب البريطانيون كجزء من سياستهم العشائرية من البدوي الذي يدخل إلى بلدة عراقية أن يحمل اجازة نافذة من شيخه الاعلى. وهذا الطلب أصبح مهما جدا لدى البدو امثال الشمريين الذين يحتاجون إلى حبوب وتمر لطعامهم اليومي. فاذا لم يمكن شراء هذه المواد فان العشيرة تموت جوعا. بفرض رسم على اجازة الدخول، لم يكتف عجيل بجمع المال بل وطد سيطرته اكثر على العشيرة. وكان استيلاء "الودي" من رجال عشيرته مصدرا آخر لايراد. في سنة 1928 سمح له بالاحتفاظ بـ 25 في المائة من الضريبة التي يجبيها من شمر.<sup>1</sup>

في اواخر العشرينات غيرت قوى اجتماعية واقتصادية مختلفة ثقافة البدو التقليدية. بوجه خاص قيدت الادارة الحكومية الفعالة والتكنولوجيا العسكرية الحديثة سرعة حركة البدوي ومقدرته على الحصول على المال من اعماله التقليدية كالغزو وفرض الخاوة.<sup>2</sup> وكذلك ادخال السيارات وسيارات النقل خفض الطلب على الاسباع كوسيلة نقل. وانشاء شركة نيرن للنقل التي حملت الاحمال والركاب بين بغداد ودمشق على اساس منهاج منتظم سنة 1923 هيأت مثالا

---

إلى استخبارات الطيران.

<sup>1</sup> كالمسابق.

<sup>2</sup> ستين : شمر جريا ص 102-105. غلوب : البدو، مجلة جمعية أسية الوسطى الملكية،

22 (1935) ص 29.

واضحاً للنظام المتحول.

وقد وجد الشمريون أكثر وسائل معاشهم التقليدية قد أغلقت فأرغموا على كسب معيشتهم بطرق أخرى.<sup>1</sup>

باشراً عجيل الياور سنة 1926 مشروعاً مقترحاً لتطوير الأراضي اتفق عايبه مع الملك فيصل فاشترى مساحات واسعة من الأرض في الجزيرة الشمالية.<sup>2</sup>

وفي أواخر سنوات الثلاثين أصبح يملك أراضي في قلعة الشرفاء وتكريت وتلعفر وقرب جبل سنجار.<sup>3</sup> في سنة 1936 و 1937 سببت محاولته شراء أراضي أخرى في الأقليم اليزيدي قلقاً كبيراً في وزارة الداخلية.<sup>4</sup> وتولى زراعة الأراضي التي يمتلكها عجيل رجال من عشائر مختلفة تابعة لشمير كالجور. ولأجل تحسين الإنتاج حضر رئيس شمير الأعلى ذو الفكرة التقدمية عدداً من الآبار واستخدم مضخات

---

<sup>1</sup> كالمسابق.

<sup>2</sup> الطيران 146/23 القسم 4، كورنواليس إلى سكرتير المندوب السامي رقم سي 263/216، 1926/1/28.

<sup>3</sup> فور، وسهايم : البدو الجزء الأول ص 150.

<sup>4</sup> وزارة الخارجية 2171/371/تي 147، خلاصة الاستخبارات الخارجية للقوة الجوية الملكية عن العراق ص 98، 1931/2. وزارة الخارجية 2171/371/تي ريدل إلى كبير، 1936/4/30. وزارة الخارجية 2002/371 وريدل الداخلية السي السفير رقم 342 ب أ 4، 1936/5/19 سي ج 1 دموئندس الحج إلى الاليت (لندن 1967) ص 64-65.

ذات محرك لتجهيز الماء الضروري.<sup>1</sup> وهذه الجهود الاستثمارية لم تنحصر في الزراعة فقط، فقد عمل بصفة وسيط وجهاز عمالا عشائريا لمد خط السكة الحديدية من بيجي إلى الموصل وتولى تسامين الامن لشركة استثمار النفط البريطانية. هذه المشاريع قدمت واردات شخصية كبيرة لرئيس شمر الاعلى.<sup>2</sup>

احتفظ عجيل خلال حياته باهتمام كبير وشارك عمليا في الشؤون السياسية. ابتداء من سنة 1924 كان ممثلا لشمر في المجلس التأسيسي.<sup>3</sup> وكصديق مقرب للملك فيصل اثر تسائيرا محسوسا في الشؤون الوطنية. ومكانته كشخصية سياسية وطنية مثلت خير تمثيل بالشرف الذي منحه اياه الحكومة البريطانية سنة 1937 بدعوته في تلك السنة كمواطن اعتيادي لحضور تتويج الملك.<sup>4</sup>

زار عجيل بريطانية العظمى مرة اخرى سنة 1939. في الرسائل الرسمية التي نظمت زيارته، أشير إلى عجيل بأنه رئيس عشيرة عراقية متنفذ ومهم. وقد أمل البريطانيون ان يضمنوا ولاء شمر في حالة نشوب الحرب مع المانية، فاهتموا اهتماما كبيرا بالحصول على

---

<sup>1</sup> مارغريت بوفري : المنارة وخط الانابيب : امس واليوم في الشرق الأدنى، ترجمته عن الالمانية لويزام. سيفكنج (لندن 1939).

<sup>2</sup> برنارد قريبي : العراق اليوم (باريس 1963) ص 85.

<sup>3</sup> وزارة الداخلية : مذكرات المجلس التأسيسي العراقي (1) (بغداد 1925) ص 1338.

<sup>4</sup> وزارة الخارجية 2339/372 ت/ 7411 ما ترهيد إلى غانس، 1937/5/4.



حظوة عجيل. ولما كان في لندن حضر المناورات العسكرية والبحرية، واجتمع بالخبراء الزراعيين رغبة في تحسين اغنامه وانتاج حبوبه. وراجع حبيرا في مرض القلب.<sup>1</sup>

وحين زاد نفوذه وثروته الشخصية خلال سنوات الثلاثين استمر عجيل على الاحتفاظ بصلات وثيقة مع رجال عشيرته شمر. ومع انسه كان يمتلك املاكاً في بغداد والموصل فضلاً عن دور في قلعة الشرفاء وتلعفر فان الشيخ الاعلى قضى وقتاً طويلاً مع عشيرته في البادية.<sup>2</sup> وحالما تمت تسوية النزاع مع دهم الهادي سنة 1933 لم تحدث اية منازعات كبيرة داخل العشيرة لتدخل بشؤون شمر. وكانت اهم الحوادث في تاريخ شمر السياسي من 1932 إلى 1940 تدور اساساً حول المنافسات التقليدية بين العشائر. ومن النزاعات الرئيسية التي حدثت بين العشيرة ومجاوريها ما حدث في آب 1933.<sup>3</sup> حين اشتركت شمر في هجوم الجيش على الأتوريين العراقيين في شمال العراق. ونشب قتال عشائري آخر سنة 1938 بين شمر وعشيرة العقيدات السورية، وفي شباط 1939 بين شمر وعشيرة العبيد العراقية. وقامت الحكومة بتنظيم اجتماعات بين القبائل المتقاتلة اسفرت عن نهاية

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 23217/371، ديون إلى باستر، 1939/7/7

<sup>2</sup> فون بوبهايم : البدو الجزء الاول ص15.

<sup>3</sup> وزارة الخارجية 16807/371/ثي 4871، أوغلي فورس إلى وزارة الخارجية رقم 294 1933/8/21 لونغريغ . العراق 1900-1950 ص234.

## سريعة للقتالين.<sup>1</sup>

اصيب عجيل الياور بسكّنة قلبية وتوفي وهو يسوق سيارته فورد طراز آ قرب الشرقاط في اوائل تشرين الثاني 1940،<sup>2</sup> فخلفه ابنه صغوق خريج الجامعة الاميركية في بيروت رئيسا اعلى لشمر.<sup>3</sup> خلال مشيخة عجيل الياور من 1922 إلى 1940 شهدت شمر الحرياء سلسلة من التغييرات العميقة التي بدلت فعلا كل المظاهر من حياة شمر البدوية التقليدية. ومرت زعامة العشيرة، كما تدل عليه مسيرة عجيل الياور، بأعظم تغيير محسوس.

---

<sup>1</sup> وزارة الخارجية 2329/371 شخصيات عراقية (عجيل الياور) ص 72 (1940)، لوبيرع: العراق 1900-1950 ص 284.

<sup>2</sup> سي جي ارمودس : مقابلة شخصية، كانون الاول 1971.

<sup>3</sup> لونفريغ : العسراق 1900-1950 ص 282، وزارة الخارجية 2329/371 : شخصيات عراقية (عجيل الياور) ص 22 (1940)

# **الفصل السادس**

**شهر الجرباء**

**1940-1958**



بوفاة عجيل الياور في اواخر سنة 1940 انتقل منصب رئاسة شمر العليا إلى ابنه صفوق، وهو بدوره تنازل عن الرئاسة لأخيه احمد في اواسط الاربعينيات. خلال المدة من الحرب العالمية الثانية إلى الثورة العراقية سنة 1958 كانت الاتجاهات التي بدأت خلال سنوات ما بين الحربين تمثل خلاصة تاريخ شمر العشائري. زاد احمد بن عجيل الياور القوة الاقتصادية والسياسية التي ورثها عن والده. وترك عدد اكبر من رجال القبيلة حياتهم الرحالة ومالوا إلى الاستقرار والزراعة وعلى مثال ذلك استمرت غارات الخزو وفرض الخاوة على الهبوط. لكن بالرغم من هذه التغييرات، احتفظت شمر بموقعها كالعشيرة العربية المتفوقة في الجزيرة. واشترك العشيرة عسكرياً في ثورة الموصل في آذار 1959 يوضح هذه النقطة بجلاء.

خلال الحرب العالمية الثانية تعاونت شمر العراقية تعاوناً وثيقاً مع البريطانيين وحصلت على منافع مادية كالخدمة بصفة مساعدين عسكريين والاستفادة من بيع الحبوب الضرورية.<sup>1</sup> خلافاً لوضع آل الياور المفضل، ارتأب البريطانيون بطبيعة الشيخ دهام الهادي المتمردة ونفوه إلى جزيرة قمران القريبة من ساحل اليمن في البحر الاحمر.<sup>2</sup> في

<sup>1</sup> ن ن كساب : الرحالة في الجزيرة العراقية (بائن ورنمبرغ 1966) ص55.

<sup>2</sup> زكريا : عشائر الشام ص282.

سنة 1944 حين زاد الطلب كثيراً على الحبوب بسبب التمويل أيام الحرب أخذ شيوخ شمر الاغنياء امثال احمد الياور بتوسيع الزراعة في اراضيهم الشاسعة. وكانت هذه الاراضي قبل النقص الكبير في الحبوب غير مستثمرة استثماراً كاملاً.<sup>1</sup>

استثمر احمد الياور الارباح التي جناها أيام الازدهار الاقتصادي في مشاريع زراعية واسعة خلال السنوات العشر التالية. خلافاً لعدد كبير من الشيوخ غير المتورين في العراق الشمالي، أدخل تجديلات تكنولوجية عديدة كالمسابح وأنظمة الري الحديثة والحاصدات والدراسات ومضخات ماء ذات محركات لزيادة الانتاج.<sup>2</sup> وعمل رجال شمر والعشائر التابعة في الزراعة على اراضي احمد الياور الواسعة كعلاحين لا يملكون الارض. وحسب النظام الاقطاعي اصبح رجال العشيرة الذين لا يملكون ارضاً يعتمدون بصورة متزايدة على رؤساء عشيرتهم وفي سنة 1962 اصبح الثباين بين الاملاك الارضية لشيوخ شمر الاغنياء وبين رجال العشيرة غير الملاكين شاسعاً جداً. اثنان وخمسون فرداً من آل الجرباء امتلكوا اكثر من 500000 مشارة بين هؤلاء الملاكين كان اثناء عجيل الياور وحدهم يملكون نحو 150000

<sup>1</sup> ستين : شمر حرباً ص 105.

<sup>2</sup> دورين وارجر : اصلاح الاراضي والتطوير في الشرق الاوسط (دراسة لمصر وسورية والعراق) (لندن 1957) ص 138-139. يوجين ورث : Jung Wandlungen في المجلة الجغرافية الالمانية، هيدلبرغ 1963، ص 267.

مشاركة.

حملت زيادة الطلب على العمال نحو عشرين في المائة من شمر الجرباء على ترك حياتهم البدوية والاستقرار في القرى الصغيرة المتعددة في أنحاء الجزيرة الشمالية. وفي كل قرية (مختار) بنظم النشاطات الاقتصادية والسياسية. لكن الاكثريّة الساحقة من العشيرة واصلت اتباع حياتها الرحالة التقليدية.<sup>1</sup> مع ذلك دخلت الحياة الحديثة الى بدو شمر كما نلت عليه ريادة ارتداء الملابس الغربية واستعمال السيارات لدى زعماء العشيرة.<sup>2</sup> يضاف الى ذلك أن شباب شمر أصبحوا يعرفون الثقافة الحديثة بالخدمة كحرس حدود أو مساعدين عسكريين.<sup>3</sup>

بينما بدلت قوى "التحديث" بعض نواحي ثقافة شمر البدوية فإن العشيرة حافظت على تأثيرها كقوة لها قيمتها في الشؤون السياسية الوطنية. استفادت شمر من البراعة العسكرية التي هيئت لها في البيئة الصحراوية المعادية فأثرت تأثيرها التقليدي القوي على القبائل المجاورة. وقد برزت حادثتان خاصتان من المعارك بين العشائر خلال الـ 18 سنة من وفاة عجيل الياور الى ثورة العراق سنة 1958.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> كالسابق ص 105، 115-118.

<sup>2</sup> كالسابق ص 118-123. حونقاني : حصاره البادية ص 215-216.

<sup>3</sup> سكير : شمر جربا ص 123-124.

<sup>4</sup> جريدة نيويورك تيمس، 18 آذار 1959 ص 4.

حدث قتال شديد بين شمر العراقية وعشيرة البومتيوت والجحيش في آب 1946 . أثرت المصاعب حين رفض البومتيوت والجحيش أن يدفعوا إيجار الررع الذي سبق الاتفاق عليه عن أرض تعود إلى أبناء عجيل الياور. أملت القبيلة أن تحل المشكلة إذ عرضت مطالبها على الحكومة العراقية، لكن بلا جدوى. وحين حاولت شمر مرة أخرى أن تستوفي الدين المستحق لها نشب قتال عنيف أدى إلى موت مائتي رجل من العشائر. وسرعان ما تجمع الحلفاء من العشائر في أنحاء الجزيرة لمساعدة العشائر المتحاربة، لكن تدخل الحكومة السريع وضع حداً للقتال.<sup>1</sup>

حدث قتال كبير آخر بين العشائر سنة 1952 واشتركت فيه شمر الجرباء. وفي هذه الحادثة الخاصة لقيت العشيرة مصاعب مع قبيلة عنزة. بدأ هذا الصدام المتجدد من قبيل العداء القديم في كانون الاول 1952 حين شن فخذ الدهامشة من عمارات عنزة عدة غارات غزو ضد فخذ الجعفر من عبدة الذي خيم في ديرة فخذ الصقور من عنزة عينتها الحكومة. قتل ثلاثون رجل من شمر في المعركة الاولى مع اربعة من محاربي عنزة. حسب العادة أسرع الجعفر الى أخذ الثأر في الشهر التالي بالهجوم على الدهامشة في شمال المملكة العربية السعودية وقتل رئيس عشيرتهم، على مثال ما جرى في قتال شمر سنة

---

<sup>1</sup> زكريا : عشائر الشام ص 291.



1946 أوقف التدخل الحكومي المعارك بالتحكيم في المشاكل الموقوفة.<sup>1</sup>  
ثالث الامثلة واشدها أهمية لقوة شمر السياسة العسكرية خلال  
المدة التي بعد الحرب حدث في اعقاب الثورة العراقية سنة 1958.  
أدت مصادر استياء كثيرة إلى تعكير الجو الذي نشأ عن اسقاط الحكم  
الملكي والحكومة المنتخبة في تموز 1958. منذ نهاية الحرب العالمية  
الاولى انتشر الهياج ضد بريطانيا وضد الصهيونية في انحاء القطر  
العراقي كما في اقطار اخرى. نشأت خيبة الامل هذه من الغرب عن  
تصريح بلفور والمراسلات بين الشريف حسين وماكناهون واتفاق  
سايكس بيكو ومعاهدة سيفر - وكلها قد حطمت مطامح عربية معينة.  
خلال السنين هرب بالحكام الهاشميين في العراق والاردن الذين حصلوا  
على عروشهم بدعم بريطاني قوي واعتبروا ذيولاً للامبريالية  
الغربية.<sup>2</sup>

نشأ توتر اخر بنتيجة الخلافات والانشقاقات العديدة داخل المجتمع  
العراقي. وجدت مخالقات اساسية بين المسلمين وغير المسلمين، السنة  
والشيعة، الاكراد والعرب، الوطنيين والشيوعيين، الرحالة والمنتوطين،  
الاغنياء والفقراء. وقد فقد المجتمع العراقي من جراء هذا الانشقاق  
الاستقرار اللازم لتطوير نظام حكم ديمقراطي، وبروز جمال عبد

<sup>1</sup> الجميل : البدر ص 290-291.

<sup>2</sup> اورييل دان : العراق تحت قاسم : تاريخ سياسي 1958-1963 (نيويورك 1969)  
ص 1-12، بيرتر : الشرق الاوسط اليوم ص 390-396.

الناصر كزعيم عربي شعبي وأتحاد مصر وسورية لتأليف الجمهورية العربية المتحدة سببا لتوترات اضافية خطيرة في العراق. وحس عارض الملك فيصل الثاني ورئيس الوزراء نوري السعيد الاتحاد السوري المصري بتأليف الاتحاد العربي مع الاردن الهاشمي في كانون الثاني 1958 بلغت هذه التوترات حد الانقسام.<sup>1</sup>

في 14 تموز 1958 ثار جماعة من الضباط الشبان يرأسهم الزعيم عبد الكريم قاسم، وهم يعتقدون أن الجيل السابق من الزعماء والسياسيين العراقيين قد أخفق في تطوير العراق بصورة صحيحة وقلبوا حكومة الملك فيصل والرئيس نوري السعيد. بعد قتال متفرق سيطرت قوات الثورة على البلاد. مع أنه لم يحدث سوى القليل من الضحايا نسبياً خلال الانقلاب فإن القتلى بين الزعماء الوطنيين الكبار كانوا كثيرين. لقي الملك فيصل وخاله ولي العهد الامير عبد الله مصرعهما بيد القوات الثائرة في قصر الرحاب. وفي اليوم الثاني مزقت غوغاء بغدادية هائجة اشلاء نوري السعيد حين حاول الهروب متكرراً بملابس نسائية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مجيد خدوري : العراق الجمهوري : دراسة في السياسة العراقية من ثورة 1958 (لندن 1969) ص5، 12-14. عن الفرق في المجتمع العراقي راجع مجيد خدوري : العراق المستقل 1932-1958 : دراسة في السياسة العراقية، الطبعة الثانية المعاد النظر فيها (لندن 1960) ص367.

<sup>2</sup> داس : العراق ص30-31، عن تفاصيل ثورة تموز راجع جريدة التايمس (لندن) 15

ولي الزعيم قاسم الحكم فأراد تغيير بديان المجتمع العراقي عن طريق سلسلة اصلاحات ترمي الى تخفيض قوة الطبقة الحاكمة الثرية وتحسين شقاء الفلاحين والجماعات الحضرية، وكان الهدف الواضح لاصلاحياته الاملاك الواسعة للشيوخ المختلفين والملاكين الحضريين الخائبين. صدرت في خريف 1958 قوانين صارمة جديدة للاراضي نصت على اعادة توزيع الاراضي الزراعية العراقية. حسب القانون لايمتطيع فرد ان يمتلك اكثر من 600 مشارة تقريباً من الاراضي السيح او اكثر من 1200 مشارة من الارض التي لا تروى سيجاً.<sup>1</sup>

هذه القيود الصارمة ضربت مباشرة شيوخ العشائر الاغنياء مثل احمد الياور اكبر الملاكين في الجزيرة. وكانت ميول قاسم الشيوعية وشعوره ضد عبد الناصر ايضاً مخيبة للامال، وبذلك جاءت احداث 1958 واولائل 1959 تهدد بالخطر الجسيم وضع احمد الياور بصفته رأسمالي غني وزعيم عشائري. قام الشيخ الشمري المهدي بحركة جريئة يريد قلب جريان الحوادث،<sup>2</sup> خلال الاشهر الثلاثة الاولى من 1959 تأمر احمد الياور وسائر زعماء الموصل الاغنياء مع العقيد عبد

---

تموز 1958 ص8، 16 تموز 1958 ص10 جريدة نيويورك تايمس 14 تموز 1958 ص1، 15 تموز 1958 ص1، 16 تموز 1958 ص1، 17 تموز 1958 ص1.

<sup>1</sup> دان : العراق ص57-59، التايمس (لندن) تشرين الاول 1958 ص10، 2-1 1958 ص7. نيويورك تايمس 24 ايلول 1958 ص4.

<sup>2</sup> نيويورك تايمس، 18 آذار 1959 ص4.

الوهاب الشواف قائد اللواء الخامس في لواء الموصل لاسقاط نظام قاسم.<sup>1</sup>

لعبت شمر بقيادة احمد الياور دوراً وثيقاً في ثورة الشواف التي نشبت في الموصل في 7 آذار 1959. خلال الاسبوع الاول من آذار هربت العشيرة اسلحة صغيرة عبر الحدود السورية، ولما اعلنت الثورة اقبل عدة آلاف من الشمريين على البلدة،<sup>2</sup> لكن حضورهم لم ينتج سوى نتائج ضئيلة، وخلال 48 ساعة جاءت قوات الجيش العراقي الموالية ورجال العشائر الكردية من الشمال الشرقي فسيطروا على الموصل. قتل العقيد الشواف قائد الثورة الفاشلة بيد موظف صحي كردي بعد ان جرح خلال هجوم جوي. بالرغم من ابداء شمر شجاعة فائقة في تلك الظروف الحرجة فقد تكبدوا خسائر فادحة حين انهارت الثورة. وقد وقف رجال العشيرة في آخر لحظة يدافعون عن منزل احمد الياور الموصل في الفاخر في قتال من الباب الى الباب ضد الحكومة، وقتل اكثر من 400 شمرى بايدي الاكراد غير النظاميين.<sup>3</sup>

أسرع احمد الياور، وقد رافقه مؤيدوه المطوقون بعد ان نفذ

<sup>1</sup> ميشيل مونسير: قصة الموصل، مجلة الشرق القسم 3، 1959 ص 24-25

<sup>2</sup> جريدة "لي موند"، باريس، 19 آذار 1959 ص 3.

<sup>3</sup> حس ارفع: الاكراد: دراسة تاريخية وسياسية (لندن 1966) ص 132. عن تفصيل ثورة الموصل راجع ((التايمس)) لندن، 9 آذار 1959 ص 10، 10 آذار 1959 ص 10، 11 آذار 1959 ص 10، 12 آذار 1959 ص 12، 14 آذار 1959 ص 6، جريدة ((نيويورك تايمس)) 9 آذار 1959 ص 10، منه ص 1، 11 منه ص 1.

عتادهم، يطلب ملجأ في الحدود السورية.

وفي طول الطريق قام القرويون المخلصون للزعيم قاسم بقتل عدد من الشمريين الهاربين. وخرجت طائرات القوة الجوية مرارا نقصف بقايا القوة العشائرية الثائرة.<sup>1</sup>

وحاول احمد الياور من ملجأه في دمشق ان يواصل الكفاح ضد الزعيم قاسم، لكن جهوده منيت بالفشل وقد جرح الشيخ وطبان بن فيصل جرحا خطيرا في قتال الموصل فمات في القامشلي بسورية في 2 نيسان.<sup>2</sup>

في اعقاب الثورة الفاشلة احتجزت حكومة قاسم الاملاك الشخصية لاحمد الياور وحاكمته غيابا امام محكمة شعبية في بغداد وحكمت عليه بالموت.<sup>3</sup>

في 12 نيسان، بعد اقل من شهر بعد الثورة، منح الزعيم قاسم عفوا عاما عن رجال شمر الذين اشتركوا في ثورة الموصل. وكان هذا العفو الذي صدر عن نية طيبة مشجعا لمئات من الشمريين للعودة الى العراق.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> موبسرا: القصيدة (مجلة الشرق، 3 القسم 3، 1959، ص28).

<sup>2</sup> مرآة الشرق الاوسط 11 رقم 4 (5 نيسان 1959) ص12. ((بيوريك تايمس)) في 18 أدير 1959 ص4.

<sup>3</sup> سنين: شمر جريا ص21.

<sup>4</sup> كالسابق. الشرق الحديث 39 (1959) ص319.

ان الهزيمة الفادحة التي كبدها الجيش العراقي والقوة الجوية في ربيع 1959 اكدت عدم تمكن شمر من تحدي القوة العسكرية المتزايدة مقدراتها والمستخدمه للأسلحة المعقدة للحكومة المركزية. علاوة على ذلك ان مجرد حقيقة كون احمد الياور قد حاول تحدي حكومة قاسم بـصور الحيوية المستمرة لعشيرة شمر الجرباء خلافا لسائر العشائر التي ارغمت على ترك اسلوب حياتها البدوية. ترجع هذه القوة المتواصلة الى ثلاثة عوامل:

اولا، ان شمر هاجرت الى الجزيرة في وقت متأخر عن سائر العشائر العربية الاخرى و ثانيا، انها حافظت على صلات وثيقة بموطنها العشائري في نجد مما ساعد على صيانة قوة ثقافتها البدوية<sup>1</sup> ثالثا، ان العشيرة حافظت على وضعها القوي عن طريق الزعامة القوية لعجيل الياور وابنائهم الذين، بينما هم كيفوا انفسهم بنجاح للمجتمع العصري، حافظوا مع ذلك على الاتصال الوثيق باتباعهم من رجال العشيرة. خلافا لشيوخ كثيرين في جنوب العراق تنازلوا عن وضعهم في الزعامة العشائرية حين اصبحوا ملاكين غائبين، قضى الشيخان عجيل و احمد الياور مدة في كل سنة في الخيام مع ابناء عشيرتهما في

<sup>1</sup> روبرت مونثالي: ((ملاحظات عن الحياة الاجتماعية والسياسية في جزيرة العرب الشمالية)) (مجلة الدراسات الاسلامية 6(1932) ص 63. قصص شعرية بدوية)) (نشرة الدراسات الشرقية 2(1932) ص 40، 41، 51.

## البادية.<sup>1</sup>

ان المقدرة العظمى لاسرة الياور في استئثار نواحي النفاقة الحديثة لفائدتها مع الاحتفاظ بدعم رجال عشيرتها شمر هيات تناقضا محسوسا لشيوخ عشائر العبيد والعمارات. مثلاً، ان اسرة الشاوي استقرت في بغداد خلال القرن التاسع عشر ثم فقدت دعم رجال عشيرتها العبيد.<sup>2</sup> في شكل اخر نجد فهد بن هزال الرئيس الاعلى لقبيلة العمارات العراقية قد فشل في التكيف للتغيرات السريعة التي حدثت في السنوات بين الحربين، ولذلك فقد القوة السياسية التي فاز بها عجيل الياور في الشؤون الوطنية والمحلية.<sup>3</sup>

واذا عدنا الى الوراء يمكننا ان ننسب القوة المستمرة لعشيرة شمر الجرباء في منتصف القرن العشرين الى براعة زعامة عجيل الياور الذي ثبت نفسه رئيساً عشائرياً ذا مزاجاً نادرة من الذكاء والخيال.

---

<sup>1</sup> عن الملاكين الغائبين راجع روبرت فرنس: الشيخ والافندي: اشكال السلطة المتغيرة بين الشبان في العراق الجنوبي (كمبريدج، 1970) ص 52.

<sup>2</sup> الجميل: البدو ص 285 286.

<sup>3</sup> قون واينهايم: البدو الجزء الاول ص 195.





# الخلاصة



ان دراسة شمر الجرباء قد اتاحت فرصة فريدة لحسن فهم التاريخ المهمل لهذه العشيرة البدوية المهمة، بل انها، اكثر من ذلك، اضافت معلومات ثمينة عن ناحيتين اخريتين من تاريخ الشرق الادنى المعاصر. خلافا لبحوث كثيرة حديثة تتعلق بدراسة التحول الذي طرأ في العواصم كالقاهرة واستانبول، ركز هذا المؤلف البحث في ناحية حيوية من التاريخ المحلي. يضاف الى ذلك ان هذه الدراسة هبات فرصة لفحص المشكلة القديمة المتعلقة بتأثير هجومات الاقوام الرحالة على الثقافة الحضرية المستقرة في العراق.

كانت شمر قسما فقط من الهجرة البدوية التي غادرت جزيرة العرب في نهاية القرن الثامن عشر بسبب التهديد العسكري والسياسي الناشئ عن انتشار حركة الوهابيين الدينية المتعصبة. ارغمت على ترك ديارها العشائرية الواقعة حول جبل شمر في نجد، فنقلت فئة من شمر بقيادة الشيخ مطلق الجرباء نحو ملجأ مفترض في المنطقة النهرية من العراق الجنوبي. وهذا القسم من عشيرة شمر الذي صار يعرف باسم شمر الجرباء بقي في العراق بعد زوال الخطر الوهابي. وحين قتل مطلق الجرباء في معركة صد الوهابيين تقلد الشيخ فارس الجرباء منصبه كرئيس اعلى واسس اسرة آل محمد الاسرة الحاكمة في شمر.

سرعان ما قاد الرئيس الاعلى الجديد رجال عشيرته عبر نهر الفرات الى الجزيرة. وانتجت هذه الهجرة خطا فاصلا في موازنة الجزيرة العشائرية والجغرافية السياسية.

حصل تصادم مصالح فوري حين تحدث شمر العبيد العشيرة الكبرى في الجزيرة للسيطرة على المنطقة. تعاون الشيخ فارس الجرباء ببراعة مع ولاية المماليك في بغداد فهزم العبيد عسكريا، ولم تمص سنوات قليلة حتى ارغمهم على ترك الجزيرة واتخاذ ديرة جديدة شرقي نهر دجلة. وفي محاولتهم السيطرة على الاراضي بين دجلة والفرات ارغم الشمريون ايضا عشيرتي طيء والجبور على مغادرة ديرتهما التي اشغلناها قرونا. وفيما عدا اجراء اعادة تخطيط اساسي جغرافي سياسي قلب نمط الحياة النجدي البدوي لشمر ايضا التوازن الثقافي القائم في الجزيرة.

اصبحت شمر القبيلة العربية المتفوقة في النصف الشمالي من ولاية بغداد، ولم يمض وقت طويل حتى طورت مقدراتها العسكرية لتحدي اوامر الحكومة المركزية في بغداد والموصل. زاد الشيخان فارس الجرباء وصفوق بن فارس قوتها العسكرية العشائرية الى حد كبير حتى ان والي بغداد من المماليك استعان بشمر الجرباء كمساعدين للجيش النظامي. في مناسبات متعددة بين 1805 و 1830 غلبت العشيرة فعلا معارك كبيرة لولاية المماليك. وهذه الانتصارات ضمننت للشيخين فارس وصفوق وظائف سياسية مربحة وصوتا قويا في شؤون الولاية. خلال هذه المدة من التوطيد توسعت ديرة شمر في انحاء الجزيرة والى العراق الشمالي.

بدا عهد جديد في تاريخ شمر سنة 1830 حين باشر السلطان

محمود الثاني اصلاحات دامت قرنا من الزمن لاعادة السيطرة العثمانية المباشرة على ولاية بغداد. حصر الباب العالي جهوده في اول الامر في احلال موظفين عثمانيين محل باشاوات بغداد والموصل شبه المستقلين. ولما مر الزمن، تم ايضا اخضاع رؤساء العشائر الاكراد والعرب الاقوياء المستقلين اداريا في الجزيرة وشمال العراق بحركات عسكرية منظمة ترمي الى انتهاء استقلالهم وكانت حملة رئيسية سنة 1835 بقيادة رشيد باشا ادت الى القبض على الشيخ صفوق الزعيم الاسطوري وسجلت مبدا قرن واحد من المحاولات لثلاث حكومات مختلفة لوقف الغزو العشائري.

عاد الشيخ صفوق الى الجزيرة بعد غياب اجباري دام ثلاث سنوات في استانبول وحاول استرجاع وضعه السابق ك ((سلطان البر)) اي حاكم الاراضي.

وقد اغتيل الزعيم الكبير بعد عشر سنوات بيد اعوان نجيب باشا. خسرت شمر بوقاة صفوق اعظم قوادهم المقتدرين في القرن التاسع عشر .

تقل الاتجاه نحو السيطرة العثمانية على شؤون العشائر بقوة اكثر على امتيازات البدو خلال سموات الخمسين والستين (من القرن التاسع عشر). فالتنظيم العسكري المتحسن والتجديدات التكنولوجية كخطوط البرق ساعدت الحكومة على التخطيط لمهاجمات على مقياس واسع ضد شمر .

حاول مدحت باشا والي بغداد المصلح بين سنة 1868 و 1871 ان يسيطر على غزو العشائر عن طريق سياسة ذات حدين في دحرها عسكرياً ومنحها اراضي تكون بديلاً اقتصادياً حيوياً لحياة السلب والنهب. دمر مدحت باشا مقدرة شمر على تحدي الجيش العثماني في صيف سنة 1871 حين حطمت قواته ثورة عشائرية مدبرة قادها الشيخ عبد الكريم بن صفوق. ومع ان مشروع التسوية اعطى فرحان باشا منحة ارض واسعة في قلعة الشرقاط لقاء مساعدته في اسكان شمر فانه اخفق في تحقيق النتائج المطلوبة. لكن محاولة الاسكان الابتدائية هذه سجلت مرحلة كبرى في تبديل ثقافة شمر الجرباء البدوية.

خلال السنوات الاربعين التالية حدثت تجديدات تكنولوجية كنظام خطوط برقية متسعة وادخال البنساق المتعددة الطلقات، فزادت مقدرة الحكومة لتحديد غزوات شمر وفرض 'الخاوة'. وجاءت نهضة الاتحاد القوي لعشائر الملية الكردية في نهاية القرن تتحدى اكثر من ذلك نفوق شمر العشائري في الجزيرة. ولم تتشب الحرب العالمية الاولى حتى ادركت شمر بوضوح انها لا تستطيع تحدي اوامر الاتراك بالطريقة التي اعتادت عليها فيما مضى. مع ذلك استمرت العشيرة على نمط حياتها البدوية التقليدية.

زادت سرعة التغيير بشدة بين 1918 و 1939 حتى تمكنت الحكومة العراقية المركزية ومستشاروها البريطانيون اخيراً من السيطرة على شمر وسائر القبائل العراقية. يعزى تغيير توازن القوى

إلى عدة عوامل مهمة :- فالتسوية السياسية التي أعقبت الحرب والتي قسمت ديرة العشيرة بين حكومات منفصلة ثلاث أضعفت وحدة شمر. وعلى غرار ذلك هيأت التكنولوجيا العسكرية المتطورة خلال الحرب العالمية الأولى القوة المتزايدة وسرعة الحركة اللازمة لتقييد غزو العشائر وهجرتها. نذكر على التعيين الإذاعة والهاتف التي يسرت المواصلات السريعة اللازمة لشدة هجوم الطائرات والسيارات المسلحة ضد جماعات شمر الغازية. وهذه التطورات التكنولوجية قضت على الامتيازات العسكرية التي تمتع البدو بها تقليدياً وتغلبوا على الحكومة المركزية.

ملاحظة ختامية مهمة أخرى يمكن استخلاصها من هذه الدراسة هي أن ثقافة شمر البدوية وتنظيمها العشائري قد تغير كل التغيير خلال المائة والخمسين سنة الماضية. خلال هذه المدة أبدت شمر عدم إمكان الاحتفاظ بوحدها. أن البذرة العشائرية المتحدة التي هاجرت إلى الجزيرة بقيادة شيخ قوي فرد هو مطلق الجرباء تنامت بسرعة حتى أن العشيرة، في سنة 1878، تجزأت إلى جماعتين مختلفتين : شمر الغربية في سورية وشمر الشرقية في العراق. ومثل ذلك ورثة الشيخين صفوق وفرحان الكثيرون من الأولاد، مع وجود بطام وراثية غير معين، أنتجت ملازعات خطيرة متعددة على الرئاسة كان لها شأنها في إضعاف وحدة العشيرة.

مرت ثقافة شمر النجدية البدوية بتغييرات محسوسة بزيادة

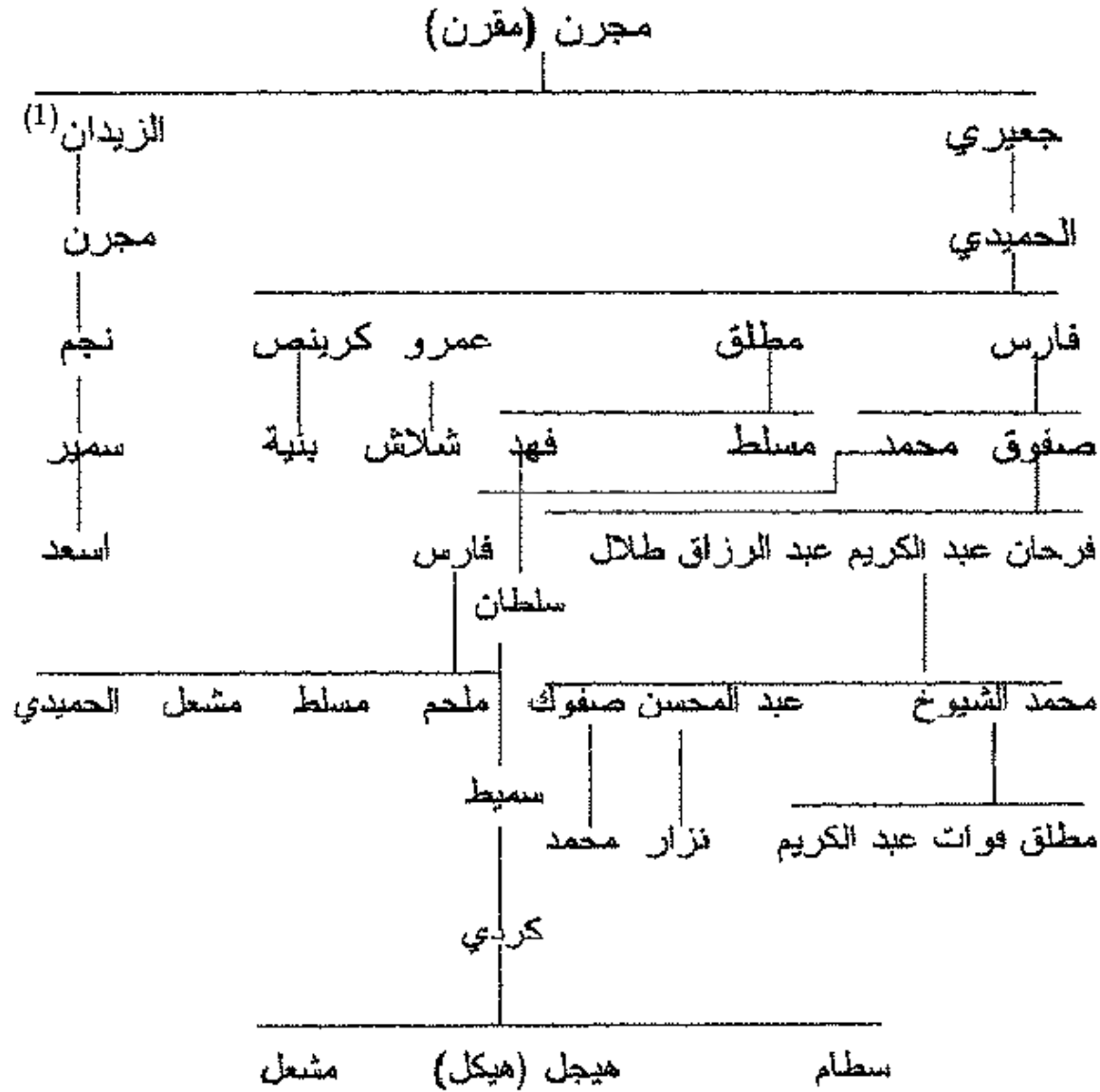
اتصالات العشيرة بالمجتمع المستقر خلال القرن التاسع عشر. مثلاً خلال سنوات الأربعين حين زاد الطلب الأوربي على الصوف العربي، أخذوا أفراد العشيرة يعملون رعاة لتجار الموصل الأغنياء. وكان الشمريون أيضاً يرورون كل سنة مدن الولاية المختلفة لشراء الحبوب الضرورية لمعيشتهم. وكان مشروع الاستيطان العشائري الذي بدأ به فرحان باشا في قلعة الشرفاء سنة 1870 مثلاً آخراً لتسرب الثقافة المستقرة إلى حياة شمر. لكن أعظم التغييرات العميقة في ثقافة شمر حدثت بعد الحرب العالمية الأولى. بين سنة 1920 و 1940 لم تبدأ وسائل النقل ذات المحرك بالحلول محل الجمال فحسب كالطريقة الاقتصادية للنقل في البادية بل جاءت تجديلات أخرى أرغمت الكثير من أقسام شمر على ترك حياتها الرحالة والاستقرار كزراع.

من كل مظاهر الثقافة الشمرية مر منصب رئاسة العشيرة كما كان مشخفاً في الرئيس الأعلى بأعظم التطورات واشدها عمقاً. فالرئيس البدوي التقليدي مثل الشيخ صفوق بن فارس أحرز منصبه ببسالته العسكرية وحكمته وفصاحة كلامه ومقدرته على تحدي الحكومة المركزية. خلافاً لذلك ان الرئيس الأعلى الناجح في العصر الحاضر مثل عجيل الياور نال منصبه، لا لمهارته الحربية، بل خصوصاً لشهرته كسياسي وطني وعلاقاته الوثيقة بالحكومة المركزية ومقدرته في الأعمال الاقتصادية ولم تأت جاذبيته كزعيم بدوي تقليدي الا في المحل الثاني.



كما تدل عليه نتائج هذه الدراسة بوضوح، ان عشيرة شمر لعبت دوراً حيويّاً في تاريخ العراق وسورية الحديث لم يحز التقدير اللائق به من قبل. امام التحديات المختلفة الكثيرة خلال المائة والخمسين سنة الاخيرة، حافظت شمر على كرامتها وشخصيتها كالقبيلة المتفوقة في الجزيرة.

## شجرة نسب آل محمد



(1) لم نتمكن من ذكر سلسلة الزيدان كاملة بتفرعاتها واما اقتصرنا على رئيسها واتصاله بزيدان المذكور.

# المصادر



### دائرة السجلات العامة في لندن :

محافظ وزارة الطيران سلسلة 23 (الاستخبارات العراقية)

محافظ وزارة المستعمرات سلسلة 693، 696

محافظ وزارة الخارجية سلسلة 195 (تركية)

371 (بعد 1905)، 372.

وزارة علاقات الكومنولث : سجلات وزارة الهند، لندن

الدائرة السياسية والسرية، رسائل من الخليج 1830-1850

### الوثائق المنشورة

بريطانية العظمى

وزارة البحرية : قسم الاستخبارات البحرية

سلسلة الكراريس الجغرافية : العراق والخليج (اكسفورد 1944).

### المراجع العربية

عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين (8 اجزاء بغداد،

1935-1956)

- عشائر العراق (4 اجزاء) بغداد 1957.

حسير بن غنام : تاريخ نجد (مصر 1961).

عبد الله بن مسلم بن قتيبة : عيون الاخبار (4 اجزاء القاهرة

1925-1930).

عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين (4 اجزاء، القاهرة 1968).

كتاب الحيوان (8 اجزاء، مصر 1965).

- مكي الجميل : البداوة و البدو في البلاد العربية (1962).
- البدو والقبائل الرحالة في العراق (بغداد 1956).
- رسول الكركوكلي : دوحة الوزراء (مترجم عن التركية موسى كاظم نورس، بيروت 1963).
- امين بن حسن الهلوي المدني : مطالع السعود (بومبي 1885).
- صلاح الدين المحنار : تاريخ المملكة العربية السعودية (جزآن بيروت 1957).
- عبد العزيز سليمان نوار : داود باشا والي بغداد (القاهرة 1967).
- تاريخ العراق الحديث (القاهرة 1968).
- ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي : كتاب الامالي (جزآن بيروت 1965).
- سليمان الصائغ : تاريخ الموصل (القاهرة 1923).
- وزارة الداخلية : مذكرات المجلس التأسيسي العراقي (جزآن بغداد 1925).
- وصفي احمد زكريا : عشائر الشام (دمشق 1948).
- محمد امين زكي : خلاصة تاريخ الكرد وكردستان (بغداد 1961).
- تاريخ السليمانية (بغداد 1951).

## **المصادر الأجنبية**

### **Great Britain**

Public Record Office, London

Air Ministry files, Series 23

(Iraqi Intelligence)

Colonial Office files, Series 693, 696.

Foreign Office files, Series 195 (Turkey), 371 (post-1905),  
372

Commonwealth Relations Office: India Office Records, London.

Political and Secret Department, Letters from Persian Gulf  
1830-1850.

### **Published Documents**

#### **Great Britain**

#### **Admiralty: Naval Intelligence Division.**

Geographical Handbook Series, Iraq and the Persian Gulf,  
Oxford, 1944.

### **Arabic Works**

al-'Azzaw, 'Abbas, Ta'rikh al-'Iraq bayna Ihtalayn, 8 Volumes  
Baghdad, 1935-1956.

'Asha'ir al-'Iraq. 4 Volumes, Baghdad, 1957

Ghannam, Husayn ibn. Ta'rikh Najd. Egypt, 1961.

- Ibn Qutaybah, 'Abd Allah ibn Muslim, **Kitab'Uyun al-Akbar**. 4 Volumes, Cairo, 1925-1930.
- al-Jahiz, 'Amr ibn Bahr. **al-Bayan wa al-Tabayn**. 4 Volumes, Cairo, 1968.
- Kitab al-Hayawan**. 8 Volumes. Egypt, 1965.
- al-Jaml, Makk. **al-Badwah wa al-Badw f al-Bilad al-'Arabiya**. n.p.p., 1962.
- al-Badw wa al-Qaba'il ar-Rihhsalah f al-'Iraq**. Baghdad, 1956.
- al-Kirkukl, Rasul. **Dawha al-Wuzara'**. translated from Turkish by Musa Kazim Nurus. Beirut, 1963.
- al-Madin, Amn ibn Hasan al Halaw. **Mutali'u as-Sa'ud**. Bombay, 1885.
- al-Mukhtar, Salah ad-Dn. **Ta'rk al-Mamlakah al-'Arabya as-Sa'udiyah**. 2 Volumes. Beirut, 1957.
- Nawwar, 'Abd al-'Azz Sulayman. **Dawud Basha Wal Baghdad**. Cairo, 1967.
- Tarkh al-'Iraq al-Hadth**. Cairo, 1968.
- al-Qal, Abu'Al Isma'il ibn al-Qasim. **Kitab al-Amal**. 2 Volumes. Beirut, 1965
- Sa'igh, Sulayman. **Tarkh al-Mausil**. Cairo, 1923.
- Wizara ad-Dakiliya. **Mudhakara, al-Majlis al-Ta'sisi al-'Iraq**. 2 Volumes. Baghdad, 1925.
- Zakariya, Wasf Ahmad. **'Asha'r ash-Sham**. Damascus, 1948.
- Zak, Muhammad Amn. **Khulasat Ta'rk al-kurd wa kudistan**. Baghdad, 1961
- Ta'rk as-Sulaymaniyah**. Baghdad, 1951.

### **Monographs and General Works**

- Arfa, Hassan, **The Kurds and Historical and Political Study**. London, 1966.
- Badger, George Percy. **The Nestorians and Their Rituals**. London, 1852.



- Baer, Gabriel. **Population and Society in the Arab East**. Translated from the Hebrew by Hanna Szoke. London, 1964.
- Belyaev, E.A. **Arabs, Islam, and the Arab Caliphate in the Early Middle Ages**. Translated from the Russian by Adolphe Gourevitch. New York, 1969.
- Berkes, Niyazi. **The Development of Secularism in Modern Turkey**. Montreal, 1964.
- Blunt, Anne. **Bedouin Tribes of the Euphrates**. New York, 1879.
- Bodman, Herbert, Jr. **Political Factions in Aleppo 1760-1826**. Chapel Hill, 1963.
- Boven, Margaret. **Minaret and Pipe-Line: Yesterday and Today in the Near East**. Translated from the German by Louisa M. Sieveking. London, 1939.
- Brice, William C. **South-West Asia: A Systemic Geography**. London, 1967.
- Burce, C.E., "The Sandeman Policy as Applied to Tribal Problems of To-Day", *Journal of the Royal Central Asian Society*, XIX (1932).
- Budge, Ernest. **By Nile and Tigris: A Narrative of Journeys in Egypt and Mesopotamia on Behalf of the British Museum Between the Years 1886 and 1913**. 2 Volumes. London, 1920.
- Burckhardt, John Lewis. **Notes on the Bedouins and the Wahabys**. London, 1831.
- Burgoyne, Elizabeth. **Gertrude Bell, From Her Personal Papers. 1914-1925**. 2 Volumes. London, 1958-1961.
- Buringh, P. **Soils and Soil Conditions in Iraq**. Baghdad, 1960.
- Busch, Briton C. **Britain, India, and The Arabs, 1914-1921**. Berkeley, 1971.
- Cressy, George Babcock. **Crossroads: Land and Life in Southwest Asia**. Chicago, 1960.
- Dann, Uriel. **Iraq Under Qassem: A Political History, 1958-1963**. New York, 1969.
- Davidson, Roderick. **Reform in the Ottoman Empire, 1956-**

1876. Princeton, 1963.
- Devereux, Robert, **The First Ottoman Constitutional Period, A Study of the Midhat Constitution and Parliament.** Baltimore, 1963.
- Dickson, Harold, **the Arab of the Desert: A Glimpse into Badawin Life in Kuwait and Saudi Arabia.** London, 1949.
- Field, Henry, **Anthropology in Iraq.** 2 Volumes. Chicago, 1940-1952.
- Fisher, William Bayne. **The Middle East: A Physical, Social and Regional Geography.** 6th Edition. London, 1951.
- Fraser, James Bailie. **Travels in Kurdistan and Mesopotamis.** 2 Volumes London, 1840
- Gabrieli, Francesco. **Muhammad and the Conquest of Islam.** Translated from the Italian by Virginia Luling and Rosamund Linell. New York, 1968.
- Grant, C.P. **The Syrian Desert: Caravans-Travel and Explorations.** New York, 1938.
- Haldane, James Aylmer Lowthrop **The Insurrection in Mesopotamis, 1920.** Edinburgh, 1922.
- Hitti, Philip Khubri. **History of the Arabs: From the Earliest Times to the Present.** 9th Edition. New York, 1967.
- Hourani, Albert. **A Vision of History: Near Eastern and Other Essays.** Beirut, 1961.
- Huart, Clement Ibault. **Histoire de Baghdad dans les Temps Modernes.** Paris, 1901.
- Ireland, Philip Ward. **Iraq: A Study in Political Development.** New York, 1938.
- al-Kasab, Nafir Nasir **Die Nomadenansiedlung in der Irakischen Jezirah.** Tubingen, 1966.
- Khadduri, Majid, **Independent'Iraq: A Study in'Iraqi Politics from 1932-1958.** 2nd Edition. London, 1960.
- Republican'Iraq: A Study in'Iraqi Politics Since the Revolution of 1958.** London, 1969.
- Layard, Austen Henry. **Discoveries Among the Ruins of Nineveh and Babylon.** New York, 1853.

- Nineveh and Its Remains.** Edited by H.W F. Saggs. London, 1970.
- LeSttange, Guy. **The Lands of the Eastern Calphate.** New York, 1965.
- Lewis, Bernard. **The Emergence of Modern Turkey.** London, 1961.
- Loftus, William Kennett. **Travels and Research in Chaldaea and Susiana.** London, 1857.
- Longrigg, Stenba Hemsley. **Four Centuries of Modern Iraq.** Oxford, 1925.
- Iraq 1900-1950: A Political, Social and Economic History.** Oxford, 1953.
- Syria and Lebanon Under French Mandate.** London, 1958.
- Main, Ernest. **Iraq: From Mandate to Independence.** London, 1935.
- Ma'oz, Moshe. **Ottoman Reform in Syria and Palestine, 1840-1861; the Impact of the Tanzimat on Politics and Society.** Oxford, 1968.
- Mardin, Sherif. **The Genesis of Young Ottoman Thought: A Study in the Modernization of Turkish Political Ideas.** Princeton, 1962.
- Margoliouth, D S. "Wahhabiya", E.I., Vol. IV, 1086-1087.
- Midhat,'Alī Haydar. **Midhat-Pacha Sa Vie-Son Oeuvre.** Paris, 1908
- Mitford, Edward Ledwich. **A Land March from England to Ceylon Forty Years Ago.** London, 1884
- Montagne, Robert. **La Civilization du Desert: Nomades d'Orient et d'Afrique.** Paris, 1947
- Musil, Alois. **The Manners and Customs of the Rwala Bedouin.** New York, 1928.
- The Middle Euphrates: A Topographical Itinerary.** New York, 1927.
- Nevakivi, Jukka. **Britain, France and the Arab Middle East, 1913-1920.** Oxford, 1969.
- Niebuhr, Carsten. **Beschreibung von Arabien.** Kopenhagen, 1772

Oates, David. **Studies in the Ancient History of Northern Iraq.** London, 1968.

Patai, Raphael. **Golden River to Golden Road, Society, Culture and Change in the Middle East.** Philadelphia, 1962.

Peretz, Don. **The Middle East Today.** New York, 1965.

Peters, J.P. **Nippur; or, Explorations and Adventurers on the Euphrates.** 2 Volumes. New York, 1898.

Philby, Harry St. John Bridger, **Arabia.** London, 1930

Rabbath, E. **L'Évolution Politique de la Syrie sous Mandat.** Paris, 1923.

Ramsaux, Ernest Edmondson, Jr. **The Young Turks; Prelude to the Revolution of 1908.** Princeton, 1957

Rassam, Hormuzd **Asshur and the Land of Nimrod.** New York, 1897.

Rich, Claudius James. **Narrative of a Residence in Koordistan.** 2 Volumes. London, 1836.

Rousseau, Jean. **Description du Pashalic de Baghdad** Paris, 1809.

Sachar, Howard Morley **The Emergence of the Middle East.** New York, 1969.

**Europe Leaves the Middle East: 1936-1954.** New York, 1972.

Sachaw. E. **Reise in Syrien und Mesopotamien.** Leipzig, 1883.

Shaw, Stanford. **Between the Old and the New: The Ottoman Empire under Salim III.** Cambridge, 1971.

Shiha, Habib K. **Le Province de Baghdad, Son Passé, Son Présent, Son Avenir.** Cairo, 1908.

Stein, Lothar. **Die Sammar-Gerba: Beduinen im Urbergang von Nomadismus zur Sesshaftigkeit.** Berlin, 1967.

Sykes, Mark. **The Caliph's Last Heritage; A Short History of the Turkish Empire.** London, 1915.

**Dar al-Islam. A Record of a Journey Through Ten of the Asiatic Provinces of Turkey.** London, 1904

Tibawi, Abdul Latif. **A Modern History of Syria Including Lebanon and Palestine.** London, 1969

- Vaucelles, Pierre de *La Vie en Iraq Il Y A Un Siècle, Par Nos Consuls*. Paris, 1963.
- Vernier, Bernard. *L'Iraq d'Aujourd'hui*. Paris, 1963.
- Von Oppenheim, Max Freiherr, *Die Beduinen: Die Beduinenstämme in Mesopotamien und Syrien*. Volume I of 4 Volumes Leipzig, 1939-1952
- Vom Mittelmeer zum Persischen Golf durch den Hauran, die Syrische Wüste, und Mesopotamien**. 2 Volumes. Berlin, 1899-1900.
- Warriner, Doreen. *Land Reform and Development in the Middle East: A Study of Egypt, Syria, and Iraq*. London, 1957.
- Wilson, Arnold Talbot. *Loyalties Mesopotamia: 1914-1917*. London, 1931.
- Mesopotamia, 1917-1920: A Clash of Loyalties; A Personal and Historical Record**. London, 1990.
- Winder, R. Bayley. *Saudi Arabia in the Nineteenth Century*. New York, 1965.
- Zeine, N. Zeine. *The Struggle for Arab Independence: Western Diplomacy and the Rise and Fall of King Faisal*. Beirut, 1960.

### Articles

- Baer, Gabriel, "Iltizam", *E.I.2*, Vol. III, 1154-1155.
- Canard, Marius. "Djazira", *E.I.2*, Vol. II, 523-524
- Caskel, W. "Amir B. Tufayl", *E.I.2*, Vol. I, 442.
- Elphmeton, W.G. "The Kurdish Question", *International Affairs*, XXII (1949), 91-103.
- Glubb, John. "The Bedouins of Northern Iraq", *Journal of the Royal Central Asian Society*, XXII, Pt. 1 (1935), 15-29.
- Graf, E. "Anaza", *E.I.2*, Vol. I, 482-483.
- Huart, Clement. "Notice sur les Tribus Arabes de la Mesopotamie", *Journal Asiatique*, Series VII, XIII (1878), 215-240
- Jwaideh, Albertine. "Midhat Pasha and the Land System of

- Lower Iraq", in **Middle Eastern Affairs**, No. III, Albert Hourani, Editor. **St. Antony's Papers**, No. XVI. Carbon-dale, nd., 106-136.
- Lewis, Norman, "The Frontier of Settlement in Syria 1800-1950", **International Affairs**, XXXI (1955), 48-60.
- Longrigg, Stephen Hemsley, "Baban", **E.I.2**, Vol. I, 845.
- "**Bahdan**", **E.I.2**, Vol. II, 920.
- Menzel, T. "Yazd", **E.I.**, Vol. IV, 1163-1170
- Mideast Mirror**, XI, No. 4 (April 5, 1959), 12.
- Montagne, Robert. "Contes Poétiques Bédouins (Recueillis Chez Les Sammar de Gezire)", **Bulletin des Etudes Orientales**, V (1935), 33-119
- "**Quelque Aspects du Peuplement de la Haute Djezire**", **Bulletin des Etudes Orientales**, II (1932), 53-66.
- Montserrat, Michel. "L'Affaire de Mossoul", **Orient**, IX (1959), 23-30 **Oriente Moderno**, XXXIX (1959), 319.
- Pellat, Charles. "al-Ahnaf B al-Kays", **E.I.2**, Vol. I, 303 304.
- Ross, John, "Notes on Two Journeys from Baghdad to the Ruins of al-Hadr in Mesopotamia in 1836-1837", **Royal Geographical Society Journal** IX (1839), 443-467.
- Rondot, Pierre. "Les Tribus Montagnardes de L'Asie Anterieure", **Bulletin des Etudes Orientales**, VI (1936)
- Sweet, Louise. "Camel Raiding of North Arabian Bedouin. A Mechanism of Ecological Adaptation", **American Anthropologist**, LXVII, (1965), 1132-1150.
- Vinogradov, Amal. "The 1920 Revolt in Iraq Reconsidered the Role of The Tribes in National Politics", **International Journal of Middle Eastern Studies**, III (1972), 123-139.

## فهرست المحتويات

7	توطئة . شرم المشكلة .....
12	جغرافية الجزيرة - ملاحظات تاريخية .....
14	الجغرافية الطبيعية .....
20	السكان .....
23	العشيرة البدوية .....
26	نظام العشائر .....
28	الانقسامات الاجتماعية .....
30	شيخ العشيرة .....
33	العادات والقيم البدوية .....
35	السياسة الجغرافية في الجزيرة .....
36	ولاية (باشوية) بغداد سنة 1800 .....

## الفصل الأول

### وصول شمر الجرباء الى الجزيرة

43	شكل الاحتلال البدوي .....
46	هجرة شمر: المرحلة الأولى 1690-1760 .....
48	غارة شمر: المرحلة الثانية 1790-1840 .....
53	شمر الجرباء في الجزيرة 1800-1818 .....
62	تأثير نزول شمر على الجزيرة .....

## الفصل الثاني

### بروز شمر في الجزيرة: عهد صفوك بن فارس

1818-1847

68	بروز داود باشا 1817 .....
71	تفوق البدو العسكري .. .. .
73	طرائق المماليك للسيطرة على البدو .. .. .
75	بروز صفوق بن فارس 1818-1825 .. .. .
80	العلاقات بين الحكومة وشمر سنة 1825-1830 .. .. .
82	سقوط داود باشا .. .. .
85	علي رضا باشا والعشائر العربية .. .. .
92	سياسة الحكومة في الحكم المباشر - حملة رشيد باشا سنة 1935
98	عهد تردد 1840-1845 .. .. .
103	المعركة التي لا بد منها 1846 .. .. .

## الفصل الثالث

### عهد تعديل: تحفظ العلاقات بين العثمانيين

وشمر 1848-1868

115	المواقف بين الأتراك وشمر .. .. .
117	التحزب داخل العشيرة .. .. .
122	شؤون شمر والعثمانيين 1847-1851 .. .. .



131	نتائج رئاسة شمر العاجزة .....
135	شؤون شمر والعثمانيين 1857-1861 .....
138	تغيير العلاقات بين العثمانيين وشمر 1857-1858 .....
142	عهد غموض 1860-1862 .....
145	الحملة العثمانية لسنة 1862 .....
150	عشيرة شمر هادئة 1862-1868 .....
152	سبعون سنة في الجزيرة عشيرة شمر سنة 1868 .....

## الفصل الرابع

### الأنقسام الداخلي والتحدي الخارجي 1869-1914

160	اصلاحات مدحت باشا - الأسكان العشائري .....
166	سياسة مدحت باشا العشائرية وشمر الجرباء 1870-1871 .....
168	تمرد شمر سنة 1871 .....
173	قبيلة شمر الشرقية والغربية 1872-1880 .....
178	نظام متغير 1800-1914 .....
188	شمر الغربية 1890-1914 .....
194	العلاقات بين شمر الشرقية والعثمانيين 1890-1914 .....
202	شمر والحرب العالمية الأولى 1914-1918 .....

## **الفصل الخامس**

### **مشيخة عجيل الياور 1918-1940**

217	..... الجزيرة 1918-1920
223	..... شقون العشيرة 1919-1922
233	..... الصراع بين دهام الهادي وعجيل الياور 1922-1932
	اشكال متغيرة في زعامة شمر - سيرة عجيل الياور -
257	..... 1922-1940

## **الفصل السادس**

### **شمر الجرباء 1940-1958**

279	..... الخلاصة
289	..... المصادر
293	..... خلاصة ترجمة المؤلف
295	..... فهرست المحتويات



كتاب نادر وضعه الباحث الأمريكي المحقق  
جون فريديريك وليمنسن أستاذ الآداب في جامعة  
انديانا عن قبيلة شمر العربية منذ نزوحها إلى  
العراق حتى يوم 14 تموز 1958، وهي أطروحة  
قدمها المؤلف إلى شعبة التاريخ في جامعة انديانا  
للحصول على الدكتوراه في الفلسفة.  
اهتم الشيخ محسن العجيل الباور بهذا الكتاب  
لعلاقته بتاريخ القبيلة فضلاً عن أنه يشكل  
صفحة رائعة من تاريخ العراق في القرن التاسع  
عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وقد  
نشرنا ترجمته العربية.  
إنه كتاب جدير بالقراءة لأنه يمثل أهم فترة من  
تاريخ العراق السياسي.

الناشر

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)